دليل

المسافر إلى المجرة

الجزء الخامس

تصميم الغلاف

عبد العزيز محمد

المشروع الوطني للترجمة

الرواية العالمية

دليل
المسافر إلى المجرة

رواية

تأليف : دوغلاس آدامز

ترجمة : علي ريشة

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠٢٢م

العنوان الأصلي للكتاب:

The Hitchhiker’s Guide to the Galaxy

الكاتب: **Douglas Adams**

الناشر: **1979،Pan Box**

المترجم: علي ريشة

الآراء والمواقف الواردة في الكتاب هي آراءُ المؤلِّفِ ومواقِفُهُ ولا تعبِّر (بالضرورةِ) عن آراء الهيئة العامة السورية للكتاب ومواقفها.

الجزء الخامس

غير مؤذٍ في الغالب

الفصل الأول

لقد تَشَوَّشَ تاريخ المجرة قليلاً، لأسباب عدة: منها أن الذين يحاولون متابعته قد تشوشوا قليلاً، وأيضاً لأن بعض الأمور المُشَوِّشة جداً كانت تحدث في أي حال.

كانت إحدى المشكلات متعلقة بسرعة الضوء والصعوبات المرتبطة بمحاولة تجاوزها. لا يمكن ذلك. لا شيء يتحرك أسرع من الضوء ما عدا ربما الأخبار السيئة، التي تتبع قوانينها الخاصة. حاول شعب الهينجفريل من كوكب آركينتوفل ماينور أن يبني سفناً فضائية تعمل على الأخبار السيئة لكنها لم تعمل بشكل جيد، وكان غير مرحّب بها إطلاقاً متى حلّت في أي مكان لم يكن ثمة داع لوجودها فيه. لذا اتجه عدد كبير من سكان المجرة إلى الانكباب على تشويشاتهم المحلية، وظل تاريخ المجرة عموماً، ولفترة طويلة، من الأمور الكونية.

إلا أن ذلك لم يعن أن الناس لم يحاولوا. بل حاولوا إرسال أساطيل من سفن الفضاء لتحارب أو لتعمل في أجزاء بعيدة، لكن عادة ما كانت هذه الأساطيل تأخذ آلاف السنين لتصل إلى أي مكان، وحينما تصل في النهاية تكون أشكال أخرى من السفر قد اكتُشِفَت واستَخدَمَت الفضاء الفوقي لتتجاوز مشكلة سرعة الضوء، لذا تكون الحروب التي أُرسِلَت من أجلها الأساطيل الأبطأ من الضوء قد انتهت منذ قرون، في الوقت الذي تصل فيه

تلك الأساطيل. غير أن ذلك بالطبع لم يردع طواقمها من المطالبة بخوض غمار هذه المعارك أياً كانت، فلقد كانوا مُدَرَّبين، على أهبة الاستعداد، ناموا لألفين من السنين، وقطعوا مسافة طويلة للقيام بعمل صعب، وأقسموا بزاركوان أنهم سيقومون به.

كانت تلك بداية أول تشويش كبير في تاريخ المجرة، حيث كانت المعارك تندلع من جديد باستمرار بعد قرون من التهدئة المفترضة على القضايا التي نشبت لأجلها. ومع ذلك لم تكن تلك التشويشات شيء يذكر أمام تلك التي حاول المؤرخون حلّها بعد اكتشاف السفر عبر الزمن، حين بدأت المعارك تندلع قبل أن تُعْرَف القضايا التي ستندلع من أجلها بمئات الأعوام. لما ظهر محرك اللااحتمالية اللامتناهي وبدأت كواكب بأسرها تتحول إلى كعكات فواكه بطعم الموز، استسلمت كلية التاريخ العظيمة في جامعة ماكسيميغالون، فأغلقت نفسها وسلمت أبنيتها إلى كلية اللاهوت والبولو المائي المشتركة سريعة النمو، التي كانت تسعى لسنوات إلى امتلاك هذه الأبنية. وكل ذلك بالطبع لا بأس به، لكن ذلك يعني بما لا يقبل الشك تقريباً أن أحداً لن يعرف بالتحديد من أين أتى الغريبولونيون في سبيل المثال، أو ما الذي أرادوه بالضبط. وذلك مؤسف لأنه لو علم أحدهم أي شيء عنهم، كان من الممكن تجنّب الكارثة الأفظع، أو في الأقل، كان من الممكن إيجاد طريقة أخرى لتحدث.

صوت نقرة، صوت همهمة.

تحركت سفينة الاستطلاع الغريبولونية الرمادية الضخمة بصمت عبر الفراغ الأسود. كانت تسافر بسرعة مذهلة تحبس الأنفاس. لكنها بدت،

تجاه الخلفية المتألقة المكونة من مليار نجم بعيد، غير ذات حركة. كانت مجرد ذرة داكنة على لوحة من التفاصيل اللامتناهية لأمسية رائعة.

كان كل شيء على ظهر السفينة على حاله منذ آلاف السنين، صامتاً وداكناً.

صوت نقرة، صوت همهمة.

في الأقل، كل شيء تقريباً.

صوت نقرة، صوت نقرة، صوت همهمة.

صوت نقرة، صوت همهمة، صوت نقرة، صوت همهمة، صوت نقرة، صوت همهمة.

صوت نقرة، صوت نقرة، صوت نقرة، صوت نقرة، صوت نقرة، صوت همهمة.

حسناً.

عميقاً في دماغ السفينة الآلي نصف النائم، أيقظ برنامج مراقبة منخفض المستوى برنامج مراقبة أعلى مستوىً بقليل، وقدم له تقريراً بأنه كلما سمع صوت نقرة لا يسمع سوى صوت همهمة. سأله برنامج المراقبة الأعلى ما الذي يفترض به أن يسمع، فقال برنامج المراقبة الأدنى إنه لا يتذكر بالضبط، لكنه يعتقد بأنها نوع من تنهيدات الرضا ضعيفة الصوت. أليس كذلك؟ لم يعلم ما كان صوت الهمهمة ذلك. صوت نقرة، صوت همهمة، صوت نقرة، صوت همهمة. ذلك كل ما كان يسمعه.

فكّر برنامج المراقبة الأعلى في الموضوع ولم يعجبه. سأل برنامج المراقبة الأدنى ما الذي كان يراقبه بالضبط، وقال برنامج المراقبة الأدنى إنه

لا يستطيع تذكر ذلك أيضاً، كان مجرد شيء ينبغي أن يصدر صوت نقرة وتنهيدة كل عشر سنوات تقريباً، وذلك ما كان يحدث من دون خطأ. حاول الرجوع إلى جدول اكتشاف الأخطاء الخاص به لكنه لم يجد تلك المشكلة، لذلك أخطر برنامج المراقبة الأعلى بالمشكلة.

مضى برنامج المراقبة الأعلى ليراجع أحد جداول اكتشاف الأخطاء الخاصة به ليعرف ما الذي كان على برنامج المراقبة الأدنى أن يراقب.

لم يجد جدول اكتشاف الأخطاء.

غريب.

بحث مجدداً، ولم يحصل سوى على رسالة خطأ. حاول البحث عن رسالة الخطأ في جدول اكتشاف رسائل الخطأ الخاص به لكنه لم يجده أيضاً. أمضى اثنين من النانو ثانية وهو يعاود العمل على ما سبق.

ثم أيقظ مشرف وظيفة القطاع. واجه مشرف وظيفة القطاع مشكلات مباشرة. نادى وسيط الإشراف الخاص به الذي واجه مشكلات أيضاً.

في أجزاء مليونية من الثانية كانت الدارات الافتراضية، التي بقي بعضها ساكناً لسنوات، والآخر لقرون، قد بدأت تعمل ضمن أرجاء السفينة كافة.

حدث خطب هائل في مكان ما، لكن لم يتمكن أي من برامج المراقبة معرفة ماهيته. كانت هناك تعليمات حيوية مفقودة في كل مستوى، والتعليمات الخاصة باكتشاف فقدان التعليمات الحيوية كانت مفقودة أيضاً.

اندفعت وحدات صغيرة من البرامج – وسطاء – عبر الممرات المنطقية، تجمّعت، تشاورت، أعادت التجمع، وقررت بسرعة أن ذاكرة

السفينة بمجملها بالية، ما عدا وحدة المهمة المركزية. لا يمكن للاستجوابات، مهما تعددت، أن تحدد ما حصل. حتى إن وحدة المهمة المركزية بدت معطوبة. وهذا ما جعل المشكلة سهلة الحل. تبديل وحدة المهمة المركزية. كان هنالك وحدة أخرى، احتياطية، وهي نسخة طبق الأصل عن الأصلية. يجب استبدالها فيزيائياً، لأنه من أجل الأمان، لا يوجد أي نوع من الربط بين الأصلية والاحتياطية. بمجرد استبدال وحدة المهمة المركزية بإمكانها تلقائياً الإشراف على إعادة بناء القسم الباقي من النظام بكل تفاصيله، وكل شيء سيكون في أفضل حال.

تم توجيه الروبوتات لجلب وحدة المهمة المركزية الاحتياطية من الغرفة القوية المدرّعة، حيث كانوا يحرسونها، إلى حجرة السفينة المنطقية لتركيبها.

تضمن ذلك التبادل المطوّل لبروتوكولات وشيفرات الطوارئ حيث كانت الروبوتات تستجوب الوسطاء للتحقق من صحة التعليمات. في النهاية كانت الروبوتات راضية بأن كل الإجراءات كانت صحيحة. فتحوا وحدة المهمة المركزية الاحتياطية من مخزنها، وأخرجوها من حجرة التخزين، ثم سقطوا من السفينة وراحوا يدورون في الفضاء.

قدم هذا أول دليل رئيس على موضع الخطأ. حدد المزيد من التحقيقات بسرعة حقيقة ما حدث. فتح حجر نيزكي حفرة كبيرة في السفينة. لم تكتشف السفينة ذلك مسبقاً لأن الحجر النيزكي أطاح بدقة بالجزء الذي يحتوي على معدات المعالجة في السفينة التي يفترض بها أن تكتشف ارتطام حجر نيزكي بالسفينة.

أول ما يجب فعله هو محاولة إغلاق الحفرة. تبيّن أن ذلك مستحيل لأن حساسات السفينة لم تر أن هناك حفرة، ولم تكن برامج المراقبة، التي

كان عليها أن تقول إن الحساسات لا تعمل جيداً، تعمل جيداً، بل أصرت على أن الحساسات في حال جيدة. لم تتمكن السفينة من الاستدلال على وجود الحفرة إلا من حقيقة أن الروبوتات قد سقطت منها على نحو لا يدع مجالاً للشك، آخذة معها دماغها الاحتياطي، الذي كان سيمكنها من رؤية الحفرة. حاولت السفينة أن تفكر في الموضوع على نحو عقلاني، لكنها فشلت، ومن ثم أغمي عليها تماماً لوهلة. لم تدرك أنه أغمي عليها، بالطبع، لأنه أغمي عليها، بل كادت تُفاجأ من رؤية النجوم تتقافز. بعد ثالث مرة من تقافز النجوم، أدركت السفينة أخيراً أنه لا بد يغمى عليها، وأن الوقت قد حان لأخذ بعض القرارات الحازمة، واسترخت.

ثم أدركت أنها لم تأخذ في الواقع أي قرارات حازمة بعد وأصيبت بالذعر، فأغمي عليها لوهلة مجدداً. لما استيقظت من جديد أغلقت كل الحواجز المحيطة بمكان وجود الحفرة الخفية، حسب معرفتها. فكرت بشكل متقطع أنه من الواضح أنها لم تصل إلى وجهتها بعد، لكن بما أنها لم تعد تملك أدنى فكرة عن مكان الوجهة أو كيفية الوصول إليها، فقد بدت المتابعة في هذه النقطة غير ذات قيمة. راجعت ما أمكنها جمعه من بقايا التعليمات في وحدة المهمة المركزية البالية.

"خاصتك....... سنة المهمة هي أن......، ....، .... أرض.......... مسافة آمنة.........، .... يهبط.......... مراقبتها.......... ...."

كل ما تبقى كان هراء.

كان على السفينة، قبل أن تغمى إلى الأبد، أن تعطي هذه التعليمات، كما هي، إلى أنظمتها الفرعية الأكثر بدائية. وعليها أيضاً أن تنعش كل طاقمها.

كانت هناك مشكلة أخرى. بينما كان أفراد الطاقم في حالة سبات، نُقلت عقولهم، وذكرياتهم، وهوياتهم وفهمهم لما أتوا لفعله كافة، إلى وحدة مهمة السفينة المركزية لحفظها على نحو آمن. الآن، لن يكون للطاقم أدنى فكرة عن هوياتهم أو عما يفعلونه هناك. آه حسناً، وقبل أن تغمى للمرة الأخيرة، أدركت السفينة أن محركاتها بدأت تتخامد أيضاً.

تابعت السفينة مع طاقمها المُنعَش والمرتبك تحركها تحت سيطرة أنظمتها الفرعية الأوتوماتيكية، التي ببساطة بحثت عن مكان للهبوط في أي مكان يمكنها إيجاده للهبوط، وراقبت أي شيء يمكنها إيجاده. فيما خص إيجاد شيء للهبوط عليه، لم تعمل هذه الأنظمة جيداً. فالكوكب الذي وجدته كان مهجوراً وبارداً، وبعيداً على نحو مؤلم عن الشمس التي ينبغي لها أن تدفئه، إلى درجة أنهم احتاجوا إلى كل آلات الإينڤاير-و-فورم وأنظمة دعم الحياة التي يحملونها معهم لإحالته، أو على الأقل أجزاء كافية منه، صالحاً للسكن. كانت هنالك كواكب أفضل في الأرجاء، لكن يبدو أن نظام ستراتيج-و-مات الخاص بالسفينة قد ثُبِّتَ في وضع الاختباء، واختار أبعد الكواكب وأخفاها، وذلك ما لن يتم رفضه إلا من قبل الضابط الاستراتيجي في السفينة. وبما أن الجميع على السفينة قد فقدوا عقولهم، لم يعرف أحد من كان الضابط الاستراتيجي، وإن عرفوا، فكيف له أن يرفض قرار نظام ستراتيج-و-مات الخاص بالسفينة.

أما فيما خص إيجاد شيء لمراقبته، فقد كانوا أوفر حظاً.

الفصل الثاني

أحد الأمور الغريبة فيما يخص الحياة هو نوع الأماكن التي هي على استعداد للحضور فيها. إن الحياة ستجد طريقة دائماً للتشبث في أي مكان يمكنها أن تحكم قبضتها، أكان ذلك في بحار سانتراجينوس V المسكرة، حيث لا تبدو الأسماك مهتمة بالاتجاه الذي تسبح فيه، عواصف فراستا النارية حيث يقال إن الحياة بدأت بدرجة ٤٠,٠٠٠ أو التخفي في المعي الغليظ لجرذ لمجرد الحضور المحض فقط.

وهي ستحضر في نيويورك حتى، على الرغم من صعوبة معرفة السبب. ففي فصل الشتاء تنخفض درجات الحرارة تحت الحد الأدنى القانوني، أو بالأحرى قد تفعل ذلك لو كان أحدهم عاقلاً كفاية لتحديد الحد الأدنى القانوني. في آخر مرة وضع أحدهم لائحة لأشهر مئة سمة شخصية لدى سكان نيويورك، حصلت العقلانية على المرتبة ٧٩.

الحر لا يطاق في الصيف. أن تكون من أشكال الحياة التي تنمو في الحر، كما يفعل سكان فراستا الذين يجدون درجة الحرارة التي تتراوح بين ٤٠,٠٠٠ و٤٠,٠٠٤ مناسبة جداً، شيء، وأن تكون من الحيوانات التي تغطّي نفسها بالكثير من الحيوانات الأخرى في مرحلة من مراحل حركة الكوكب في مداره ومن ثم تكتشف بعد نصف مدار أن جلدك يذوب، هو شيء آخر تماماً.

أما فصل الربيع، فمبالغ في تقديره. العديد من قاطني نيويورك سيتبجحون كثيراً بمباهج فصل الربيع، لكنهم لو علموا أول مباهج فصل الربيع لكانوا سيعرفون في الأقل خمسة آلاف وتسعمئة وثلاثة وثمانين مكاناً أفضل من نيويورك لإمضاء فصل الربيع، وذلك في خط العرض نفسه.

فصل الخريف هو الأسوأ. قليلة هي الأشياء الأسوأ من فصل الخريف في نيويورك. بعض الأشياء التي تعيش في المعي الغليظ لجرذ قد تخالف هذا الرأي. لكن في أي حال، معظم الأشياء التي تعيش في المعي الغليظ لجرذ كريهة، لذا يمكن، بل وينبغي، إهمال رأيها. حينما يحل فصل الخريف في نيويورك تكون للهواء رائحة كأن أحدهم يقلي ماعزاً فيه، وإن كنت متحمساً للتنفس فإن أفضل طريقة هي أن تفتح نافذة وتقحم رأسك في مبنى.

أحبت تريشا ماكميلان نيويورك، ولم تتوقف عن قول ذلك لنفسها مراراً وتكراراً. أبر ويست سايد. أجل. ميدتاون. هيه! متاجر رائعة. سوهو. إيست ڤيليدج[1]. ثياب. كتب. سوشي. مأكولات إيطالية. محال الوجبات الجاهزة. مطاعم يابانية.

أفلام. مطاعم يابانية أيضاً. كانت تريشا قد شاهدت مؤخراً فيلم وودي آلن[2] الذي يتحدث عن القلق من الاضطراب العصبي في نيويورك. سبق له أن أنتج فيلماً أو اثنين خاضا في الموضوع نفسه، وتساءلت تريشا إن كان قد فكر في الانتقال، لكنها سمعت أنه معارض للفكرة. لذا، خمنت أنه سيكون هناك المزيد من الأفلام.

---

(١) أبر إيست سايد، ميدتاون، سوهو، إيست ڤيليدج: أسماء أحياء سكنية في نيويورك – المترجم.

(٢) مخرج، كاتب، وممثل أمريكي – المترجم.

أحبت تريشا نيويورك، لأن حُبّ نيويورك هو خطوة في الاتجاه الصحيح فيما يخص العمل. فهي كذلك فيما يخص المتاجر، والمطاعم، لكنها لم تكن جيدة لسيارات الأجرة أو الأرصفة عالية الجودة. لكنها بلا شك خطوة من أهم وأفضل الخطى في الاتجاه الصحيح فيما يخص العمل. كانت تريشا مذيعة تلفزة، وكانت نيويورك المكان الذي تبث منه معظم القنوات، إلا أن عملها التلفزي كان محصوراً في بريطانيا حتى تلك اللحظة، وتضمن: أخبار محلية، أخبار صباحية، وأخبار مسائية. كان من الممكن تسميتها، لو سمحت اللغة، المذيعة الصاعدة بقوة، لكن... هذه تلفزة، ففيما يهم الأمر؟ لقد كانت مذيعة صاعدة بقوة، وكانت تمتلك مقومات ذلك: شعر جميل، فهم عميق للمع الشفاه الاستراتيجي، الذكاء الكافي لفهم العالم والقليل من الموت الداخلي السريّ الذي عنى أنها لم تكن تبالي. لكل فرصته في الحياة، فإن ضيعت فرصتك التي تحب، فسيصبح كل شيء آخر سهل على نحو غريب.

لم يسبق لتريشا سوى أن فوتت فرصة واحدة. إلا أن التفكير في الأمر لم يعد يجعلها ترتعد هذه الأيام مثلما كان يفعل سابقاً. ظنت أن السبب في ذلك هو ذاك الجزء الذي مات منها.

كانت إن بي إس[1] تحتاج إلى مذيعة جديدة لأن مو منيتي ستترك البرنامج الصباحي يو إس/إي إم لأنها ستنجب طفلاً. عُرِضَ عليها مبلغ مذهل من المال للبقاء في البرنامج، لكنها رفضت، على نحو غير متوقع، على خلفية الميل والخصوصية الشخصيين. تفحصت فرق المحامين التابعين لإن بي إس عقدها ليروا إن كانت أسبابها تشكل دوافع صحيحة، لكن في

(١) قد يكون المقصود هنا إن بي سي: شبكة إخبارية أمريكية – المترجم.

النهاية، وعلى مضض، كان عليهم تركها تذهب، كان ذلك مزعجاً جداً لهم لأن مصطلح «ترك أحدهم يذهب على مضض» كان له معنى عكسي في هذه الحالة.

انتشر الخبر بأن اللكنة البريطانية قد تكون مناسبة. على الشعر، لون البشرة وجسور الأسنان أن تكون على مستوى مقاييس الشبكات المتلفزة الأمريكية، لكن كان هناك الكثير من اللكنات البريطانية تشكر أمهاتها أثناء استلام جوائز الأوسكار، الكثير من اللكنات البريطانية تغني في مسرح برودوي، وعدد كبير غير اعتيادي من الجمهور يتابع اللكنة البريطانية في التوبيخ العنيف في مسلسل ماستربيس ثياتر. كانت اللكنات البريطانية تلقي النكت في برنامجي ديڤيد ليترمان وجاي لينو[1]، لم يفهم أحد النكت لكنهم كانوا يتفاعلون مع اللكنة. لذا ربما يكون الوقت مناسباً للكنة البريطانية في برنامج يو إس / إي أم. حسناً. بالتأكيد.

لهذا السبب كانت تريشا هنا. ولهذا السبب كان حبها لنيويورك خطوة كبيرة في الاتجاه الصحيح فيما يخص العمل.

إنما، بالطبع لم يكن السبب المعلن. فالشركة التلفزية التي تعمل لصالحها في المملكة المتحدة قد لا تدفع تكاليف الرحلة الجوية وفاتورة الفندق لذهابها للبحث عن عمل في مانهاتن. وبما أنها كانت خلف مرتب أعلى بعشرة أضعاف من مرتبها الحالي، فلربما شعروا أن بإمكانها دفع التكاليف. إلا أنها وجدت قصة، وجدت ذريعة، حافظت على صمتها بخصوص ما هو غير معلن، ودفعوا لها أجور الرحلة. تذكرة فئة الأعمال

(١) ديڤيد ليترمان وجاي لينو: مقدما برامج أمريكيان.

بالطبع، لكنها كانت معروفة، وبإمكانها الترقية. تصرفاتها الصحيحة أوصلتها إلى غرفة لطيفة في فندق برينتوود، وها هي ذي، تتساءل عما ستفعله بعد ذلك.

أن تكون لديك معلومة شيء، وأن تتصل بأحدهم مباشرة شيء آخر. كان لديها أسماء عدة وأرقام هواتف، لكن كل ما تطلبه الأمر هو جعلها تنتظر على نحو غير محدد لمرتين وتعود إلى نقطة الصفر. قدمت عروضاً مؤقتة، تركت رسائل، لكن لم يُرَدّ على أي منها حتى الآن. العمل الفعلي الذي أتت لتقوم به أنجزته في الصباح، أما العمل الخيالي الذي كانت بصدده فكان يومض مُعَذِّباً إياها في أفق لا يُنَال.

تباً.

استقلت سيارة أجرة من السينما عائدة إلى فندق برينتوود، لكن السيارة لم تستطع الوصول إلى الحاجز الحجري لأن سيارة ليموزين ضخمة كانت تحتل كل المساحة المتاحة، وكان على تريشا أن تمر بصعوبة جانبها.

خرجت من الهواء النتن، ذي الرائحة الشبيهة برائحة قلي الماعز، ودخلت في برودة الردهة العليلة. كان قميصها المصنوع من القطن الفاخر يلتصق بجسدها كالسخام. بدا شعرها كأنها اشترته على مضض من معرض. سألت عند طاولة الاستقبال إن كان هناك أي رسائل، وهي لا تتوقع وجود أي واحدة. كانت هنالك رسالة.

آه...

جيد.

نجح الأمر، لقد خرجت إلى السينما خصيصاً لتجعل الهاتف يرن. لم تكن لتحتمل الجلوس والانتظار في غرفة فندق.

تساءلت إن كان عليها فتح الرسالة هنا. كانت ملابسها تضايقها وكانت تتوق إلى خلعها جميعها والاستلقاء على السرير. خفضت درجة حرارة مكيف الهواء إلى أقصى حد، ورفعت من سرعة مروحته إلى أعلى درجة. ما أرادته الآن أكثر من أي شيء آخر في العالم هو القشعريرة، ثم حماماً ساخناً، ثم حماماً بارداً، ثم الاستلقاء على منشفة، على السرير مجدداً، لتجف تحت تأثير مكيف الهواء. ثم قراءة الرسالة، وربما المزيد من القشعريرة، ربما كل الأشياء.

لا. ما أرادته أكثر من أي شيء في العالم كان عملاً في تلفزة أمريكية بمرتب أعلى من مرتبها الحالي بعشرة أضعاف. أكثر من أي شيء آخر في العالم. في العالم. ما أرادته أكثر من أي شيء على الإطلاق لم يعد مشكلة قائمة.

جلست على كرسي في الردهة، تحت شجرة نخيل مجعد، وفتحت المظروف المؤطّر بالسيلوفان.

كانت الرسالة تقول: «اتصلي رجاءً، لست سعيدة.» وفيها رقم هاتف. كان الاسم غيل آندروس.

غيل آندروس.

لم يكن اسماً تتوقعه، لقد فاجأها.

لم يكن غريباً عنها، لكنها لم تعرف كيفية ذلك مباشرة. هل هي سكرتيرة آندي مارتن؟ مساعدة هيلاري بيس؟ فهي لم تتصل، أو تحاول

الاتصال، مباشرة سوى بمارتن وبيس، في شبكة إن بي إس. وماذا كانت تعني عبارة «لست سعيدة»؟

«لست سعيدة؟»

كانت مرتبكة تماماً. هل كانت تلك محاولة من وودي آلان للاتصال بها تحت اسم مستعار؟ كان رمز المنطقة ٢١٢، وذلك يعني أن الشخص في نيويورك. وكان غير سعيد. حسناً، ذلك ضيّق دائرة البحث قليلاً، أليس كذلك؟

عادت إلى طاولة موظف الاستقبال.

قالت: «لدي مشكلة في هذه الرسالة التي أعطيتني إياها للتو، شخص لا أعرفه حاول الاتصال بي وتقول بأنها ليست سعيدة».

حدّق موظف الاستقبال إلى الرسالة عابساً.

قال: «هل تعرفين هذا الشخص؟»

قالت تريشا: «لا،»

فكّر موظف الاستقبال وقال: «يبدو أن شيئاً ما يجعلها غير سعيدة».

قالت تريشا: «نعم،»

قال موظف الاستقبال: «يبدو أن هناك اسماً هنا، غيل آندروس. هل تعرفين أحداً بهذا الاسم؟»

قالت تريشا: «لا».

-«هل لديك فكرة عن سبب عدم سعادتها؟»

قالت تريشا: «لا،»

- «هل اتصلت برقم الهاتف؟ يوجد رقم هاتف هنا».

قالت تريشا: «لا، لقد أعطيتني الورقة للتو، أحاول الحصول على معلومات إضافية قبل أن أتصل. ربما أستطيع التحدث إلى الشخص الذي رد على الاتصال؟»

فكّر موظف الاستقبال وهو يدقق في الورقة بعناية وقال: «لا أظن أن لدينا أحداً هنا اسمه غيل آندروس».

قالت تريشا: «لا، أعرف ذلك، كل ما أريد»...

قال صوت من خلف تريشا: «أنا غيل آندروس».

استدارت تريشا إلى الخلف وقالت: «المعذرة؟»

-«أنا غيل آندروس. لقد أجريت معي مقابلة هذا الصباح».

قالت تريشا بقليل من الإرباك: «آه. آه يا للسماء، نعم،»

-«تركت لك رسالة منذ ساعات عدة ولم يصلني رد، لذا مررت. لم أرد أن أفقدك».

قالت تريشا وهي تحاول بجهد أن تجاريها في الحديث: «آه، لا، بالطبع،»

قال موظف الاستقبال الذي لم تكن تعنيه المجاراة في الحديث: «لا علم لي بذلك، هل تودين أن أحاول الاتصال بهذا الرقم الآن؟»

قالت تريشا: «لا، شكراً، لا مشكلة، يمكنني معالجة الأمر الآن».

قال موظف الاستقبال وهو يحدق إلى الورقة مجدداً: «يمكنني الاتصال برقم هاتف الغرفة إن كان في ذلك عون لك،»

قالت تريشا: «لا، ذلك ليس ضرورياً، شكراً. ذلك رقم هاتف غرفتي. الرسالة لي. أظننا حللنا المشكلة الآن».

قال موظف الاستقبال: «طاب يومك».

لم ترد تريشا بالتحديد أن يطيب يومها. لقد كانت مشغولة.

لم ترد أيضاً التحدث إلى غيل آندروس، كانت متزمتة جداً فيما يخص الاختلاط الودّي مع المسيحيين. أطلق زملاؤها اسم "مسيحيين" على الأشخاص الذين تُجرِي معهم مقابلات، وغالباً ما كانوا يرسمون إشارة الصليب عندما يرون أحدهم يمشي ببراءة إلى الاستوديو لمواجهة تريشا، ولا سيما إذا كانت الأخيرة تبتسم بود وأسنانها ظاهرة.

استدارت تريشا وابتسمت بتحفظ، وتساءلت عما يجب فعله.

كانت غيل آندروس امرأة واسعة الخبرة في منتصف عقدها الخامس من العمر. ثيابها ضمن حدود الذوق الجيد باهظ الثمن، لكنها بلا شك في الحدود الدنيا من هذا الذوق. كانت منجمة مشهورة، وإذا صحّت الشائعات، منجمة ذات تأثير، تزعم أنها أثّرت في عدد من قرارات الرئيس السابق هودسون، التي تضم كل شيء بين نوعية الكريمة التي يتناولها في كل يوم من أيام الأسبوع، وقرار قصف دمشق من عدمه.

هاجمتها تريشا بشراسة إلى حد ما. ليس على خلفية صحة الشائعات التي تخص الرئيس، فذلك تمت مناقشته من قبل. حيث إن السيدة آندروس

في ذلك الوقت نفت بكل تأكيد أن تكون قد نصحت الرئيس بأي شيء خارج حدود أموره الشخصية، الروحية، أو حميته الغذائية، التي من الواضح أنها لم تتضمن قصف دمشق. (في ذلك الوقت كانت المجلات تضج بعناوين مثل 'إن الأمر ليس شخصياً يا دمشق!')

كلا، كانت تلك زاوية موضوعية أنيقة أتت بها تريشا فيما يخص موضوع التنجيم بحد ذاته. لم تكن السيدة آندروس مستعدة لها إطلاقاً. وفي المقلب الآخر، لم تكن تريشا مستعدة إطلاقاً لجولة أخرى في ردهة الفندق. ما العمل؟

قالت غيل آندروس: «يمكنني انتظارك في الحانة، إن كنت مشغولة قليلاً، لكنني أود التكلم معك، وسأغادر المدينة هذه الليلة».

بدت قلقة قليلاً من شيء ما، أكثر منها محزونة أو غاضبة.

قالت تريشا: «حسناً، أمهليني عشر دقائق».

صعدت تريشا إلى غرفتها. بمعزل عن أي شيء، لم تكن واثقة من قدرة الشاب، خلف مكتب الرسائل في الاستقبال، على التعامل مع أي شيء معقد مثل رسالة تريد أن تكون متأكدة أنه لم يتم وضعها تحت الباب. فلقد سبق أن حصل خلاف كامل بين الرسائل في مكتب الرسائل والرسائل تحت الباب.

لم تكن هناك رسالة.

لكن ضوء الرسائل كان يومض على الهاتف.

ضغطت زر الرسالة وتكلمت مع عاملة المقسم في الفندق.

قالت العاملة: «لديك رسالة من غاري آندريس».

اسم غير مألوف. قالت تريشا: «نعم؟ ماذا تقول؟»

قالت العاملة: «لست هيبياً».

قالت تريشا: «لست ماذا؟»

- «مكتوب هيبي. يقول الشاب إنه ليس هيبياً. أعتقد أنه يريدك أن تعرفي ذلك. هل تريدين الرقم؟»

وبمجرد أن بدأت تملي عليها الرقم أدركت تريشا أن هذه نسخة محرّفة من الرسالة التي معها في الأصل.

قالت: «حسناً، حسناً. هل هناك رسائل أخرى لي؟»

- «رقم الغرفة؟»

لم تتمكن تريشا من معرفة السبب في سؤال عاملة المقسم المفاجئ عن رقمها في هذه المرحلة المتأخرة من المحادثة، لكنها أعطتها إياه في أي حال.

«الاسم؟»

هجأت تريشا اسمها بصبر: «ماكميلان، تريشا ماكميلان».

- «لست السيد ماكمانوس؟»

- «لا».

- «لا يوجد رسائل أخرى لك». وأغلقت العاملة السماعة.

تنهدت تريشا واتصلت من جديد، هذه المرة أعطت اسمها ورقم الغرفة من جديد منذ البداية. لم تظهر العاملة أي قدر من تمييز أنهما كانتا تتكلمان منذ أقل من عشر ثوان.

قالت تريشا شارحة: «سأكون في الحانة. في الحانة. إذا جاءني اتصال هاتفي، هلا تفضلت وحولته إليّ في الحانة؟»

- «الاسم؟»

راجعتا الترتيب مرتين إضافيتين حتى تأكدت تريشا من أن كل ما يمكن أن يكون واضحاً كان في أوضح ما يمكن.

اغتسلت، ولبست ملابس جديدة، وأعادت ترتيب تبرجها بسرعة محترفة، وتركت الغرفة مجدداً وهي تنظر إلى سريرها بحسرة.

كان لديها ميل لأن تفر وتختفي.

لا. ليس الأمر جدياً.

نظرت إلى نفسها في مرآة ردهة المصعد حين كانت تنتظر. بدت هادئة ومسيطرة، وإذا تمكنت من خداع نفسها فبإمكانها خداع أي شخص.

كانت ستمضي وقتاً عصيباً مع غيل آندروس. حسناً، لقد كانت قاسية معها. عذراً، لكن تلك هي اللعبة التي نلعبها، أو شيء من هذا القبيل. كانت السيدة آندروس قد وافقت على إجراء المقابلة لأنها بصدد نشر كتاب جديد، وكان الظهور المتلفز عبارة عن دعاية مجانية. إنما ليس هنالك شيء اسمه إطلاق مجاني. لا، لقد حذفت ذلك السطر مجدداً.

كان ما حدث هو التالي:

أعلن الفلكيون الأسبوع الماضي أنهم اكتشفوا أخيراً كوكباً عاشراً، خلف مدار بلوتو. كانوا يبحثون عنه لسنوات، منقادين خلف شذوذ مداري أكيد في الكواكب الخارجية، والآن بعد أن وجدوه أصبحوا

مسرورين بشدة، والجميع أضحى سعيداً بشدة لأجلهم، وهلم جرا. سُمّي الكوكب بيرسيفون، لكن سرعان ما أصبح يدعى روبرت، تيمناً باسم ببغاء أحد الفلكيين، إذ إن هناك قصة مفرحة على نحو ممل مرتبطة بهذا الأمر، وكل ذلك كان رائعاً وحلواً.

تابعت تريشا القصة باهتمام كبير، لأسباب عدة.

حينذاك، وبينما كانت تبحث بجد عن عذر مقبول للذهاب إلى نيويورك على نفقة شركة التلفزة التي تعمل لأجلها، انتبهت إلى بيان رسمي عن غيل آندروس، وكتابها الجديد، أنت وكواكبك.

لم يكن اسم غيل آندروس يشبه أسماء ربّات المنازل، لكن في اللحظة التي تذكر فيها الرئيس هودسون، الكريمة واستئصال دمشق (لم يعد العالم يستخدم مصطلح ضربات جراحية. لقد كان المصطلح الرسمي "داماسكيتومي" الذي يعني "التخلص" من دمشق)، سيذكر الجميع الشخص المقصود.

رأت تريشا وجهة نظر وقدمتها بسرعة للمنتج.

بالطبع، قد تضررت فكرة أن كتلاً صخرية هائلة تدور في الفضاء تعرف عنك أشياء لا تعرفها أنت، من حقيقة اكتشاف كتلة صخرية هناك لم يعلم أحد عنها شيئاً قبل الآن.

لا بد أن ذلك سيعيد بعض الحسابات، أليس كذلك؟

ماذا عن خرائط النجوم والحركات الكوكبية وغيرها؟ يبدو أننا نعرف ماذا يحصل عندما يدخل كوكب نيبتون في برج العذراء وإلى ما هنالك، لكن

ماذا عن شروق روبرت؟ ألا يجب إعادة التفكير في علم التنجيم ككل؟ أليس الوقت مناسباً الآن للاعتراف أن كل ذلك كان كلاماً فارغاً والقبول بإقامة حظائر خنازير عوضاً من ذلك، حيث إن مبادئ الأخيرة مبنية على أسس منطقية نوعاً ما؟ لو أننا عرفنا بوجود روبرت منذ ثلاث سنوات، ألا يمكن للرئيس هودسون أن يكون تناول الكريمة بطعم توت العلّيق يوم الخميس عوضاً عن يوم الجمعة؟ ألا يمكن أن تكون دمشق قد صمدت؟ تساؤلات من هذا القبيل.

تقبّلت غيل آندروس كل ذلك على نحو معقول. كانت تستعيد رباطة جأشها من الهجوم الأولي عندما اقترفت الخطأ الفادح بمحاولة التخلص من تريشا عن طريق الحديث الدمث عن المسارات النهارية للكواكب، المطالع السماوية، وبعض المجالات المبهمة لعلم المثلثات ثلاثية الأبعاد.

اكتشفت مصدومة أن كل ما قدمته لتريشا عاد إليها أعقد مما يمكنها أن تستوعب. لم يحذر أحد غيل من أن وظيفة المذيعة الجميلة والضحلة هي ثاني محاولة للتوظيف تقوم بها تريشا في حياتها. فخلف ملمّع الشفاه ماركة «شانيل»، وشعرها الجامح، وعدستي عينيها الزرقاوين الكريستاليتين يوجد دماغ استحوذ لنفسه، في فترة سابقة ومنسية من حياتها، على شهادة من الدرجة الأولى في الرياضيات، ودكتوراه في الفيزياء الفلكية.

بينما كانت تدخل المصعد، أدركت تريشا، وهي مشغولة البال قليلاً، أنها نسيت حقيبتها في غرفتها، وتساءلت ما إن كان عليها العودة لجلبها. لا. في الأرجح أنها في مأمن أكثر حيث هي، كما أنها لم تكن خلفها.

قالت لنفسها وهي تأخذ نفساً عميقاً، بالإضافة إلى أن الحياة علمتها ألا تعود مطلقاً لتجلب محفظتها.

مع هبوط المصعد راحت تنظر إلى السقف بتركيز. من لا يعرف تريشا ماكميلان سيقول إن هذه هي الطريقة التي ينظر بها الناس إلى الأعلى عندما يحاولون كبح دموعهم. لا بد أنها كانت تحدق إلى كاميرات المراقبة الصغيرة المُرَكَّبة في الزاوية.

بعد دقيقة خرجت من المصعد وهي تخطو برشاقة واتجهت إلى مكتب الاستقبال مجدداً.

قالت: «سأكتب الملاحظة هذه المرة، لأني لا أريد أن يحصل أي خطأ».

كتبت اسمها بحروف كبيرة على قصاصة ورق، ثم كتبت رقم غرفتها، ثم كتبت «في الحانة» وأعطتها إلى موظف الاستقبال الذي نظر إليها.

- «هذه في حال جاءتني رسالة، موافق؟»

استمر موظف الاستقبال ينظر إلى الورقة.

قال: «هل تريدينني أن أتأكد من وجودها في غرفتها؟»

بعد دقيقتين كانت تريشا تجلس وهي تدور على كرسي الحانة إلى جانب غيل آندروس، التي كانت تجلس وأمامها كأس من النبيذ الأبيض.

قالت: «لقد فوجئت من كونك شخصاً يفضل الجلوس في حانة على الجلوس برزانة إلى طاولة».

كان ذلك صحيحاً، وفاجأ تريشا قليلاً.

قالت غيل: «ڤودكا؟»

قالت تريشا بريبة: «نعم،» ثم منعت نفسها عن السؤال: «كيف عرفت؟» لكن غيل أجابت في أي حال.

قالت بابتسامة عطوف: «لقد سألت الساقي».

جهّز الساقي الفودكا لها وأزلقها بشكل فاتن عبر خشب طاولة الحانة اللامع.

قالت تريشا: «شكراً لك،» وهي تحركها بعنف.

لم تعرف كيف تتعامل مع كل هذه اللطافة المفاجئة، وقررت ألا تنخدع بها، فالناس في نيويورك ليسوا لطفاء مع بعضهم من دون سبب.

قالت بثبات: «سيدة آندروس، يؤسفني أنك لست سعيدة، أعرف أنك تشعرين أني كنت قاسية قليلاً معك هذا الصباح، لكن التنجيم ليس أكثر من ترفيه لعامة الشعب، ولا ضير في ذلك، إنه جزء من صناعة الإعلام، وهو جزء كنت بارعة فيه، أتمنى لك التوفيق. إنه مسلٍّ، لكنه ليس علماً، ولا ينبغي عدّه، خطأً، علماً، أعتقد أن هذا شيء تمكنا معاً من إيضاحه بنجاح هذا الصباح، وفي الوقت نفسه قدمنا بعض التسلية للعامة، وهذا ما نفعله لنكسب قوتنا، يؤسفني أن تكون لديك مشكلة في ذلك».

قالت غيل آندروس: «أنا سعيدة تماماً،»

قالت تريشا: «أوه،» وهي غير واثقة كيف تتعامل مع هذا الرد، ثم تابعت: «مكتوب في رسالتك أنك لست سعيدة».

قالت غيل آندروس: «لا، قلت في رسالتي إنني ظننت أنك غير سعيدة، وكنت أتساءل عن السبب».

شعرت تريشا كأن أحداً ركلها على مؤخرة رأسها، وطرفت عينيها.

قالت بهدوء: «ماذا؟»

- «الأمر متعلق بالنجوم. بدوت غاضبة وغير سعيدة حيال شيء ما متعلق بالنجوم والكواكب عندما كنا نجري المناقشة، وكان الأمر يزعجني، لذلك أتيت لأرى إن كنت على خير ما يرام».

حدّقتها تريشا وبدأت تقول: «سيدة آندروس»... ثم توقفت وأدركت أن نبرتها غاضبة وغير سعيدة، وأنها أضعفت الحجة التي كانت تحاول تقديمها.

- «من فضلك، نادني غيل إن لم يكن لديك مانع».

بدت تريشا مرتبكة.

قالت غيل: «أعرف أن التنجيم ليس علماً، بالطبع ليس كذلك. إنه عبارة عن مجموعة قواعد اعتباطية، مثل الشطرنج أو كرة المضرب، أو، ما هو ذلك الشيء الغريب الذي تفعلونه أيها البريطانيون؟»

- «إيه، كريكيت؟ احتقار الذات؟»

- «الديمقراطية البرلمانية. قواعده موجودة فحسب. وهذه القواعد ليس لها أي معنى خارج حدودها نفسها. إنما، حينما تبدئين بممارسة هذه القواعد، تبدأ كل أنواع العمليات بالحدوث، وتبدئين باكتشاف كل الأشياء عن الناس. أما فيما يخص التنجيم فقد اتفق لهذه القواعد أن تكون متعلقة بالنجوم والكواكب، لكن يمكن أن تكون متعلقة بالبط، ذكوراً وإناثاً، إن كان ذلك سيشكل فرقاً. إنه مجرد طريقة للتفكير في مشكلة، وهذه الطريقة تسمح لشكل المشكلة بالظهور. فهذه القواعد ستصبح أصغر بازدياد عددها، وسيكون الوضع أفضل باعتباطيتها. إنها مثل رمي ملء قبضة من غبار الغرافيت على قطعة من الورق لمعرفة مكان التجعدات. فهي تسمح

لك برؤية الكلمات التي كانت مكتوبة على الورقة فوقها بعد أن أُزيلت. الغرافيت ليس مهماً. إنه مجرد وسيلة لكشف التجعدات. أرأيت، لا علاقة للتنجيم بعلم الفلك. إنه متعلق بأناس يفكرون في أناس آخرين. لذا، لما ازداد، لا أعرف، تركيزك بانفعال على النجوم والكواكب هذا الصباح، بدأت أفكر، إنها ليست غاضبة من التنجيم، إنها حقاً غاضبة وغير سعيدة من نجوم وكواكب حقيقية. لا يغضب الناس وتصيبهم هذه التعاسة إلا إذا كانوا أضاعوا شيئاً. هذا كل ما خطر في بالي ولم أتمكن من فهم الأمر أكثر من ذلك. لذا قدمت لأرى إن كنت على خير ما يرام».

كانت تريشا مذهولة.

لقد بدأ جزء من دماغها للتو يحاول تحليل الكثير من الأمور، كان منشغلاً بمحاولة تبيان كم هي سخيفة الأبراج التي تظهر في الصحف، وكمية الحيل الإحصائية التي يقومون بها على الناس من خلالها. إلا أن عزيمة هذا الجزء وهنت تدريجياً، لأنه أدرك أن القسم المتبقي من دماغها لم يكن يستمع إليه. لقد كانت مذهولة تماماً.

لقد أخبرتها هذه الإنسانة الغريبة كلياً شيئاً حافظت على سريته لسبعة عشر عاماً.

استدارت لتنظر إلى غيل وقالت: «أنا»... ثم توقفت.

استدارت كاميرا مراقبة صغيرة خلف طاولة الحانة لملاحقة حركاتها، وذلك حيرها تماماً. لم يكن معظم الناس ليلاحظوها. لم تُصَمَّم كي تُلاحَظ. لم تُصَمَّم لتوحي بأن حتى الفنادق الفخمة والباهظة في نيويورك هذه الأيام ليست متأكدة من أن روّادها لن يشهروا مسدساً على حين غرة أو لن يرتدوا

ربطة عنق. وعلى الرغم من أنها مخبّأة بدقة خلف الڤودكا، لم تتمكن من خداع الغريزة عالية التدريب لمذيعة تلفزية، التي كانت مهمتها، أي الغريزة، معرفة متى بالضبط تستدير كاميرا لتنظر إليها.

سألت غيل: «هل هنالك خطب ما؟»

قالت تريشا: «لا، أنا... علي القول إنك أدهشتني». وقررت تجاهل كاميرا المراقبة. لم يتعدَّ الأمر كونه حيلة من حيل مخيلتها لأنها فكرت في التلفزة كثيراً اليوم. لم تكن المرة الأولى التي تحصل. فلقد كانت مقتنعة أن كاميرا مراقبة حركة المرور قد دارت لمتابعتها عندما مرت أمامها، وبدا أن كاميرا المراقبة في بلومينغديل[1] كانت تحاول إعطاء رأي معين حين كانت تراقبها وهي تجرّب القبعات. لا بد أنها تتخيل الأمور. لقد تخيلت أيضاً أن عصفوراً في سينترال بارك[2] كان يحدق إليها بتركيز.

قررت أن تخرج هذه الأفكار من رأسها، وارتشفت من كأس الڤودكا خاصتها. كان أحدهم يطوف حول طاولة الحانة ويسأل الناس إن كانوا السيد ماكمانوس.

قالت تريشا بغتة: «حسناً، لا أعرف كيف اكتشفت ذلك، لكن»...

- «لم أكتشف ذلك، كما قُلتِها، لقد استمعت إلى ما كنت تقولينه فحسب».

- «أظن أن ما أضعته هو حياة أخرى برمتها».

---

(١) سلسلة متاجر فاخرة في الولايات المتحدة الأمريكية – المترجم.

(٢) حديقة في مانهاتن، نيويورك – المترجم.

- «الكل يفعل ذلك، في كل لحظة من كل يوم. فكل قرار نتخذه، وكل نفس نستنشقه يفتح بعض الأبواب ويغلق أبواباً كثيرة، لا ننتبه إلى معظمها. إنما قد ننتبه إلى بعضها، ويبدو أنك انتبهت إلى واحد منها».

قالت تريشا: «آه نعم، لقد انتبهت. حسناً، هذا ما حصل، ببساطة شديدة. منذ سنوات عدة التقيت بشاب في حفل، قال إنه من كوكب آخر، وسألني إن كنت أريد الذهاب معه. قلت، نعم، موافقة. لقد كان حفلاً من ذلك النوع الغريب. قلت له أن ينتظر ريثما أذهب لإحضار حقيبتي وبعدها سأكون مسرورة للذهاب إلى كوكب آخر معه. قال إني لن أحتاج حقيبتي. قلت إن من الواضح قد أتى من كوكب متخلف جداً وإلا كان سيعلم أن المرأة تحتاج دائماً لأخذ حقيبتها معها. نفد صبره قليلاً، لكنني لن أكون سهلة المنال فقط لأنه قال إنه من كوكب آخر.

صعدت السلالم، ولزمني بعض الوقت لإيجاد حقيبتي، وبعد ذلك كان هنالك شخص آخر في الحمام. نزلت إلى الأسفل، وكان قد غادر».

توقفت تريشا.

قالت غيل: «و...؟»

- «كان باب الحديقة مفتوحاً، فخرجت، كانت هنالك أضواء، أشياء تومض، وصلت في الوقت المناسب لأراها ترتفع في السماء، وتنطلق بصمت عبر الغيوم وتختفي. كان ذلك كل شيء. نهاية القصة. نهاية حياة، وبداية أخرى. إنما، تكاد لا تمر لحظة من هذه الحياة دون أن أتساءل عن تريشا مختلفة. تريشا لم تذهب لتحضر حقيبتها. أشعر أنها هناك في مكان ما وأنني أعيش في ظلها».

في هذه الأثناء، كان أحد موظفي الفندق يتنقل حول طاولات الحانة سائلاً الناس إن كانوا السيد ميلر. لم يكن أحد كذلك.

سألت غيل: «أحقاً تعتقدين أن هذا... الشخص من كوكب آخر؟»

- «آه، بالتأكيد. كانت هنالك سفينة فضائية. وكان لديه رأسان أيضاً».

- «اثنان؟ ألم يلاحظ ذلك أي أحد آخر؟»

- «كان حفل أزياء تنكرية».

- «فهمت»...

- «وبالطبع، كان يضع قفص عصافير فوق أحد الرأسين. وفوق القفص توجد قطعة قماش. كان يتظاهر بأن لديه ببغاء، ينقر على القفص فيصيح ويتلفّظ بالعديد من الكلمات الببغائية وإلى ما هنالك. بعد ذلك رفع قطعة القماش لوهلة وهدر ضاحكاً. كان هنالك رأس آخر يضحك معه. أؤكد لك أنها كانت لحظة مقلقة».

قالت غيل: «أعتقد أنك فعلت الأمر الصواب يا عزيزتي، ألا تظنين ذلك؟»

قالت تريشا: «لا، لا أظن ذلك. ولم أتمكن من الاستمرار في ما كنت أفعله أيضاً. كنت عالمة فيزياء فلكية، كما تعلمين. لا يمكنك أن تكوني عالمة فيزياء فلكية ناجحة إذا قابلت أحدهم من كوكب آخر لديه رأس ثان يدعي أنه ببغاء. لا تستطيعين فعل ذلك وحسب. في الأقل أنا لم أستطع».

- «أتفهم أن الأمر قد يكون صعباً، وذلك قد يكون السبب في غضبك الزائد قليلاً تجاه الناس الذين يتفوهون بما يبدو هراء خالصاً».

قالت تريشا: «نعم، أظن أنك محقّة. أنا آسفة».

- «لا بأس في ذلك».

- «بالمناسبة، أنت أول شخص أخبره بذلك على الإطلاق».

- «كنت أتساءل. هل أنت متزوجة؟»

- «إيه، لا. من الصعب معرفة ذلك هذه الأيام أليس كذلك؟ لكنك مصيبة في أن تسألي لأن ذلك قد يكون السبب. إلا أنني أوشكت أن أتزوج مرات عدة، والسبب غالباً أنني أردت أن يكون لي ولد. إنما، كان ينتهي المطاف بكل شاب يسألني لم أتوقع حدوث أمر سيئ تجاهه. ما الذي ستقولينه؟ في إحدى المراحل فكرت في احتمالية ذهابي إلى بنك النطاف وأجرب حظي بأن أنجب ابن أحدهم، هكذا، عشوائياً».

- «لا يمكن أن تكوني جادة حيال الأمر، أليس كذلك؟»

ضحكت تريشا وقالت: «في الأغلب لا. لم أذهب في الحقيقة لأكتشف ذلك. لم أفعلها. قصة حياتي، لم أفعل قط الشيء الحقيقي. لهذا السبب أنا أعمل في التلفزة كما أظن. لا شيء حقيقي».

- «عذراً أيتها السيدة، هل اسمك تريشا ماكميلان؟»

نظرت تريشا حولها بدهشة. كان هنالك رجل يقف مرتدياً قبعة سائق سيارة.

قالت: «نعم،» وهي تستجمع رباطة جأشها من جديد.

- «أيتها السيدة، إنني أبحث عنك منذ ساعة تقريباً. قال موظفو الفندق إن ليس لديهم أحد بهذا الاسم، لكنني تحققت من مكتب السيد مارتن

وقالوا إنه المكان الذي تنزلين فيه بلا شك. لذا سألت مجدداً، وبقوا مصرين أنهم لم يسمعوا بك، لذا طلبت إليهم أن يستعيدوك عبر الاستعلامات في أي حال، ولم يتمكنوا من إيجادك. في النهاية عدت إلى المكتب لأرسل صورة لك عبر الفاكس إلى السيارة، وتوجب علي البحث بنفسي».

نظر إلى ساعته وقال: «ربما تأخر الوقت قليلاً الآن، لكن هل تودين الذهاب في أي حال؟»

كانت تريشا مذهولة، قالت: «السيد مارتن؟ هل تقصد آندي مارتن من إن بي إس؟»

- «صحيح أيتها السيدة. اختبار الشاشة لبرنامج يو إس / إي إم»

قفزت تريشا من كرسيها. لم تتمكن من التفكير في كل الرسائل التي سمعت بها للسيد ماكمانوس والسيد ميلر.

قال سائق السيارة: «علينا أن نسرع فقط، فكما سمعت إن السيد مارتن يعتقد أن من المفيد تجريب لكنة بريطانية. مديره في الشبكة معارض للفكرة تماماً. والأخير هو السيد زوينغلر، وتصادف لي أن أعرف أنه سيسافر جواً إلى الساحل هذا المساء لأنني الشخص الذي سيأخذه إلى المطار».

قالت تريشا: «حسناً، أنا جاهزة. فلنذهب».

- «حسناً أيتها السيدة، إنها الليموزين الكبيرة في الخارج عند البوابة».

استدارت تريشا إلى غيل وقالت: «أنا آسفة».

قالت غيل: «اذهبي، اذهبي، وحظاً طيباً. لقد استمتعت بلقائك».

حاولت تريشا أن تجلب بعض النقود من محفظتها.

قالت: «اللعنة،» لقد تركتها في الأعلى.

أصرت غيل قائلة: «المشروبات على حسابي، حقاً. كان الحديث شائقاً».

تنهدت تريشا وقالت: «اسمعي، أنا آسفة جداً لما حدث هذا الصباح و»...

«لا تقولي أي كلمة أخرى. أنا بخير. إنه مجرد تنجيم. إنه غير مؤذ. ليست نهاية العالم».

«شكراً». وبدافع خفي عانقتها تريشا.

قال سائق السيارة: «هل معك أغراضك كافة؟ ألا تحتاجين إلى جلب حقيبتك أو ما شابه؟»

قالت تريشا: «الشيء الوحيد الذي علمتني إياه الحياة هو ألا أعود أبداً لجلب الحقيبة».

بعد ساعة ونيف تقريباً، كانت تريشا تجلس على أحد السريرين في غرفتها في الفندق. بقيت ساكنة لبضع دقائق. حدّقت إلى حقيبتها وحسب، التي كانت موضوعة بسذاجة على السرير الآخر.

كانت في يدها ورقة من غيل آندروس تقول فيها: «لا يخيبنّ ظنك كثيراً. اتصلي إن أردت التحدث في الأمر. لو كنت مكانك للزمت المنزل مساء الغد. أرتاح قليلاً. لكن لا تشغلي بالك بي، ولا تقلقي، إنه تنجيم وحسب. ليست نهاية العالم. غيل».

كان سائق السيارة مصيباً تماماً. في الواقع بدا أن سائق السيارة يعرف ما يحصل داخل إن بي إس أكثر من أي شخص قابلته داخل المؤسسة. كان

مارتن متحمساً، عكس زوينغلر. كانت لديها فرصتها الوحيدة لإثبات صوابية خيار مارتن وفوتتها.

حسناً. حسناً، حسناً، حسناً.

حان وقت العودة إلى المنزل. حان وقت الاتصال بشركة الخطوط الجوية لمعرفة إن كان بمقدورها الحجز في رحلة الليلة العائدة إلى هيثرو[1]. بحثت عن مفكرة الهاتف الضخمة خاصتها.

آه، بادئ ذي بدء.

وضعت مفكرة الهاتف مجدداً، أمسكت بحقيبتها، وأخذتها إلى الحمام. وضعتها وأخرجت علبة بلاستيكية صغيرة احتوت على عدستيها اللاصقتين، فمن دونهما كانت غير قادرة على قراءة النص أو شاشة التلقين جيداً.

بينما كانت تضع العدستين البلاستيكيتين الصغيرتين في عينيها فكرت في أن الشي الذي علمتها إياه الحياة هو أن هناك حالات لا تعود فيها لتجلب حقيبتك، وهناك حالات لا بدّ أن تعود. إلا أنها لم تعلمها بعد كيف تميز بين هذين النوعين من المناسبات.

---

(١) مطار في إنكلترا – المترجم.

الفصل الثالث

كان لدليل المسافر إلى المجرة، فيما نطلق عليه بسخرية اسم الماضي، الكثير ليقوله عن موضوع الأكوان المتوازية.

إلا أن أحداً تحت مستوى إله متقدم لم يتمكن من فهم حتى الجزء اليسير من هذا الموضوع، وبما أن من الثوابت الآن أن كل الآلهة المعروفين وُجِدوا بعد بدء الكون بثلاثة أجزاء كاملة من مليون جزء من الثانية، على عكس ما يدعون عادة، أنهم وُجِدوا قبل أسبوع، فلديهم الكثير ليشرحوه فيما يخص هذه النقطة، لذلك ليسوا متفرغين للتعليق على موضوعات الفيزياء المعقدة في الوقت الراهن.

لدى الدليل شيء وحيد مشجع لقوله فيما يخص موضوع الأكوان المتوازية، وهو أنك لا تملك أدنى فرصة في فهمه. لذا يمكنك قول «ماذا؟» و«ها؟» حتى أن تصاب بالحول وتتكلم بحماقة إن أردت من دون أن تقلق من جعل نفسك تبدو غبياً.

يقول الدليل إن أول شيء يجب إدراكه فيما يخص الأكوان المتوازية هو أنها ليست متوازية.

ومن المهم أيضاً أن يدرك المرء أنها ليست، بالتحديد، أكواناً، بل من الأسهل أن تجرب وتدرك ذلك لاحقاً، بعد أن تدرك أن كل ما أدركته حتى تلك اللحظة ليس حقيقياً.

السبب في أنها ليست أكواناً هو أن أي كون ليس في الواقع شيئاً من ذلك القبيل، بل هو طريقة النظر إلى ما يعرف تقنياً باسم «النوع الكلّي للخليط العام». والنوع الكلي للخليط العام غير موجود هو الآخر في الواقع، بل إنه مجموع الطرق الممكنة في النظر إليه إن وُجِد.

والسبب في أنها غير متوازية هو السبب نفسه في أن البحر ليس متوازياً. لا يعني ذلك أي شيء. يمكنك تقطيع النوع الكلي للخليط العام بأي طريقة تريدها وسينتج معك عموماً شيء يدعوه أحدهم وطناً.

يمكنك التكلم بحماقة الآن إن أردت.

كوكب الأرض الذي نحن بصدده هنا، وبسبب تموضعه في النوع الكلي للخليط العام، صُدِم بنترينو[1] لم يصدم كواكب أرضٍ أخرى.

النترينو ليس شيئاً كبيراً ليصدمك.

في الواقع من الصعب التفكير في أي شيء أصغر من ذلك كي يتمنى المرء أن يُصدم به. والصدم بالنترينوات ليس بالحدث الغريب بحد ذاته لشيء بحجم كوكب الأرض. بل الأحرى إن الغريب هي اللحظة التي تمر من دون أن يُصدم فيها كوكب الأرض بمليارات نترينوات عابرة عدة.

وبالطبع، كل ذلك وفقاً لما تعنيه بكلمة «يصدم»، بالنظر إلى أن المادة تتكون على نحو شبه كامل من العدم. فرص النترينو بأن يصدم شيئاً وهو يتحرك عبر هذا الفراغ المرعب هي مشابهة لرمي كرة عشوائياً من طائرة بوينغ ٧٤٧ مسافرة لتصدم، ولنقل، شطيرة بيض.

في أي حال، صدم هذا النترينو شيئاً، ويمكنك أن تقول إنه ليس بالشيء المهم بالقياس إلى الأشياء. إنما المشكلة في قول شيء كهذا هو أنك

---

(١) جزيء محايد – المترجم.

ستبدو مثل حيوان غرير أحول ولعابه يسيل. متى حدث شيء ما في مكان ما من شيء معقد على نحو كبير مثل الكون، فلا يعلم سوى كيڤن أين سينتهي الأمر، إذ إن «كيڤن» هو أي كائن لا يعرف شيئاً على الإطلاق.

صدم هذا النترينو ذرة.

هذه الذرة كانت جزءاً من جزيء. وهذا الجزيء كان جزءاً من حمض نووي. الحمض النووي كان جزءاً من جينة. وكانت الجينة جزءاً من صيغة جينية للنمو... وهلم جرا. كانت النتيجة أن انتهى المطاف بالنبتة تورق عليها ورقة إضافية. في إيسيكس[1]. أو فيما سيصبح، بعد مناقشات طويلة وصعوبات جيولوجية طبيعية محلية، إيسيكس.

كانت النبتة نبتة البرسيم. رمت بثقلها، أو بالأحرى بذورها، في الأرجاء بفعالية عالية وأضحى بسرعة النوع الأكثر شيوعاً في العالم من البرسيم. الرابط الدقيق بين هذه الحادثة الطبيعية وبعض الشذوذات الثانوية الموجودة في تلك الشريحة من النوع الكلي للخليط العام – مثل فشل تريشا في الذهاب مع زيفود بيبلبروكس، المبيعات المنخفضة على نحو غريب للمثلجات بطعم الجوز وحقيقة أن الأرض التي حصل عليها كل ذلك لم يدمّرها الڤوغونيون لإفساح المجال لمعبر فوق فضائي – يحتل الآن الرقم ١٣٢, ٩٨٤, ٧٦٣, ٤ على لائحة الأولوية في مشروع الأبحاث في ما كان يعرف بقسم التاريخ في جامعة ماكسيميغالون، ولا يبدو أن أحداً حالياً، في اجتماع الصلاة إلى جانب بركة السباحة، لديه أي شعور ملحّ حيال المشكلة.

---

(١) مقاطعة في إنكلترا – المترجم.

الفصل الرابع

بدأت تريشا تشعر بأن العالم يتآمر ضدها. عرفت أن هذا الشعور طبيعي تماماً بعد رحلة ليلية باتجاه الشرق، عندما يكون لديك فجأة يوم خطير على نحو غريب للتعامل معه، وأنت لست مستعداً البتة لذلك.

كانت هنالك علامات في حديقتها.

لم تهتم حقاً لأمر العلامات في حديقتها. فبالنسبة إليها يمكن لهذه العلامات في حديقتها أن تذهب بعيداً. كان الوقت صباح السبت. وكانت قد وصلت إلى المنزل للتو من نيويورك وهي تشعر بالتعب، والنكد والذعر، وكل ما أرادت فعله هو الذهاب إلى الفراش وتشغيل المذياع بصوت هادئ لتغط في النوم تدريجياً على صوت نيد شيرين[1] يتذاكى في مناقشة موضوع ما.

إلا أن إيريك بارتليت لم يكن ينوي تركها من دون أن يجري فحصاً شاملاً للعلامات. كان إيريك منسق الحدائق العجوز الذي يأتي من القرية في صباح أيام السبت لينقب في حديقتها بعصاه. لم يكن يؤمن بالناس القادمين من نيويورك في الصباح الباكر. لم يتمكن من تصديق الأمر. كان منافياً للطبيعة، لكنه آمن تقريباً بكل شيء آخر.

---

(١) مذيع بريطاني توفي في الأول من تشرين الأول عام ٢٠٠٧ – المترجم.

قال وهو منحن ويلكز حواف حفرة صغيرة بعصاه: «في الأغلب هم غرباء فضائيون، أسمع الكثير عن الغرباء الفضائيين هذه الأيام. أظن أنها من صنعهم».

قالت تريشا وهي تسترق النظر إلى ساعتها: «أتعتقد ذلك؟» عشر دقائق. قدّرت أنها ستبقى قادرة على الوقوف لمدة عشر دقائق. وبعدها سوف تقع بكل بساطة، سواء أكانت في غرفة نومها أم هنا في الحديقة. هذا إن لم يكن عليها سوى الوقوف، أما إن كان عليها أن تهز رأسها بتفهّم وتقول «أتعتقد ذلك؟» من حين إلى آخر فقد يقل الزمن إلى خمس دقائق.

قال إيريك: «آه، نعم، لقد نزلوا إلى هنا، هبطوا في حديقتك، ومن ثم أقلعوا مجدداً، في بعض الأحيان مع قطتك. السيدة ويليامز التي تعمل في مكتب البريد، قطتها البنية أتعرفينها؟ لقد خطفها غرباء فضائيون. بالطبع أعادوها في اليوم التالي لكنها كانت في مزاج غريب. ظلت تطوف خلسة طيلة الصباح ومن ثم تنام في الظهيرة. الفكرة أنها كانت على عكس ذلك. كانت تنام في الصباح، وتطوف خلسة في الظهيرة. إنه إرهاق السفر كما تعلمين، من وجودها في مركبة بين الكواكب».

قالت تريشا: «فهمت،»

- «كما تقول السيدة ويليامز إنهم صبغوها باللون الرمادي أيضاً. هذه العلامات هي بالضبط ما قد تتركه خلفها سيقان الهبوط الخاصة بسفينتهم».

سألته تريشا: «ألا تظن أنها آثار جزازة عشب الحديقة؟»

- «لو كانت العلامات مدوّرة أكثر لوافقتك الرأي، لكن هذه العلامات ليست دائرية، كما ترين. إنها أكثر غرابة في الشكل إجمالاً».

- «القصة هي أنك ذكرت أن جزازة العشب لا تعمل بصورة سليمة وتحتاج إلى إصلاح وإلا فإنها ستبدأ بإحداث ثقوب في الحديقة».

- «لقد قلت ذلك يا آنسة تريشا، وأنا لا أتراجع عن كلامي. أنا لا أقول إنها ليست جزازة عشب الحديقة بكل تأكيد، أنا أقول فقط ما يتراءى لي أنه الأرجح بالنظر إلى أشكال الحفر. إنهم يأتون من فوق هذه الأشجار، كما ترين، بوساطة سيقان الهبوط الخاصة بهم»...

قالت تريشا بصبر: «إيريك»...

قال إيريك: «سأقول لك شيئاً يا آنسة تريشا، سألقي نظرة على الجزازة، مثلما كنت أنوي الأسبوع الفائت، وسأتركك لتفعلي ما كنت تريدين فعله».

قالت تريشا: «شكراً لك يا إيريك، في الحقيقة سأذهب إلى الفراش الآن. تصرف كما يحلو لك في المطبخ».

قال إيريك: «شكراً لك آنسة تريشا، وحظاً طيباً لك».

انحنى والتقط شيئاً من الحديقة وقال: «ها هي ذي، نبتة برسيم ثلاثية الأوراق. حظ جيد كما ترين».

حدّقها عن كثب ليتأكد إن كانت نبتة برسيم ثلاثية الأوراق حقيقية، وليست رباعية الأوراق من النوع العادي وقد سقطت واحدة من أوراقها.

قال وهو يراقب الأفق بذكاء: «إنما لو كنت مكانك، لراقبت علامات النشاط الغريب في المنطقة، وبالتحديد من هناك باتجاه هينلي»[1].

قالت تريشا مجدداً: «شكراً لك يا إيريك، سأفعل».

ذهبت تريشا إلى الفراش وحلمت على نحو متقطع بالببغاءات وطيور أخرى.

استيقظت بعد الظهر وتمشت في الأرجاء بضجر، غير متأكدة مما ستفعله بالمتبقي من يومها، أو في الواقع من حياتها. أمضت في الأقل ساعة بتردد وهي تحاول أن تقرر إن كانت ستتجه إلى البلدة وتذهب إلى نادي ستاڤرو لتمضي سهرتها. كان هذا النادي المكان الأنيق في الوقت الحالي للعاملين الطموحين في مجال الإعلام، وقد تساعدها رؤية بعض الأصدقاء هناك في العودة إلى حالتها الطبيعية. قررت في النهاية أنها ستذهب. كان المكان جيداً، مسلياً، وكانت مولعة جداً بستاڤرو شخصياً، الذي كان يونانياً لأب ألماني، تركيبة غريبة إلى حد ما. ذهبت تريشا إلى نادي ألفا قبل ليلتين، الذي كان نادي ستاڤرو الأصلي في نيويورك، الذي يديره الآن أخوه كارل، الذي كان يظن نفسه ألمانياً لأم يونانية. كان ستاڤرو سيسعد كثيراً بمعرفة أن كارل غير كفء لإدارة نادي نيويورك، لذا ستذهب تريشا وتجعله سعيداً. كان هنالك القليل من الود المفقود بين ستاڤرو وكارل مولر.

حسناً، هذا ما ستفعله.

بعد ذلك أمضت ساعة وهي مترددة حيال ما سترتدي.

---

(١) بلدة في إنكلترا – المترجم.

في النهاية استقر رأيها على فستان صغير أسود وجذاب اشترته في نيويورك. اتصلت بصديق لتعرف من يحتمل وجوده في النادي تلك الليلة، فأخبرها أن النادي محجوز هذه الليلة لحفل زفاف خاص.

فكرت في أن محاولة العيش بحسب أي خطة تفكر فيها بجد يشبه محاولة شراء مكونات وصفة من السوبرماركت. تأخذ واحدة من تلك العربات التي ببساطة لن تذهب في الاتجاه الذي تدفعها إليه وينتهي بك المطاف مشترياً أشياء مختلفة تماماً. ماذا تفعل بها؟ ماذا تفعل بالوصفة؟ لم تعلم.

في أي حال، في تلك الليلة هبطت سفينة فضاء غريبة في حديقتها.

الفصل الخامس

شاهدتها تقترب من جهة هينلي بفضول بارد في البداية، وهي تتساءل عن ماهية هذه الأضواء. فهي كانت معتادة على مشاهدة أضواء في السماء، لأنها لم تكن تعيش على بعد مليون ميل من هيثرو[1]. إنما سبب الفضول الطفيف هو أنها لم تكن معتادة على رؤية الأضواء في وقت متأخر من الليل أو على ارتفاع منخفض.

لما بدأ ذلك الشيء الغريب يقترب أكثر فأكثر بدأ فضولها يتحول إلى ذهول.

فكرت لفترة وجيزة، ولم تستطع إطالة الأمد في التفكير أكثر من ذلك، كانت لا تزال تشعر بالخمول وإرهاق السفر، والرسائل، التي كان جزء من دماغها مشغولاً بإرسالها إلى جزء آخر، لم تكن بالضرورة تصل في الوقت المناسب أو إلى المكان الصحيح. تركت المطبخ، حيث كانت تحضر لنفسها كوباً من القهوة، وذهبت لفتح الباب الخلفي المؤدي إلى الحديقة. أخذت نفساً عميقاً من هواء الليل المنعش، وخطت إلى الخارج ونظرت إلى الأعلى.

كان هنالك شيء بحجم عربة معيشة متنقلة تقريباً، مركون على ارتفاع مئة قدم من حديقتها.

---

(١) مطار في لندن – المترجم.

كانت هناك حقاً، معلقة، وبصمت تقريباً.

تحركت بعض المشاعر في أعماقها.

هبطت ذراعاها ببطء إلى جانبيها. لم تنتبه إلى القهوة الساخنة وهي تغطي قدمها. كانت بعناء تتنفس مع هبوط المركبة ببطء، إنشاً فإنش، وقدماً فقدم. كانت أضواؤها تداعب الأرض برفق كأنها تتحسسها وتتأكد منها. كما أن هذه الأضواء تراقصت على تريشا.

بدت فكرة إعطائها فرصة أخرى أبعد من الخيال. هل وجدها؟ هل عاد؟

هبطت المركبة أكثر فأكثر حتى استقرت في النهاية بهدوء في حديقتها. فكرت في أنها لم تبد بالضبط مثل التي رأتها تغادر منذ كل تلك السنوات التي مضت، لكن من الصعب على الأضواء التي تومض في سماء الليل أن تعطي أشكالاً واضحة.

صمت.

ثم صوت نقرة وصوت همهمة.

ثم صوت نقرة أخرى وهمهمة أخرى. صوت نقرة، صوت همهمة.

انزلق باب وفُتِح، وألقي عليها ضوء عبر الحديقة.

انتظرت وهي تشعر بوخز خفيف.

وقف ظل جسم في الضوء، ثم جسم ثان، ثم ثالث.

راحت أعين واسعة تطرف ببطء وهي تنظر إليها، وارتفعت الأكف ببطء للتحية.

في النهاية، قال صوت غريب، حاد، ويواجه صعوبة في اللفظ: «ماكميلان؟ تريشا ماكميلان. الآنسة تريشا ماكميلان؟»

قالت تريشا بصعوبة: «نعم،»

- «لقد كنا نراقبك».

- «تُـ... تراقبونني؟ أنا؟»

- «نعم».

نظروا إليها لوهلة وأعينهم الكبيرة تعاينها من رأسها إلى أخمص قدميها ببطء.

قال أحدهم في النهاية: «تبدين أصغر حجماً في الواقع».

قالت تريشا: «ماذا؟»

- «نعم».

قالت تريشا: «أنا... أنا لا أفهم». بالطبع، لم تكن تتوقع أياً من هذا، لكن حتى لشيء لم تكن تتوقعه في المقام الأول، لم يكن يجري على النحو الذي توقعته. في النهاية قالت: «هل أنتم... هل أنتم من... زيفود؟»

بدا أن هذا السؤال تسبب بقليل من الرعب بين الأشخاص الثلاثة. تشاوروا فيما بينهم بلغتهم السريعة ومن ثم نظروا إليها.

قال أحدهم: «لا نعتقد ذلك. حسب علمنا،»

قال آخر وهو ينظر إلى سماء الليل: «أين زيفود؟»

قالت تريشا بيأس: «أنا... لا أعلم،»

- «هل هو كوكب بعيد من هنا؟ في أي اتجاه؟ نحن لا نعلم».

بقلب مثقل بالحزن أدركت تريشا أن ليس لديهم فكرة عمن، أو عمَّ، تتحدث، ولم يكن لديها هي الأخرى فكرة عمَّ يتحدثون. لذا قررت إقصاء الآمال والعودة إلى التفكير منطقياً. لم يكن هناك من داع لخيبة الأمل. كان عليها الانتباه إلى حقيقة أن لديها نبأ القرن في الصحافة. ما الذي عليها فعله؟ أتدخل المنزل لإحضار كاميرا تسجيل الفيديو؟ ألن يكونوا ذهبوا حين عودتها؟ كانت مربكة على نحو كامل حيال ما ستفعله. فكرت في أنها ستبقيهم يتكلمون، وتكتشف ماذا ستفعل لاحقاً.

- «لقد كنتم... تراقبونني؟»

- «كلكم. كل شيء على كوكبكم. التلفاز. المذياع. الاتصالات. الحواسب. أنظمة الفيديو الإلكترونية. المستودعات».

- «ماذا؟»

- «مواقف السيارات. كل شيء. نراقب كل شيء».

حدقتهم تريشا، وقالت من دون أن تفكر: «لا بد أن ذلك ممل جداً، أليس كذلك؟»

- «نعم».

- «إذاً لم»...

- «ما عدا»...

- «نعم؟ ما عدا ماذا؟»

- «برامج المسابقات. تعجبنا برامج المسابقات».

كانت هناك لحظة صمت طويلة في حين كانت تريشا تتبادل النظرات مع الغرباء.

قالت تريشا بتروٍّ شديد: «هنالك شيء أود إحضاره من الداخل. هل تودون، أو يود أحدكم، أن يدخل معي ويلقي نظرة».

قالوا جميعاً بحماس: «نود ذلك جداً».

وقفوا ثلاثتهم، مرتبكين، في غرفة الجلوس، في حين أسرعت تريشا إلى التقاط كاميرا فيديو، كاميرا تصوير بعدسات ٣٥ مم، مسجّل أشرطة، وكل أداة تسجيل تمكنت من إيجادها. كانوا جميعاً نحيلين، وفي ظروف الإضاءة المنزلية، كان لونهم يميل إلى الأخضر الأرجواني الداكن.

قالت تريشا: «لن أتأخر أكثر من ثانية يا رفاق،» وهي تنقب في بعض الأدراج بحثاً عن أشرطة احتياطية.

كان الغرباء ينظرون إلى الرفوف التي احتوت أقراصها المضغوطة وأقراص التسجيل القديمة، لكز أحدهم واحداً من رفاقه لكزة خفيفة.

قال: «انظر، إلڤيس»(١).

توقفت تريشا عمّا كانت تفعله وحدقتهم من جديد.

قالت: «هل تحبون إلڤيس؟»

قالوا: «نعم،»

- «إلڤيس بريسلي؟»

- «نعم».

---

(١) إلڤيس بريسلي: مطرب أمريكي – المترجم.

هزّت رأسها بحيرة وهي تحاول إقحام شريط جديد في كاميرا الفيديو خاصتها.

قال أحد زوارها بتردد: «يعتقد البعض من قومك أن الفضائيين قد خطفوا إلقيس».

قالت تريشا: «ماذا؟ أحقاً هو كذلك؟»

- «ذلك ممكن».

قالت تريشا متلهفة: «أتقول إنكم خطفتم إلقيس؟» كانت تحاول الحفاظ على هدوئها كي لا تفسد معداتها، لكن وقع هذا الخبر كان صادماً.

قال ضيوفها: «لا. ليس نحن. غرباء. إنها احتمالية مثيرة للاهتمام. عادة ما نتحاور حولها».

تمتمت تريشا لنفسها: «عليّ أن أكتب هذا». تأكدت من وجود الشريط في كاميراتها وأنها تعمل الآن. وجهت الكاميرا إليهم. لم ترفع الكاميرا إلى عينها لأنها لم ترد إخافتهم. لكنها كانت خبيرة في التصوير الدقيق من الورك.

قالت: «حسناً. أخبروني الآن ببطء ودقة، من أنتم». ثم تابعت موجهة حديثها إلى الواقف في الجهة اليسرى: «أنت أولاً، ما اسمك؟»

- «لا أعلم».

«لا تعلم؟»

قالت تريشا: «فهمت، وماذا عنكما أنتما الاثنان؟»

- «لا نعلم».

- «جيد. حسناً. ربما يمكنكم إخباري من أين جئتم؟»

هزّوا رؤوسهم نفياً.

- «ألا تعرفون من أين جئتم؟»

هزّوا رؤوسهم من جديد.

قالت تريشا: «إذاً، ماذا... إيـ»...

كانت تتخبط، لكن كونها محترفة، حافظت على ثبات الكاميرا في أثناء ذلك.

قال أحد الغرباء: «نحن في مهمة».

- «مهمة؟ مهمة لفعل ماذا؟»

- «لا نعلم».

بقيت محافظة على ثبات الكاميرا.

- «ما الذي تفعلونه هنا على الأرض إذاً؟»

- «لقد أتينا لإحضارك».

ثابتة كالصخرة، ثابتة كالصخرة. كان من الممكن استخدام منصة ثلاثية الأرجل. في الواقع، تساءلت إن كان عليها استخدام منصة ثلاثية الأرجل. فكرت في ذلك لأنه أعطاها وقتاً لفهم ما قالوه لها للتو. لم تعجبها الفكرة، فإمساك الكاميرا باليد أعطاها مرونة أكبر. ثم فكرت، النجدة، ما الذي سأفعله؟

سألت بهدوء: «لم أتيتم لإحضاري؟»

- «لأننا فقدنا عقولنا».

قالت تريشا: «معذرة، سأذهب لإحضار منصة ثلاثية الأرجل».

بدوا سعداء بوقوفهم هناك من دون أن يفعلوا شيئاً في حين وجدت تريشا منصة ثلاثية الأرجل بسرعة وركبت الكاميرا فوقها. كان وجهها خالياً من التعابير كليّاً، لكن لم يكن لديها أدنى فكرة عمّا يحدث أو بم يجب أن تفكر. قالت عندما كانت مستعدة: «حسناً، لم»...

- «لقد أعجبتنا مقابلتك مع المنجّمة».

- «شاهدتموها؟»

- «نحن نشاهد كل شيء؟. نحن مهتمون جداً بعلم التّنجيم. نحبه، إنه مثير للاهتمام. ليس كل شيء مثير للاهتمام، علم التنجيم مثير للاهتمام. ما تقوله لنا النجوم. ما تتنبأ به النجوم. يمكننا الاستفادة من بعض تلك المعلومات».

«إنما»... لم تعرف تريشا من أين تبدأ. لكنها فكرت، فلنعترف بالأمر، لا جدوى من محاولة تخمين أيّ من هذه الأمور.

لذا قالت: «لكني لا أعلم أي شيء عن علم التنجيم».

- «نحن نعلم».

- «أنتم تعلمون؟»

- «نعم، نحن نتابع أبراجنا. ونحن نهمون جداً. نشاهد كل جرائدكم ومجلاتكم بنهم. إلا أن قائدنا يقول إن لدينا مشكلة».

- «لديكم قائد؟»

- «نعم».

- «ما اسمه؟»

- «لا نعلم».

-«ماذا يقول اسمه، كرمى لله؟ عذراً، سيتوجب عليّ تحرير ذلك. ماذا يقول اسمه؟»

- «لا يعلم».

- «إذاً كيف تعلمون جميعكم أنه القائد؟»

- «استحوذ على السلطة. قال إن على أحدهم أن يفعل شيئاً هنا».

قالت تريشا وقد أمسكت بطرف خيط: «آه، وأين يكون "هنا"؟»

- «روبرت».

- «ماذا؟»

- «يسميه شعبك روبرت. الكوكب العاشر بعد شمسكم. لقد استقررنا هناك لسنوات عدة. إنه شديد البرودة وغير مثير للاهتمام، لكنه جيد للمراقبة».

- «لماذا تراقبوننا؟»

- «إنه كل ما نحسن فعله».

قالت تريشا: «حسناً. ما هي المشكلة التي يقول قائدكم إنكم تواجهونها؟»

- «حساب وتحديد الاتجاه».

- «عذراً؟»

- «نعرف أن علم التنجيم دقيق جداً».

قالت تريشا: «حسناً»... وتوقفت.

- «لكنه دقيق بالنسبة إليكم هنا على الأرض».

قالت: «نـــــعـــــــــم....» وأتاها شعور رهيب بأنها تسمع أفكاراً غامضة ومبهمة عن شيء ما.

- «ففي سبيل المثال، حينما يشرق كوكب الزهرة في برج الجدي، ذلك يكون من الأرض. فكيف يكون ذلك إن كنا في روبرت؟ ماذا لو كانت الأرض تشرق في برج الجدي؟ من الصعب علينا معرفة ذلك. فمن الأشياء التي نسيناها، التي نعتقد أنها كثيرة وعميقة، نسينا كيفية حساب وتحديد الاتجاه».

قالت تريشا: «إذاً، حسب ما فهمت فإنكم تريدونني أن آتي معكم إلى... روبرت»...

- «نعم».

- «لإعادة تعيين أبراجكم كي تحسبوا الموقعين النسبيين للأرض وروبرت؟»

- «نعم».

- «هل أحصل على قصة خاصة بي؟»

- «نعم».

قالت تريشا: «أنا من تبحثون عنها،» وفكرت في أنها في الأقل قد تتمكن من بيعها لمجلة ناشيونال إنكوايرر.

كان أول ما انتبهت إليه في أثناء صعودها على متن السفينة، التي ستأخذها إلى أقصى حدود النظام الشمسي، هو صف شاشات المراقبة التي تعبرها آلاف الصور. كان غريب رابع يجلس وهو يراقب هذه الصور، لكنه كان يركّز على شاشة تعرض صورة ثابتة. كانت إعادة للمقابلة الارتجالية التي أجرتها تريشا مع زملائه الثلاثة. نظر إلى الأعلى عندما رآها تصعد بقلق وقال: «مساء الخير آنسة ماكميلان، تصوير جيد».

الفصل السادس

انطلق فورد بريفيكت راكضاً. كانت الأرض أبعد بثلاثة إنشات عن فتحة التهوية مما يتذكر، لذا أخطأ في النقطة التي سينطلق منها وبدأ يركض باكراً، تعثر على نحو أخرق ولوى قدمه. اللعنة! انطلق إلى آخر الرواق وهو يعرج قليلاً.

دوت صفارات الإنذار في أرجاء المبنى كافة بجنونها المعتاد. انخفض فورد متخفّياً خلف خزائن التخزين الاعتيادية. نظر حوله ليتأكد من أنه غير مرئي وبدأ يبحث بسرعة داخل حقيبته عن الأشياء الاعتيادية التي كان يحتاجها.

على غير العادة، كانت قدمه تؤلمه ألماً فظيعاً.

لم تكن الأرض أبعد بثلاثة إنشات عن فتحة التهوية كما يتذكر وحسب بل كانت على كوكب مختلف عمّا يتذكره، لكن الإنشات الثلاثة تلك هي ما فاجأه. عادة ما كانت مكاتب دليل المسافر إلى المجرة تُنقل على نحو شبه مفاجئ إلى كوكب آخر لأسباب تتعلق بالمناخ المحلي، العداء المحلي، فواتير الطاقة أو الضرائب، لكن دائماً ما كان يُعاد بناؤها بالطريقة نفسها، حتى آخر جزيء تقريباً. مثّل تصميم المكاتب، للعديد من موظفي الشركة، الشيء الثابت الوحيد الذي عرفوه في كون شخصيّ محرّف بشدة.

ومع ذلك، شيء ما كان غريباً.

إنما، ذلك بحد ذاته لم يكن مفاجئاً، هكذا فكر فورد وهو يسحب منشفة الرمي خفيفة الوزن خاصته. عملياً، وإلى حد ما، كان كل شيء في حياته غريباً، لكن ذلك كان غريباً على نحو مختلف قليلاً عمّا اعتاد في الأشياء عندما تكون غريبة. حسناً، ذلك شيء غريب. لم يتمكن من التركيز مباشرة.

أخرج أداة الفتح ذات القياس ٣.

كانت صفارات الإنذار تنطلق وفق الطريقة القديمة نفسها التي يعرفها جيداً. كان فيها شيء من الموسيقا يمكنه الدندنة معها. كل ذلك كان مألوفاً. كان الكوكب في الخارج جديداً لدى فورد. لم يسبق له أن زار كوكب **(**ساكو-بيليا هينشا**)** من قبل، وقد أعجبه. كان فيه جو احتفالي.

أخذ من حقيبته لعبة قوس وسهم كان اشتراها في أحد أسواق الشوارع.

لقد اكتشف أن سبب جو الاحتفال في ساكو-بيليا هينشا هو أن السكان المحليين كانوا يحتفلون بالعيد السنوي للافتراض الذي قدّمه القدّيس أنتويلم. إبان حياته، كان القديس أنتويلم ملكاً عظيماً وشعبياً قدم فرضية عظيمة وشعبية. افترض الملك أنتويلم أن ما يريده الجميع، بما أن الأشياء الأخرى متساوية، هو أن يكونوا سعداء وأن يستمتعوا ويمضوا أفضل وقت ممكن معاً. أوصى بعد وفاته أن تموّل ثروته كاملة مهرجاناً سنوياً لتذكير الجميع بذلك، حيث الكثير من الطعام اللذيذ والرقص والألعاب السخيفة للغاية مثل اصطياد الووكيت[1]. لقد كان افتراضه جيداً إلى درجة أن جعل منه قديساً. ليس ذلك فحسب، بل سُحبت رتبة قديس

(١**)** مخلوق صغير يظهر في مؤلفات الدكتور سيوس – المترجم.

على الفور من جميع الأشخاص الذين سبق لهم أن كانوا قديسين لتحمّلهم أشياء مثل الرجم بالحجارة حتى الموت بطريقة شنيعة أو العيش في براميل من الروث، ويعتقد أنهم أصبحوا محرجين إلى حد ما.

ارتفع شكل حرف H المألوف لمبنى مكاتب دليل المسافر إلى المجرة فوق ضواحي المدينة، واقتحمه فورد بريفيكت بالطريقة المألوفة. كان يدخل دائماً عبر نظام التهوية بدلاً من الردهة الرئيسة، لأن الأخيرة كانت تعج بروبوتات تقوم بدوريات، وتتمثل مهمة هذه الروبوتات في إمطار الموظفين الوافدين بأسئلة حول حسابات نفقاتهم. كانت حسابات نفقات فورد بريفيكت معقدة وصعبة، وقد وجد أن روبوتات الردهة غير مجهزة لفهم الحجج التي أراد طرحها. لذا فضل أن يدخل من طريق آخر.

كان ذلك يعني إطلاق معظم صفارات الإنذار في المبنى ما عدا الموجودة في قسم الحسابات، وهي الطريقة التي فضلها فورد.

اختبأ خلف خزانة تخزين، ولعق الكأس المطاطية للسهم اللعبة، ثم ركبها على وتر القوس.

في غضون ثلاثين ثانية تقريباً، أتى روبوت حراسة بحجم بطيخة صغيرة وهو يطير على طول الرواق على ارتفاع الخصر تقريباً، وكان يتفحص المكان من ذات اليمين وذات الشمال بحثاً عن أي شيء غير اعتيادي.

بالتوقيت الصحيح، أطلق فورد سهم اللعبة عبر مسار الروبوت. طار السهم في الرواق والتصق متذبذباً على الحائط المقابل. التقطت مستشعرات الروبوت السهم في أثناء تحليقه، فاستدار الروبوت تسعين درجة لمتابعته ومعرفة إلى أين كان السهم ذاهباً بحق الجحيم.

أعطى ذلك فورد لحظة ثمينة كان الروبوت في أثنائها ينظر في الاتجاه المقابل له. قذف المنشفة فوق الروبوت الطائر وأمسك به.

نظراً لنتوءات الحساسات العديدة التي زيّنت جسم الروبوت، لم يتمكن من المناورة داخل المنشفة، بل ارتد ذهاباً وإياباً دون أن يتمكن من مواجهة آسره.

سحبه فورد بسرعة إليه وثبته على الأرض. بدأ الروبوت يئن بطريقة يرثى لها. بحركة خاطفة متمرسة، مد فورد يده تحت المنشفة وفيها أداة الفتح ذات القياس ٣، ونزع الغطاء البلاستيكي الصغير الموجود في أعلى الروبوت الذي يوصل إلى داراته المنطقية.

المنطق شيء رائع لكن فيه، كما اكتشفت عمليات التطور، بعض العيوب.

كل ما يفكر بشكل منطقي يمكن خداعه بشيء آخر يفكر، في الأقل مثله، منطقياً. أسهل طريقة لخداع روبوت منطقي هي إعطاؤه التسلسل المحفّز نفسه مراراً وتكراراً إلى أن يعلق في حلقة. تم توضيح ذلك بأبهى صورة عن طريق تجارب شطيرة السمك الشهيرة التي تمت منذ آلاف السنين في (معهد ماكسيميغالون للاستنباط البطيء والمؤلم لما هو واضح على نحو مدهش).

بُرمج روبوت ليعتقد بأنه يحب شطائر السمك. في الواقع كان ذلك أصعب جزء من كل التجربة. ما إن بُرمج الروبوت ليعتقد أنه يحب شطائر السمك، كانت توضع شطيرة سمك أمامه، عندئذ كان يقول الروبوت لنفسه: «آه! شطيرة سمك! أنا أحب شطائر السمك».

وحينذاك كان الروبوت ينحني ويلتقط شطيرة السمك بمجرفة شطيرة السمك خاصته، ثم ينتصب من جديد. من سوء حظ الروبوت أنه كان مصمماً بطريقة تجعل عملية الانتصاب تتسبب بانزلاق شطيرة السمك من مجرفة شطيرة السمك خاصته وتسقط على الأرض أمامه. عندئذ يقول الروبوت لنفسه: «آه! شطيرة سمك»... ويكرر العمل نفسه مراراً وتكراراً.

الشيء الوحيد الذي منع شطيرة السمك من أن تسأم هذا العمل اللعين وتزحف باحثة عن طرائق أخرى لتمضية الوقت هو أن شطيرة السمك، كونها تتألف من سمكة ميتة بين شريحتي خبز، أقل انتباهاً من الروبوت بقليل لما يحدث.

وهكذا اكتشف العلماء في المعهد القوة الدافعة وراء كل التغيير، التطور، والابتكار في الحياة، التي كانت: شطائر السمك. نشروا ورقة بهذا المعنى، انتقدت على نطاق واسع لكونها خرقاء للغاية. تمعّنوا في النتائج وأدركوا أن ما اكتشفوه هو «الملل»، أو بالأحرى الوظيفة العملية للملل. في موجة من الإثارة اكتشفوا بعد ذلك مشاعر أخرى مثل «التهيج»، «الاكتئاب»، «التردد»، «التبجح» وما إلى ذلك. كان الاكتشاف الكبير التالي عندما توقفوا عن استخدام سندويشات السمك، عندئذ أصبحت مجموعة جديدة من العواطف متاحةً لهم فجأة للدراسة مثل «الارتياح»، «الفرح»، «الرقة»، «الشهية»، «الرضا»، والأهم من ذلك كله، الرغبة في «السعادة».

كان هذا أكبر اكتشاف على الإطلاق.

يمكن بسهولة استبدال كميات ضخمة من شيفرات الحاسوب المعقدة التي تتحكم بتصرفات الروبوت في كل الحالات. كل ما كانت

تحتاجه الروبوتات هو القدرة على أن تكون سأمة أو سعيدة، بالإضافة إلى تحقيق بعض الشروط من أجل الوصول إلى هذه السعادة أو الملل، عند ذلك يمكن للروبوتات إنجاز الأمور الأخرى بمفردها.

لم يكن الروبوت الذي أمسك به فورد تحت منشفته في هذه اللحظة روبوتاً سعيداً. كان سعيداً عندما كان قادراً على الحركة، عندما كان قادراً على رؤية أشياء أخرى. كانت سعادته تكمن في رؤية أشياء أخرى تتحرك، ولا سيما إن كانت تلك الأشياء التي تتحرك تفعل أشياء لا ينبغي لها أن تفعلها، عندئذ كان بإمكانه بسعادة كبيرة أن يبلغ عنها.

سيصلح فورد ذلك قريباً.

جثم فوق الروبوت وثبته بين ركبتيه، كانت المنشفة لا تزال تغطي كل الحساسات، لكن فورد كان قد كشف عن دارات الروبوت المنطقية. كان الروبوت يئن ببؤس وغضب، لكن كان ذلك كل ما يستطيع فعله، فهو لم يقو على الحركة. باستخدام أداة الفتح، أخرج فورد رقاقة صغيرة من مقبسها، وما إن فعل ذلك صمت الروبوت ودخل في غيبوبة.

كانت الشريحة التي أخرجها فورد هي التي تحتوي على تعليمات الشروط التي ينبغي تحقيقها من أجل أن يشعر الروبوت بالسعادة. سيشعر الأخير بالسعادة عندما تصل شحنة كهربائية صغيرة من نقطة إلى يسار الشريحة إلى نقطة في يمين الشريحة، والشريحة تقرر ما إذا وصلت الشحنة أو لا.

أخرج فورد سلكاً قصيراً كان خُيِّطَ في منشفته، أدخل طرفاً منه في الثقب العلوي الأيسر من مقبس الشريحة، والطرف الآخر في الثقب السفلي الأيمن.

كان ذلك كل ما تطلبه الأمر، سيكون الروبوت الآن سعيداً مهما حصل.

وقف فورد بسرعة وأبعد المنشفة، فارتفع الروبوت بابتهاج في الهواء، وانطلق على نحو متعرج.

استدار ورأى فورد فقال: «سيدي السيد بريفيكت! أنا مسرور جداً لرؤيتك!»

قال فورد: «تسرني رؤيتك أيها الصغير».

أبلغ الروبوت مركز التحكم بسرعة أن كل شيء الآن بأفضل حال في هذا الكوكب الأروع على الإطلاق، فتوقفت صفارات الإنذار، وعادت الحياة إلى طبيعتها.

في الأقل، تقريباً إلى طبيعتها.

كان هنالك شيء غريب فيما يخص المكان.

كان الروبوت الصغير يقرقر ببهجة كهربائية، وأسرع فورد إلى نهاية الرواق، تاركاً ذلك الشيء يتمايل إلى جانبه وهو يخبره كم كان كل شيء مبهجاً، وكم هو سعيد لتمكنه من إخباره ذلك.

إلا أن فورد لم يكن سعيداً.

لقد مر بوجوه أناس لم يكن يعرفهم، لم يكونوا من النوع الذي يفضل صحبته. كانوا مرتبين جداً، وأعينهم جامدة جداً. في كل مرة كان يظن أنه رأى من بعيد أحداً يعرفه ويسارع إلى إلقاء التحية عليه، كان يكتشف أنه شخص آخر، بتسريحة شعر أرتب، ومظهر جديّ أكثر من كل الذين يعرفهم فورد.

لقد حُرِّكت السلالم بضعة إنشات إلى الجهة اليسرى. خُفِضَ السقف قليلاً. أُعِيدَ ترتيب الردهة. لم تكن كل هذه الأشياء مقلقة بحد ذاتها، على الرغم من أنها تسبب القليل من الضياع. أما الشيء المقلق فكان الديكور. لقد كان فيما سبق متكلفاً وباهراً. باهظاً، لأن الدليل حقق مبيعات كبيرة في المجرة المتحضرة وما بعد المتحضرة، لكنه كان باهظاً وممتعاً. كانت آلات الألعاب الحماسية موضوعة على طول الأروقة. عُلقت من السقف آلات بيانو عملاقة مدهونة على نحو جنوني، كانت مخلوقات كوكب ڤيڤ الشريرة تخرج من برك السباحة بأذينات محشوة بالأشجار، وكانت الروبوتات التي تقدم الشراب ترتدي قمصاناً تافهة وتجول في الأروقة بحثاً عن أيد يمكنها سكب الشراب بها. اعتاد الموظفون على امتلاك تنانين ضخمة أليفة برسن، وديناصورات طائرة على مجاثمها في مكاتبهم. كانوا يعرفون كيفية تمضية وقت ممتع، ولو لم يعرفوا، كانت هناك دورات يمكنهم التسجيل فيها ليتعلموا ذلك.

لم يكن هنالك شيء من ذلك الآن.

أحدهم مر بالمكان وفرض ذوقه الظالم.

دخل فورد بسرعة في تجويف جداري صغير، ضم يده وجذب الروبوت الطائر إلى الداخل. جثم وحدق الروبوت المثرثر.

سأله: «ما الذي يجري هنا؟»

- «أوه، أجمل الأشياء يا سيدي، أجمل الأشياء الممكنة وحسب. هل يمكنني أن أجلس في حضنك من فضلك؟»

قال فورد: «لا،» وهو يدفع الروبوت بعيداً عنه. سبب له هذا الازدراء سعادة غامرة وراح يذبذب ويثرثر ويتغامى. جذبه فورد مجدداً وثبته بإحكام في الهواء أمام وجهه. حاول الروبوت أن يبقى حيث هو لكنه لم يتمكن إلا أن يرتعش قليلاً.

هسهس فورد قائلاً: «تغير شيء ما، أليس كذلك؟»

صاح الروبوت الصغير: «آه نعم، بأجمل وأروع طريقة ممكنة. ينتابني شعور جيد تجاه هذا التغيير».

- «إذاً، كيف كان قبل ذلك؟»

- «رائع».

سأله فورد بحدة: «لكنك تحب الطريقة التي تغير بها؟»

أنّ الروبوت قائلاً: «أحب كل شيء. ولا سيما عندما تصرخ بي هكذا. افعلها ثانية، أرجوك».

- «أخبرني ما الذي حدث!»

- «آه، شكراً لك، شكراً لك!»

تنهد فورد.

قال الروبوت لاهثاً: «حسناً، حسناً، لقد تغيرت ملكية الدليل. هنالك إدارة جديدة، وذلك رائع إلى حد يجعلني أذوب فرحاً. الإدارة السابقة كانت مذهلة أيضاً بالطبع، على الرغم من أني غير واثق أنني كنت معجباً بها في ذلك الوقت».

- «كان ذلك قبل أن يكون لديك سلك مقحم في رأسك».

- «كم هذا صحيح. كم هذا رائع وصحيح. كم هذا رائع، وبارع، ومذهل وصحيح. يا لها من ملاحظة مسببة للنشوة من صحتها».

أصر فورد في سؤاله: «ما الذي حصل؟ من هي هذه الإدارة الجديدة؟ متى تسلَّمت؟ أنا... آه، لا عليك،» ثم أضاف، بعد أن بدأ الروبوت الصغير يثرثر بمتعة غير منضبطة ويحك نفسه بركبة فورد: «سأذهب وأكتشف بنفسي».

اندفع فورد عبر باب مكتب رئيس التحرير، وانكمش على نفسه في أثناء تمزق الهيكل الخشبي فاتحاً الطريق، وتدحرج بسرعة عبر الأرضية إلى المكان المعتاد لطاولة المشروبات المحمّلة ببعض أقوى وأغلى المشروبات، ثم أمسك بالطاولة، وباستخدامها كتغطية له، دحرجها عبر الجزء الرئيس المكشوف من المكتب إلى مكان انتصاب تمثال ليدا والأخطبوط القيّم والبذيء جداً، واحتمى خلفه. في هذا الوقت كان روبوت الحراسة الصغير، الذي دخل حتى ارتفاع الصدر، سعيداً إلى درجة أنه ضحى بنفسه ليبعد عيارات الأسلحة النارية عن فورد.

تلك كانت، في الأقل، الخطة، وهي خطة ضرورية. كان رئيس التحرير الحالي، ستاغيار-زيل-دوغو، رجلاً غير متزن على نحو خطير، ولديه رأي إجرامي فيما يخص موظفي النشر الذين يأتون إلى مكتبه من دون أوراق جديدة ومصححة، فكانت لديه بطارية من المدافع الموجّهة بالليزر موصولة إلى أجهزة مسح خاصة في إطار الباب الخشبي ليردع أي شخص ليس لديه

سوى أسباب مقنعة جداً عن عدم كتابته أي أوراق. هكذا يتم الحفاظ على إنتاجية عالية.

لسوء الحظ لم تكن طاولة المشروبات موجودة.

اندفع فورد بيأس من جنب إلى جنب وتشقلب باتجاه تمثال ليدا والأخطبوط الذي لم يكن موجوداً أيضاً. تدحرج واندفع بعنف في أرجاء الغرفة بذعر وتخبّط، تعثّر، دار، صدم النافذة التي، من حسن الحظ، بنيت لتحتمل هجوماً صاروخياً، ارتد عن النافذة، وسقط في كومة من الحطام خلف أريكة جلدية رمادية محطمة لم تكن موجودة من قبل.

بعد ثوان عدة اختلس نظرة من فوق سطح الأريكة. كان هناك غياب مروّع لإطلاق النار، مثلما أنه لم يكن هناك طاولة مشروبات ولا ليدا والأخطبوط. عبس، كان ذلك كله خطأً بخطأ.

قال صوت: «أفترض أنك السيد بريفيكت،»

جاء الصوت من شخص لطيف المحيا يجلس خلف طاولة مكتب ضخمة مثبتة بوساطة (السيراموتيك). يمكن جداً لستاغيار-زيل-دوغو أن يكون شخصاً مميزاً، لكن لأسباب عدة، لن يدعوه أحد بالشخص لطيف المحيا. هذا لم يكن ستاغيار-زيل-دوغو.

قال الشخص لطيف المحيا: «أفترض من طريقة دخولك أنه ليس معك مواد للـ، إيـ، الدليل، في هذه اللحظة». كان يجلس ومرفقاه على الطاولة، ممسكاً أصابعه بطريقة، لسبب غير معروف، لم تُشكّل من قبل إساءة كبيرة.

قال فورد بضعف: «كنت مشغولاً». ترنّح على قدميه وهو ينفض الغبار عنه. ثم فكر، لماذا كان يتكلم بضعف بحق الجحيم؟ عليه أن يسيطر على هذا الموقف. عليه أن يعرف من يكون هذا الشخص بحق الجحيم، وفطن فجأة إلى طريقة لفعل ذلك.

سأل: «من أنت بحق الجحيم؟»

- «أنا رئيس التحرير الجديد الذي تعمل لديه. ذلك إن قررنا الاحتفاظ بخدماتك. اسمي ڤان هارل،» ولم يمد يده، بل أضاف: «ما الذي فعلته بروبوت الحراسة ذاك؟»

كان الروبوت الصغير يتدحرج ببطء شديد حول السقف ويئن لنفسه بصوت منخفض.

رد فورد بسرعة: «لقد جعلته سعيداً جداً، إنها مهمة موكلة إلي. أين ستاغيار؟ والأهم، أين طاولة المشروبات خاصته؟»

- «لم يعد السيد زيل-دوغو يعمل مع هذ المنظمة. أتصور أن طاولة المشروبات خاصته تواسيه لتقبل هذه الحقيقة».

صاح فورد: «منظمة؟ منظمة؟ يا لها من كلمة غبية لبنية كهذه!»

قال هارل: «هذا هو رأينا بالضبط. ضعف البنية، كثرة المصادر، ضعف الإدارة، كثرة السَكَرْ، وذلك فقط قسم التحرير».

زمجر فورد غاضباً: «سأكتب النكت».

قال هارل: «لا، ستكتب عمود المطعم».

رمى قطعة من البلاستيك على الطاولة أمامه. لم يتحرك فورد ليمسكها.

قال فورد: «أنت ماذا؟»

- «لا. أنا هارل. أنت بريفيكت. أنت تكتب عمود المطعم. أنا محرر. أنا أجلس هنا وأقول لك أن تكتب عمود المطعم. فهمت؟»

قال فورد: «عمود المطعم؟» وكان ذهوله أكبر من أن يسمح له بالغضب.

قال هارل: «اجلس يا بريفيكت». استدار على كرسيه الدوار، وقف على قدميه، وراح يحدق إلى الذرات الصغيرة التي تستمتع بالمهرجان تحتها بثلاثة وعشرين طابقاً.

أضاف فجأة: «لقد حان الوقت لننهض بهذا المشروع يا بريفيكت، نحن في شركات إنفينيديم»...

- «أنتم في ماذا؟»

- «شركات إنفينيديم. اشترينا الدليل».

- «إنفينيديم؟»

- «أنفقنا الملايين على ذلك الاسم يا بريفيكت. إما أن تحبه وإما أن تبدأ بجمع أغراضك».

هز فورد كتفيه، ولم يكن لديه ما يجمعه.

قال هارل: «المجرة تتغير، علينا أن نتغير معها. تحرك مع السوق. السوق يتجه تصاعدياً. طموحات جديدة. تقنية جديدة. المستقبل»...

قال فورد: «لا تخبرني عن المستقبل، لقد شاهدته كله، قضيت نصف عمري هناك. لا يختلف عن أي مكان أو زمان آخرين البتة. إنه تكرار للنشاطات القديمة نفسها بسيارات أسرع وهواء أنتن».

قال هارل: «ذلك مستقبل واحد. ذلك مستقبلك، إن قبلك به. عليك أن تتعلم التفكير متعدد الأبعاد. هناك عدد لا محدود من المستقبلات التي تمتد في كل اتجاه من هذه اللحظة، ومن هذه اللحظة ومن هذه. المليارات منها تتفرع في كل لحظة! كل موضع محتمل لكل إلكترون محتمل يتشعب إلى المليارات من الاحتمالات! مليارات ومليارات المستقبلات الساطعة والمشرقة! هل تعلم ما يعنيه ذلك؟»

- «لعابك يسيل من على ذقنك».

- «مليارات ومليارات الأسواق!»

قال فورد: «فهمت. إذاً تبيع المليارات والمليارات من نسخ الدليل».

قال هارل وهو يمد يده إلى منديل ولم يجده: «لا، اعذرني، لكن الحديث مثير لي». ناوله فورد منشفته.

تابع هارل بعد أن مسح فمه: «السبب في أننا لا نبيع المليارات والمليارات من نسخ الدليل هو النفقة. ما نفعله هو بيع نسخة واحدة من الدليل مليارات ومليارات المرات. نستغل الطبيعة متعددة الأبعاد للكون لنقلل من تكاليف التصنيع. ولا نبيع المسافرين المعدمين. ما أغباها من فكرة تلك! ابحث عن القطاع الوحيد من السوق الذي، على نحو أو آخر، في الحقيقة لا يملك المال وحاول أن تبيعه الدليل. لا. بل نبيعه لرجل الأعمال

الغني ولزوجته التي تحب الاستجمام في مليارات مليارات المستقبلات المختلفة. هذا أكثر مشروع أساسي، ديناميكي، ومديد في كل المدى متعدد الأبعاد للمكان، الزمان، والاحتمالية».

قال فورد: «وتريدني أن أكون ناقد المطعم».

- «سنثمّن مداخلتك».

صاح فورد لمنشفته: «اقتل!»

قفزت المنشفة إلى الأعلى من يدي هارل.

إلا أن ذلك لم تسببه أي قوة محركة منها، بل لأن الفكرة أجفلت هارل. الشيء التالي الذي أجفله هو رؤية فورد بريفيكت يندفع بشدة نحوه عبر طاولة المكتب موجّهاً قبضته إليه. في الحقيقة كان فورد يندفع من أجل بطاقة الائتمان. إنما، في هذا النوع من المنظمات لا يمكن أن تحصل على المنصب الذي حصل عليه هارل من دون أن تطوّر حالة صحية من رهاب الحياة.

وكوقاية منطقية، دفع نفسه إلى الخلف وصدم رأسه بقوة بالزجاج المقاوم للصواريخ، ثم خمدت حركته وتحولت إلى سلسلة من الأحلام المقلقة والشخصية جداً.

استلقى فورد على طاولة المكتب وقد فوجئ من سهولة ما حصل. ألقى نظرة سريعة على قطعة البلاستيك التي يحملها الآن في يده، كانت بطاقة ائتمان من نوع داين-و-تشارج واسمه مزخرف عليها، بتاريخ صلاحية يمتد لسنتين من الآن، من المحتمل أن تكون هذه البطاقة أكثر شيء مبهج رآه فورد في حياته، بعد ذلك زحف فورد فوق طاولة المكتب ليرى ما سيفعله حيال هارل.

كان هارل يتنفس بيسر، لكن خطر في بال فورد أن بإمكانه التنفس بيسر أكبر من دون وزن محفظة نقوده، الذي أثقل صدره، لذا أخرجها من جيب هارل الصدري وقلّب في محتوياتها. كمية كبيرة من المال، رموز ائتمانية، بطاقة عضوية في نادي الغولف المتطرف، بطاقات عضوية لنواد أخرى. صور لزوجة وأسرة أحدهم، من المفترض أن تكون زوجة وأسرة هارل، لكن من الصعب التأكد هذه الأيام. غالباً ما يفتقر المديرون النشطون إلى الوقت كي يلتزموا بزوجة وأسرة على مدار الساعة، لذا فهم يستأجرون زوجات وأسر لعطلات نهاية الأسبوع.

ها هي ذي!

لم يستطع تصديق ما وجده للتو.

ببطء أخرج من المحفظة قطعة بلاستيكية مثيرة جداً كانت قابعة بين رزمة من الإيصالات. لم تكن مثيرة جداً للنظر، بل كانت في الواقع مملة. كانت أصغر وأثخن بقليل من بطاقة ائتمانية ونصف شفافة. إن أمسكت بها ونظرت من خلالها إلى الضوء يمكنك رؤية العديد من المعلومات المشفرة بشكل ثلاثي الأبعاد وصور مخفية على عمق إنشات عدة زائفة تحت سطحها.

كانت بطاقة آيدينت-إي-إيز، وكان من البغيض والسخيف لهارل أن يحملها في محفظته، على الرغم من أن الأمر يمكن تفهّمه. في هذه الأيام يوجد العديد من الطرائق المختلفة التي يُطلب إليك بها أن تثبت شخصيتك بطريقة لا لُبس فيها، ويمكن للحياة أن تصبح متعبة جداً من ذلك العامل وحده، بغض النظر عن المشكلات الوجودية المتعلقة بمحاولة التصرف كوعي متماسك في كون محسوس وغامض معرفياً. ألق نظرة على آلات

الصراف في سبيل المثال، يقف الناس في صفوف طويلة بانتظار قراءة بصماتهم، مسح شبكيات أعينهم، كشط قطع صغيرة من جلود مؤخرات أعناقهم والخضوع لتحليل جيني فوري (أو شبه فوري، ست أو سبع ثوان كاملة في واقع ممل)، ثم الإجابة عن أسئلة دقيقة حول أفراد من أسرهم لا يذكرون أنهم موجودون، وحول ألوانهم المفضلة لأغطية المائدة. وذلك كله للحصول على القليل من المال لعطلة نهاية الأسبوع. أما إن كنت تحاول الاقتراض من أجل سيارة بمحرك نفاث، توقيع معاهدة صواريخ، أو دفع فاتورة مطعم كاملة فإن الأمور تصبح متعبة جداً.

لهذا السبب وُجِدَت بطاقة الآيدينت-إي-إيز. في داخلها شيفرة كل المعلومات المتعلقة بك، بجسمك وبحياتك، موضوعة في بطاقة متعددة المهام يمكن للآلة قراءتها ويمكنك حملها معك في محفظتك، وبهذا تمثل هذه البطاقة النصر الأعظم للتكنولوجيا حتى وقتنا هذا على نفسها وعلى الفطرة السليمة.

سرقها فورد، كانت هذه فكرة جيدة بامتياز طرأت له للتو. تساءل عن المدة التي سيبقى فيها هارل غائباً عن الوعي.

صاح للروبوت الصغير بحجم البطيخة الذي لا يزال يترنم بنشاط عند السقف: «أنت! هل تريد أن تبقى سعيداً؟»

قرقر الروبوت موافقاً على أنه يريد ذلك.

«اتبعني إذاً وافعل كل ما أقوله لك من دون خطأ».

قال الروبوت إنه سعيد جداً بمكانه عند السقف وشكر فورد، فهو لم يدرك من قبل كمية الدغدغة الصرفة التي يمكن الحصول عليها من سقف جيد، وأراد أن يسبر أغوار مشاعره حيال الأسقف بعمق أكبر.

قال فورد: «ابق هناك، وسيمسكون بك قريباً ويغيرون شريحتك الشرطية. إن كنت تريد البقاء سعيداً، تعال الآن».

أطلق الروبوت تنهيدة طويلة وصادقة من الحزن الكئيب المتقد وهبط مبتعداً عن السقف على مضض.

قال فورد: «اسمع، هل يمكنك الحفاظ على سعادة ما تبقى من نظام الحماية لدقائق عدة؟»

قال الروبوت بصوت مرتعش: «إحدى متع السعادة الحقيقية هي المشاركة. أنا أطفح، أنا أزبد، أنا أفيض من»...

قال فورد: «حسناً. انشر بعضاً من السعادة في شبكة نظام الحماية وحسب، لا تعطه أي معلومات، اجعل النظام يشعر بالرضا كي لا يحس بالحاجة إلى طلب ذلك».

التقط فورد منشفته وركض بمرح إلى الباب. لقد كانت الحياة مملة في الآونة الأخيرة، لكنها أظهرت الآن الدلائل كافة على تحولها إلى قمة الروعة.

الفصل السابع

زار آرثر دينت في حياته بعض أثقل الأماكن وطأة، لكن لم يسبق له أن رأى قاعدة فضائية تحتوي لافتة تقول: «حتى السفر بكآبة أفضل من الوصول إلى هنا،» للترحيب بالزائرين، قدمت صالة الوافدين صورة لرئيس ناووات[1] وهو يبتسم. كانت الصورة الوحيدة التي تمكنوا من إيجادها له، وقد التقطت له هذه الصورة قبل أن يطلق النار على نفسه بوقت قصير، لذا على الرغم من أن الصورة حُسِّنت بقدر المستطاع إلا أن الابتسامة التي فيها كانت شاحبة جداً. رُسِمَ جانب رأسه في الصورة باستخدام أقلام الشمع. لم يوجد أي بديل للصورة لأنه لم يوجد أي بديل للرئيس. كان هنالك طموح وحيد لدى جميع سكان الكوكب وهو المغادرة.

دخل آرثر فندقاً صغيراً على أطراف البلدة، وجلس بكآبة على السرير الذي كان رطباً، وقلّب صفحات كتيّب المعلومات الذي كان رطباً أيضاً. كُتب في الكتيّب أن كوكب ناووات سمّي تيمناً بكلمات المستوطنين الأوائل الذين وصلوا إليه بعد نضال لسنوات ضوئية في الفضاء ليصلوا إلى أبعد الحدود غير المكتشفة للمجرة. سُمّيت البلدة الرئيسة أوه ويل[2]. لم توجد

---

(١) الكلمة المستخدمة هي NowWhat وتعني: ماذا الآن – المترجم.

(٢) الكلمة المستخدمة هي OhWell وتعني: آه حسناً – المترجم.

بلدات أخرى للتكلم عنها. لم يكن الاستيطان على ناووات ناجحاً، ونوعية الناس الذين أرادوا حقاً الحياة على ناووات هي النوعية التي لا تريد تمضية الوقت معها.

كانت التجارة مذكورة في الكتيّب، والتجارة الرئيسة التي كانت تتم هي تجارة جلود البوغهوغ[1] الناوواتي[2]، لكنها لم تكن تجارة ناجحة لأنه لم يكن أحد يريد، وهو بكامل قواه العقلية، أن يشتري جلد البوغهوغ الناوواتي. استمرت التجارة وتشبثت لسبب وحيد هو أنه كان هناك دائماً عدد كبير من الناس في المجرة ليسوا بكامل قواهم العقلية. شعر آرثر بضيق شديد وهو يعاين بعض المستأجرين الآخرين لمقصورة الركاب الصغيرة في السفينة.

وصف الكتيّب بعضاً من تاريخ الكوكب. من الواضح أن الذي بدأ بكتابة هذا التاريخ كان يحاول استجداء بعض الحماس للمكان عن طريق التأكيد على أنه لم يكن في الواقع بارداً ورطباً طيلة الوقت، لكنه تمكن من إيجاد بعض الإيجابية لإضافتها إلى ما سبق، لذا هبطت نبرة الخطاب في المقال إلى سخرية قاتلة.

تحدث التاريخ عن السنوات الأولى للمستعمرة، وقال إن النشاطات الرئيسة التي كانت تمارس على ناووات تتعلق بالتقاط، وسلخ، وأكل البوغهوغ الناوواتي، الذي كان جل ما تبقى من أشكال الحياة الحيوانية على ناووات، حيث إن كل أشكال الحياة الحيوانية الأخرى كانت قد قضت من

---

(١) Boghog بحسب المؤلف فإن هذا النوع من الحيوانات هو الوحيد الذي يعيش على كوكب ناووات – المترجم.

(٢) نسبة إلى اسم الكوكب ناووات – المترجم.

اليأس منذ وقت طويل. كان البوغهوغ مخلوقاً صغيراً وشريراً، والحد الضئيل الذي فشلوا فيه أن يكونوا قابلين للأكل على الإطلاق هو الحد نفسه الذي استمرت به الحياة على الكوكب. إذاً، ما هي المكافآت، بغض النظر عن صغرها، التي جعلت ناووات كوكباً يستحق الحياة عليه؟ حسناً، لم تكن هناك أي مكافآت، ولا واحدة. حتى صناعة ملابس واقية من جلود البوغهوغ كانت نشاطاً عقيماً ومخيباً للآمال، لأن جلود البوغهوغ كانت رقيقة وغير كتيمة بشكل يتعذر تفسيره. تسبب ذلك بالعديد من التخمينات المُرْبَكة بين المستوطنين. ما هو سر البوغهوغ في البقاء دافئاً؟ لو تعلم أحدهم اللغة التي تتكلمها البوغهوغ مع بعضها لعلم أنه لم يكن في الأمر حيلة. فلقد كانت البوغهوغ تشعر بالبرد والرطوبة مثل أي شخص على الكوكب. إنما لم يكن لأحد أدنى رغبة في تعلم لغة البوغهوغ لسبب بسيط، وهو أن هذه المخلوقات كانت تتواصل مع بعضها عن طريق العض بقوة على الفخذ. وبما أن الحياة كانت على ذلك النحو في ناووات، فإن معظم ما قد تقوله البوغهوغ لبعضها يمكن التعبير عنه بسهولة بهذه الطرائق.

قلّب آرثر صفحات الكتيّب حتى وجد ما كان يبحث عنه. في الخلف كانت هناك خرائط عدة للكوكب، وكانت هذه الخرائط بسيطة لأنه من غير المرجح أن تكون مثيرة لاهتمام أي شخص، لكنها أخبرته بما يريد معرفته.

لم يتعرّف الخرائط في البداية لأنها كانت بالاتجاه المعاكس لما توقعه، لذا بدت غريبة تماماً. بالطبع فإن الأعلى والأسفل، الشمال والجنوب هي دلالات اعتباطية، لكننا معتادون على رؤية الأشياء مثلما اعتدنا عليها، لذا توجب على آرثر قلب الخرائط رأساً على عقب ليفهمها.

كانت هناك قطعة ضخمة من اليابسة في الجانب العلوي الأيسر من الصفحة، التي استدقت حتى أصبحت نحيلة جداً ثم انتفخت مجدداً مثل فاصلة ضخمة. يوجد في الجهة اليمنى مجموعة من الأشكال الضخمة التي اختلطت مع بعضها بشكل مألوف. لم تكن الحدود نفسها تماماً، ولم يعلم آرثر إن كان السبب وراء ذلك قِدَم الخريطة، أو أن مستوى البحر كان أكثر ارتفاعاً، أو، حسناً، الأشياء مختلفة هنا. لكن الدليل كان حاسماً.

كانت هذه الأرض بكل تأكيد.

أو بالأحرى، في الأغلب لم تكن هي.

تكاد لا تشبه الأرض كثيراً وشغلت الإحداثيات نفسها في الزمان والمكان. الإحداثيات التي شغلتها في الاحتمالية كانت تخمين أي شخص.

تنهد آرثر.

أدرك أن هذا أقرب ما يمكنه أن يكون من موطنه. ما يعني أنه أبعد ما يمكنه أن يكون عن موطنه. صفق الكتيّب وتساءل عما سيفعله لاحقاً.

خرجت منه ضحكة عميقة لما فكر فيه للتو. نظر إلى ساعته القديمة وهزها قليلاً ليقرنها. استغرقه الوصول إلى هنا، بالنظر إلى مقياسه الزمني، سنة من الترحال القاسي. سنة مضت على الحادث في الفضاء الفوقي الذي اختفت فيه فينتشيرتش كليّاً. ففي لحظة كانت تجلس إلى جانبه في طائرة الهبوط، وفي اللحظة التالية قامت السفينة بوثبة طبيعية تماماً في الفضاء الفوقي، ولما نظر إليها لم تكن موجودة. لم يكن المقعد دافئاً حتى، ولم يكن اسمها موجوداً في لائحة المسافرين.

شعرت الشركة الفضائية بالقلق حياله عندما اشتكى. يحدث العديد من الأشياء الغريبة في السفر الفضائي، والكثير من هذه الأشياء تعود بأموال كثيرة على المحامين. إنما، لما سألوه من أي قطاع مجرّي أتى هو وفينتشيرتش وقال زدزد٩ بلورال زد ألفا، استرخوا تماماً بطريقة لم يكن آرثر متأكداً أنها أعجبته. حتى إنهم ضحكوا قليلاً، بتعاطف، بالطبع. أشاروا إلى الفقرة في تذكرة العقد التي قالت إنها تحذر الكائنات التي تشكلت حيواتها في أي من مناطق بلورال من السفر في الفضاء الفوقي وأنهم إن فعلوا ذلك فعلى مسؤوليتهم الشخصية. وقالوا إن الجميع يعرف ذلك. ضحكوا ضحكاً مكبوتاً وهزّوا رؤوسهم.

ما إن غادر آرثر مكاتبهم اكتشف أنه يرتجف قليلاً، فهو لم يخسر فينتشيرتش تماماً وحسب، بل شعر أنه كلما أمضى المزيد من الوقت في المجرة ازداد عدد الأشياء التي لا يعرف عنها أي شيء.

وبينما كان سارحاً في هذه الذكريات البعيدة، قُرِعَ باب غرفته في الفندق، ثم فُتِحَ الباب مباشرة. دخل رجل سمين وأشعث وهو يحمل حقيبة آرثر الصغيرة والوحيدة.

لم يقل أكثر من: «أين أضع»... لما حدث اضطراب عنيف وسقط بعنف على الباب محاولاً أن يبعد مخلوقاً صغيراً وحقيراً قفز مزمجراً من رطوبة الليل وغرز أسنانه في فخذ الرجل، على الرغم من ارتدائه طبقات سميكة من البطانة الجلدية في تلك المنطقة. للحظة قصيرة حدث اضطراب مقيت من الفوضى والبربرة. صاح الرجل باهتياج وأشار. أمسك آرثر بعصا ثقيلة كانت موضوعة بالقرب من الباب خصيصاً لهذا الغرض وضرب البوغهوغ بها.

فك البوغهوغ أنيابه فجأة، عرج إلى الخلف وهو مصاب بالدوار وبائساً. استدار بقلق في زاوية الغرفة، أدخل ذيله تحت قدميه الخلفيتين، ووقف ينظر بخوف إلى آرثر وهو يهز رأسه على نحو غريب ومتكرر إلى جانب واحد. بدا أن فكه مخلوع، بكى قليلاً وكشط ذيله المبلل على البلاط. كان الرجل السمين الذي يحمل حقيبة آرثر يجلس إلى جانب الباب وهو يلعن، محاولاً وقف نزيف الدم من فخذه. كانت ملابسه مبللة بفعل المطر.

حدّق آرثر إلى البوغهوغ وهو لا يدري ماذا يفعل. نظر إليه البوغهوغ بتحدٍ، وحاول الاقتراب منه وهو يصدر أصوات أنين حزينة وضعيفة. حرّك فكه بألم، ثم قام بقفزة مفاجئة إلى فخذ آرثر، لكن الفك المخلوع كان أضعف من أن يمسك، فسقط الحيوان، وهو يعوي بحزن، على الأرض. وقف الرجل السمين على قدميه بسرعة، أمسك بالعصا، وضرب رأس البوغهوغ محيلاً إياه إلى مادة لينة ولزجة على السجادة الرقيقة، ثم وقف وهو يتنفس بصعوبة كأنه يتحدى الحيوان أن يتحرك مرة أخرى.

بقيت إحدى عيني البوغهوغ تنظر إلى أرثر بتأنيب وهي خارج حطام رأسها المهروس.

سأل آرثر بصوت ضعيف: «ماذا تظن أنه كان يحاول أن يقول؟»

قال الرجل: «ليس بالشيء المهم، إنها طريقته في محاولة أن يكون ودوداً». ثم أضاف وهو يمسك بالعصا: «وهذه طريقتنا في أن نرد له الود».

سأل آرثر: «متى تقلع الرحلة التالية؟»

قال الرجل: «ظننت أنك وصلت للتو».

قال آرثر: «نعم، ستكون زيارة قصيرة. أردت معرفة إن كان هذا المكان المناسب أم لا. آسف».

قال الرجل بحزن: « هل تقصد أنك على الكوكب الخطأ؟ من المضحك كم كثر هم الناس الذين يقولون ذلك. ولا سيما أولئك الذين يعيشون هنا». ثم عاين بقايا البوغهوغ باستياء موروث وعميق.

قال آرثر: «آه، لا، إنه الكوكب المناسب». التقط الكتيّب الرطب الموضوع على السرير ووضعه في جيبه، ثم قال: «شكراً، سآخذ هذه،» وأخذ الحقيبة من الرجل. ذهب إلى الباب ونظر خارجاً في الليل الرطب والبارد.

قال مجدداً: «نعم، الكوكب المناسب. الكوكب الصحيح في الكون الخطأ».

تحرك طائر بسرعة في السماء فوقه حين كان متجهاً في طريق عودته نحو القاعدة الفضائية.

الفصل الثامن

كانت لفورد قواعده الأخلاقية الخاصة. لم تكن بالعظيمة، لكنها كانت تخصه والتزم بها إلى حد ما. إحدى القواعد التي وضعها كانت ألّا يشتري مشروباته أبداً، لم يكن واثقاً إن كانت تلك أخلاقية، لكن عليك الالتزام بما لديك. كان أيضاً معارضاً على نحو كليّ وتام لأي نوع من أنواع القسوة تجاه أي من الحيوانات مهما كانت، باستثناء الإوز، بالإضافة إلى أنه لم يكن ليسرق من أصحاب العمل.

حسناً، لم يكن ليسرق بالمعنى الحرفي.

لو لم يبدأ مشرف حساباته باللهاث وأطلق إنذاراً أمنياً لإغلاق جميع المخارج عندما يعطيه فورد استحقاق مصاريفه، لشعر الأخير بأنه لا يقوم بعمله على أحسن وجه. لكن السرقة بمعناها الحرفي كانت شيئاً آخر، كانت أشبه بعض اليد التي تطعمك. لا بأس بمصها بقوة، بل حتى قضمها برفق وحنيّة، لكن من دون أن تعضها. ولا سيما إن كانت تلك اليد هي الدليل، فالدليل شيء مقدس ومميز.

فكّر فورد، وهو منحنٍ ويناور في طريقه إلى الأسفل عبر البناء، أن ذلك يوشك أن يتغير، ولن يلوموا إلا أنفسهم. انظر إلى كل هذه الأغراض، صفوف من مهاجع المكاتب الرمادية الأنيقة وحجرات عمل إدارية. كان

المكان بأسره موحشاً ولا يُسمع فيه سوى همهمات المذكرات ودقائق الاجتماعات التي تنتقل بسرعة عبر شبكاته الإلكترونية. بحق زارك، خارجاً في الشارع كانوا يلعبون لعبة اصطياد الووكيت، لكن هنا في قلب مكاتب الدليل لم يكن أحد يركل الكرة بطيش في الأروقة أو يرتدي ملابس بحرية بألوان غير لبقة.

قال فورد لنفسه بعصبية: «شركات إنفينيديم،» وهو يمشي متخفياً بسرعة، ويهبط من رواق إلى آخر. انفتحت له الأبواب واحداً بعد الآخر بطريقة سحرية من دون سؤال. أخذته المصاعد بسعادة إلى أماكن لا يجدر بها أن تأخذه إليها. كان فورد يحاول أن يسلك أكثر الطرق تعقيداً وتشابكاً في طريقه عموماً إلى الأسفل عبر البناء. قام روبوته الصغير والسعيد بكل شيء، فراح ينشر موجات من البهجة المقبولة عبر كل دارات الأمان التي واجهته.

اعتقد فورد أن الروبوت يحتاج اسماً، وقرر أن يسميه إيميلي سوندرز، تيمناً بفتاة كان مولعاً بذكراها. ثم فكر في أن إيميلي سوندرز هو اسم سخيف لروبوت حراسة، وقرر تسميته كولن عوضاً عن ذلك، تيمناً بكلب إيميلي.

كان في هذه الأثناء يغوص في باطن المبنى، إلى مناطق لم يدخلها من قبل، مناطق من مستويات الأمان المتزايدة باضطراد. بدأ يواجه نظرات مرتبكة من عمال يمر بهم. عند هذا المستوى من الأمن لا تدعوهم بشراً، وكانوا يقومون بأعمال لا يقوم بها إلا العمال. حينما يعودون مساءً إلى أسرهم يصبحون بشراً من جديد، وحينما ينظر إليهم أولادهم الصغار بعيونهم الجميلة البراقة ويقولون: «أبي، ما الذي كنت تفعله طوال اليوم؟» يقولون: «لقد أديت واجباتي كعامل». ويتوقفون عند ذلك الحد.

حقيقة الأمر هي أن كل هذه الأشياء شديدة المراوغة كانت تتم خلف واجهة من المرح غير المكترث التي أحب الدليل أن يعرضها – أو كان يحب أن يعرضها – قبل أن تأتي مجموعة شركات إنفينيديم وتبدأ بجعل الأمور شديدة المراوغة. كانت هناك كل أصناف التحايل الضريبي والمضارب والترقيع والصفقات المشبوهة التي تدعم الصرح المشع، وفي أسفل المبنى، في المستويات المحمية للأبحاث ومعالجة البيانات، استمر كل شيء.

كل سنوات عدة كان الدليل ينشئ أعماله، وبالطبع مبناه، على كوكب جديد، وكان يعم التفاؤل والفرح لبعض الوقت في حين كان الدليل يثبّت وجوده في الثقافة والاقتصاد المحليين، يؤمّن التوظيف، وحسّاً من الفخامة والمغامرة، وفي النهاية دخلاً دون توقعات المحليين.

وحينما يغادر الدليل، آخذاً مبناه معه، كان يفعل ذلك تقريباً كلص في الليل. أو في الواقع، تماماً كلص في الليل. كان عادة ما يغادر في ساعات الصباح الباكرة، ودائماً ما يُكتشف في اليوم التالي فقدان كمية كبيرة من الأغراض. في إثر ذلك، كانت تنهار ثقافات واقتصادات بأسرها، وعادة ما يتم ذلك في غضون أسبوع، تاركاً كواكب كانت فيما مضى مزدهرة قد استحالت خراباً وأصيبت بصدمة لكنها لا تزال تشعر بطريقة أو بأخرى أنها كانت جزءاً من مغامرة عظيمة.

كان يطمئن العمّال، الذين نظروا نظرات مربكة إلى فورد وهو يشق طريقه إلى أعماق أكثر المناطق حساسية في المبنى، وجود كولن الذي كان يطير إلى جانبه بأزيز من الرضا العاطفي يسهّل الطريق عليه في كل مرحلة.

بدأت صفارات الإنذار تنطلق في أجزاء أخرى من المبنى. ربما عنى ذلك اكتشاف ثان هارل، ويمكن أن يشكل ذلك مأزقاً. كان فورد يأمل أن يتمكن من إعادة بطاقة الآيدينت-إي-إيز إلى جيبه قبل أن يستعيد وعيه. حسناً، تلك كانت مشكلة لوقت لاحق، ولم تكن لديه في الوقت الراهن أدنى فكرة عن كيفية حلّها. لم يكن ليقلق حالياً، فحيثما ذهب مع كولن كان محاطاً بغطاء من البراعة والخفة، والأهم، وجود المصاعد المستعدة لقبوله والأبواب المتذللة إيجابياً.

حتى إن فورد بدأ يصفر، وهذا كان خطأه في الأغلب، فلم يكن أحد يحب المصفرين، ولا سيما الإله الذي يحدد أقدارنا.

الباب التالي لم يكن ليُفتح.

كان ذلك مؤسفاً لأنه الباب الذي كان فورد يسعى إليه. وقف الباب أمام فورد، رمادياً وموصداً بحزم وعليه لافته تقول: «ممنوع الدخول، حتى للموظفين المخوّلين، أنت تضيع وقتك هنا. ابتعد».

قال كولن إن الأبواب تصبح على العموم أكثر تجهماً في هذه الأماكن السفلية من المبنى.

كانا على عمق عشرة طوابق عن سطح الأرض. كان الهواء مُبَرّداً، وقماش الجدران الرمادي الجميل يُوصِل إلى جدران رمادية داكنة ومسدودة من الفولاذ. تخامد نشاط كولن الهائج إلى نوع من المرح المقصود. قال إنه بدأ يتعب قليلاً، كانت عملية زيادة الوداعة لدى الأبواب في الأسفل تستنزف كل طاقته.

ركل فورد الباب، ففُتح.

تمتم قائلاً: «مزيج المتعة والألم يحل المشكلة دائماً».

دخل وطار خلفه كولن، الذي كانت سعادته قلقة، حتى مع وجود السلك الموضوع مباشرة في قطب السرور الكهربائي لديه. تمايل في الأرجاء قليلاً.

كانت الغرفة صغيرة، رمادية، وفيها صوت همهمة.

كان هذا المركز العصبي للدليل بأكمله.

مثّلت شاشات الحاسوب المصفوفة على طول الجدران الرمادية نوافذ على كل جانب من عمليات الدليل. هنا، على الجانب الأيسر من الغرفة، كانت التقارير تُجمع عبر شبكة السب-إيثا من الباحثين الميدانيين المنتشرين في كل أصقاع المجرة، وكانت تُنقل مباشرة إلى شبكة مكاتب المحررين الثانويين حيث يتم حذف كل الأجزاء الجيدة من قبل أمناء السر لأن المحررين الثانويين يتناولون الغداء في الخارج. بعد ذلك تُرسل النسخة المتبقية إلى النصف الثاني من المبنى – الساق الأخرى لحرف «H» - التي كانت الإدارة القانونية. ستحذف الإدارة القانونية أي شيء جيد ولو قليلاً مما تبقى وترسلها إلى مكاتب المحررين التنفيذيين، الذين يتناولون الغداء في الخارج أيضاً. فيقرؤها أمناء سر المحررين ويقولون إنها مملة ويحذفون معظم ما بقي.

حينما يعود أي من المحررين في النهاية مترنحاً من الغداء سيصيح قائلاً: «ما هذا الهراء الضعيف الذي أرسله لنا سين» - حيث إن سين هو اسم الباحث الميداني الذي يتحدثون عنه - «من آخر المجرة اللعينة؟ ما هي الفائدة من أن يكون لديك شخص يمضي ثلاث فترات مدارية كاملة في

مناطق عقول غاغراكاكا اللعينة، مع كل ما يحدث هناك، إن كان هذا الكم من التفاهة الضعيفة هي أفضل ما يمكنه أن يزعج نفسه بإرسالها إلينا. أوقفوا مصاريفه!»

سيسأل أمين السر: «ماذا نفعل بالنسخة؟»

«آه، ضعها في الشبكة. لا بد من أن شيئاً ما يحصل في الخارج. أصابني صداع، أنا ذاهب إلى المنزل».

لذا ستذهب النسخة إلى تشريح أخير وتتبدد عبر الإدارة القانونية، من ثم ستعاد إلى هنا حيث تُنشر عبر شبكة السب-إثيا للاسترداد الفوري في أي مكان من المجرة. تتم معالجة ذلك عن طريق معدات تراقبها وتتحكم بها الشاشات على الجانب الأيمن من الغرفة.

في هذه الأثناء تم نقل أمر إيقاف مصاريف الباحث إلى شاشة الحاسوب الناتئة في الزاوية اليمنى، وكانت هي الشاشة نفسها التي تحرك باتجاهها فورد بسرعة.

(إن كنت تقرأ هذا النص على كوكب الأرض عندئذ:

أ) حظاً طيباً لك. هناك العديد من الأمور التي لا تعرف عنها شيئاً، لكنك لست الوحيد في ذلك. كل ما في الأمر أن تبعات عدم معرفتك لأي من هذه الأمور بغيضة جداً، لكن لنكن واقعيين، هذه هي الطريقة التي يُسحق بها الكعك ويُطمس تماماً.

ب) لا تتخيل أنك تعرف ما هي شاشة الحاسوب.

شاشة الحاسوب ليست تلفازاً قديماً وغريب المظهر مع آلة كاتبة أمامه. بل هي واجهة حيث يمكن للجسم والعقل أن يتصلا بالكون ويحركا أجزاء منه) .

أسرع فورد إلى الشاشة، جلس أمامها، واقتحم عالمها بسرعة.

لم يكن الكون الطبيعي الذي يعرفه. كان كوناً من العوالم المطوية بكثافة، ذات طوبوغرافية جامحة، قمم جبلية شاهقة الارتفاع، ووديان آسرة، وذات أقمار تتحطم وتتحول إلى أحصنة بحر، تصدعات مؤلمة ومباغتة، محيطات تموج بصمت، فونتات[١] عميقة، مندفعة ومطوّقة.

ثبّت فورد نفسه ليعرف الاتجاهات، وسيطر على تنفّسه، ثم أغلق عينيه ونظر مجدداً.

إذاً هذا هو المكان الذي أمضى فيه المحاسبون أوقاتهم. من الواضح أنهم كانوا يفعلون أكثر من ذلك. نظر حوله بحذر، محاولاً ألا يدع كل شيء ينتفخ وينزلق ويغمره.

لم يدر كيف سيتجه في هذا الكون، ولم يعرف حتى القوانين الفيزيائية التي تحدد امتدادات أبعاده أو سلوكه، لكن غريزته أخبرته أن يبحث عن أكثر مزية واضحة يمكنه رؤيتها ويعمل على أساسها.

على بعد مسافة لا يمكن تمييزها، أكانت ميلاً أو مليوناً أو ذرة في عينه؟، توجد قمة مذهلة قوّست السماء، ارتفعت وارتفعت وتسطّحت في

(١) Funts وحدة روسية قديمة لقياس الوزن.

شكل قنبرة متفتحة (حبيكة تزيينية من الريش)، كتل (كتلة مختلطة)، وكهنة (رجل دين برتبة أقل من القسيس).

تحرك صوبها باضطراب، وفي النهاية وصل إليها في زمن قصير.

تشبث بها بذراعيه الممدودتين، وأحكم قبضته على سطحها الخشن ذي العقد والحفر. وما إن تأكد أنه بمأمن ارتكب الخطأ الفادح بالنظر إلى الأسفل.

لما كان يتحرك باضطراب، لم تزعجه المسافة من تحته كثيراً، لكن بما أنه أحكم قبضته الآن، جعلت المسافة قلبه يذبل وعقله ينحني. كانت أصابعه مبيضة من الألم والتوتر. كانت أسنانه تصرّ وتحتك ببعضها على نحو خارج عن إرادته. انقلبت عيناه إلى الداخل وهي ترفرف من أخطار الدوار الكبيرة.

بجهد هائل من الإرادة والإيمان أرخى قبضته ودفع نفسه ببساطة.

شعر بنفسه يطوف بعيداً، ومن ثم، على عكس حدسه، إلى الأعلى أكثر فأكثر.

دفع كتفيه إلى الخلف وأرخى ذراعيه، حدّق إلى الأعلى وترك نفسه يُجذب بحرية إلى الأعلى.

بعد وقت قصير، في حال كان لهذه المصطلحات أي معنى في هذا الكون الافتراضي، لاح أمامه إفريز يمكنه الإمساك به وتسلقه.

ارتفع فورد، أمسك، وتسلق.

لهث قليلاً، كان ذلك بمجمله مقلقاً بعض الشيء.

أمسك ذلك الإفريز بقوة وهو جالس. لم يكن متأكداً إن كان ذلك لتجنب السقوط أو الارتفاع عنه، لكنه احتاج شيئاً ليمسك به حين كان يعاين العالم الذي وجد نفسه فيه.

دار فورد وهو على هذا الارتفاع الدائر والمسبب للدوار، والتوى دماغه على نفسه، إلى أن وجد نفسه مغلق العينين وهو يئن ويحضن الحائط الشنيع لصخرة شاهقة الارتفاع.

أعاد تنفسه ببطء إلى سيطرته من جديد، وأخبر نفسه مراراً أنه في تمثيل بياني لكوكب. كون افتراضي. حقيقة زائفة. يمكنه الخروج منها في أي لحظة.

خرج منها.

كان يجلس على كرسي مكتبي دوار ممتلئ بالإسفنج، ذي قماش جلدي أزرق، أمام شاشة حاسوب.

استرخى.

كان يتشبث على واجهة قمة مرتفعة على نحو لا يصدق تجثم على سلسة صخور ضيقة فوق نقطة من الأبعاد التي تسبب الدوار.

لم يكن قلقاً من كون المشهد تحته على مسافة بعيدة، بل كان يتمنى أن يتوقف هذا المشهد عن التموّج والرفرفة. عليه أن يحكم سيطرته على شيء ما، لكن ليس على جدار الصخرة الذي كان وهماً، بل عليه أن يحكم سيطرته على الوضع، أن يكون بمقدوره أن ينظر إلى العالم الحقيقي الذي هو فيه في حين يبتعد عنه بحواسه.

تشبث عقلياً بإحكام ومن ثم، بمجرد تخليه عن واجهة الصخرة نفسها، تخلى عن فكرة واجهة الصخرة وترك نفسه يجلس هناك بوضوح وحرية. نظر إلى الكوكب. كان يتنفس بطريقة سليمة، كان هادئاً، وكان ممسكاً بزمام الأمور من جديد.

كان موجوداً في أنموذج رباعي الأبعاد لأنظمة الدليل المالية، وبعد وقت قصير سيود شخص ما أو شيء ما معرفة سبب وجوده.

وها قد أتوا إليه منقضين عبر الفضاء الافتراضي.

كانوا سرباً صغيراً من المخلوقات الخبيثة قاسية النظرات، برؤوس صغيرة مدببة، شوارب دقيقة، وأسئلة ملحّة عن هويته، ما يفعله هناك، نوع تفويضه، نوع تفويض وكيل التفويض خاصته، طول ساقه، وهلمّ جرا.

ومضت الأضواء الليزرية عليه كأنه عبوة بسكويت لدى محاسب في متجر. كانت مدافع الليزر الأقوى، في اللحظة الراهنة، مخبأة لوقت لاحق. لم تكن حقيقة أن كل ذلك كان يحدث في فضاء افتراضي ذات أهمية، فقتلك افتراضياً بليزر افتراضي، في فضاء افتراضي، له أثر قتلك نفسه في الحقيقة، لأنك ستظن أنك ميت.

بدأت القارئات الليزرية في الاهتياج الشديد وهي تومض على بصماته، شبكية عينه وعيّنة مساماته حيث كان امتداد شعره يتراجع. لم يعجبهم إطلاقاً ما كانوا يجدونه. كانت حدة الزقزقة والصراخ في الأسئلة الوقحة وشديدة الخصوصية ترتفع. راحت مكشطة جراحية معدنية تمتد باتجاه الجلد على مؤخرة عنقه عندما أخرج فورد، وهو يحبس أنفاسه ويصلي بصمت، بطاقة الآيدنت-إي-إيز الخاصة بقان هارل من جيبه ولوّح بها أمامهم.

فجأة انحرفت أضواء الليزر كلها نحو البطاقة الصغيرة وتحركت إلى الخلف والأمام على البطاقة وفي داخلها، تقرأ وتتفحص كل جزيء.

ثم، بالطريقة المفاجئة عينها، توقفت.

تحوّل سرب المفتشين الافتراضيين الصغار بأسره إلى وضعيّة الانتباه بسرعة.

قالوا بتناغم متملّق: «من الجميل رؤيتك يا سيد هارل، هل يوجد ما يمكننا فعله لأجلك؟»

ابتسم فورد ابتسامة شريرة وبطيئة.

قال: «أتعرفون؟ أعتقد أن هناك ما يمكنكم فعله».

بعد خمس دقائق خرج من هناك.

استغرقه القيام بالعمل نحو ثلاثين ثانية، وثلاث دقائق وثلاثين ثانية ليخفي أثره. على نحو أو آخر كان بإمكانه فعل ما يحلو له في البناء الافتراضي. فبإمكانه نقل ملكية المنظمة بأكملها إلى اسمه، لكنه شكَّ أن ذلك لن يُلاحظ. وهو لم يرد ذلك في أي حال. فالأمر سيعني المسؤولية، العمل لساعات متأخرة ليلاً في المكتب، من غير التطرق إلى تحقيقات الاحتيال الخطرة والمستنزفة للوقت، ومدة طويلة من الزمن في السجن. كان يريد شيئاً لا يلاحظه أحد سوى الحاسوب: وكان ذلك الجزء الذي استغرق ثلاثين ثانية.

أما الشيء الذي استغرق ثلاث دقائق وثلاثين ثانية فكان برمجة الحاسوب كي لا ينتبه إلى أنه انتبه إلى أي شيء.

فعلى الحاسوب أن يسعى إلى عدم معرفة ما كان يخطط له فورد، حينها بإمكان الأخير ترك الحاسوب ليسوّغ دفاعاته الخاصة لمجابهة المعلومات في حال ظهورها. إنها تقنية برمجة مستوحاة من الاضطراب العقلي الذي لوحظ دائماً بأن الناس العاديين تماماً ينمونه بطريقة أو بأخرى عندما يتم انتخابهم لمنصب سياسي رفيع.

أما الدقيقة الأخرى فأمضاها فورد وهو يكتشف أن نظام الحاسوب لديه في الأصل اضطراب عقلي، كبير.

لم يكن ليكتشفه لو لم يكن مشغولاً بهندسة اضطراب عقلي بنفسه. لقد وقع على عدد وافر من البرمجيات المضللة وإجراءات الإنكار الجيدة والمنطقية في المكان الذي كان يخطط لوضع برمجياته فيه. بالطبع أنكر الحاسوب أي معرفة بها، ومن ثم رفض تماماً وجود أي شيء لإنكار المعرفة به، وكان الأمر مقنعاً إلى درجة أن كاد فورد يظن أنه اقترف خطأ.

أثّر ذلك في فورد إلى حد أنه لم يزعج نفسه بتنصيب إجراءات الاضطراب العقلي خاصته، بل أجرى نداءات للإجراءات الموجودة أصلاً هناك، التي نادت نفسها حين استجوابها، وهكذا.

بدأ بسرعة وهمّة عالية عملية إصلاح الأجزاء الصغيرة من الشيفرة التي نصّبها بنفسه، ليكتشف أنها لم تكن موجودة. راح يبحث عنها وهو يسب ويلعن، لكنه لم يتمكن من إيجاد أثر لها في الإطلاق.

كان يوشك أن يبدأ بتنصيبها من جديد عندما أدرك أن السبب في عدم قدرته على إيجادها هو أنها كانت تعمل.

ابتسم ابتسامة رضا.

حاول أن يكتشف عمل اضطرابات الحاسوب العقلية الأخرى، لكن بدا أن الحاسوب لديه اضطراب عقلي حيالها، وذلك أمر اعتيادي. لم يعد يستطيع إيجاد أي أثر لها على الإطلاق، في الواقع كانت جيدة إلى ذلك الحد. تساءل إن كان يتخيلها، تساءل إن كان يتخيل أنها متعلقة بشيء ما في المبنى، ومتعلقة بالرقم ١٣. أجرى اختبارات عدة. نعم، من الواضح أنه كان يتخيلها.

لا يوجد وقت للتسلية الآن، من الواضح أن هنالك إنذاراً أمنياً كبيراً. صعد فورد بالمصعد إلى الطابق الأرضي ليستخدم المصاعد السريعة. عليه بطريقة ما أن يعيد بطاقة الآيدينت-إي-إيز إلى جيب هارل قبل أن يبحث عنها الأخير. لكنه لم يعلم كيف.

فُتحت أبواب المصعد كاشفة عن حشد كبير من الحراس الأمنيين والروبوتات التي ترفرف بانتظار الباب وتلوّح بأسلحة قذرة.

أمروه بالخروج.

خطا إلى الأمام وهو يهز كتفيه، ودفعوه جميعاً بخشونة ودخلوا في المصعد الذي أنزلهم ليتابعوا بحثهم عنه في الطبقات السفلية.

فكّر فورد في أن ذلك كان ممتعاً وربَّت على كولن بودّ. كان كولن أول روبوت مفيد يقابله فورد على الإطلاق. تمايل كولن أمامه في الهواء بنوع من الوجد المبهج. كان فورد مسروراً لأنه أسماه تيمناً بكلب.

شعر فورد بإغراء كبير لأن يغادر في تلك المرحلة ويأمل في حدوث الأفضل، لكنه علم أن فرص الأفضل بأن يحدث أكبر بكثير إذا لم يكتشف هارل أن بطاقة الآيدينت-إي-إيز خاصته مفقودة.

عليه بطريقة ما أن يعيدها بسريّة.

ذهبا إلى المصاعد السريعة.

قال المصعد الذي دخلا فيه: «مرحباً».

قال فورد: «مرحباً».

قال المصعد: «إلى أين سآخذكما اليوم يا رفاق؟»

قال فورد: «الطابق ٢٣».

قال المصعد: «يبدو أنه طابق محبوب اليوم».

فكّر فورد في أنه لم يحب ما سمعه على الإطلاق.

أضاء المصعد ضوء الطابق الثالث والعشرين على شاشته وبدأ يرتفع بسرعة إلى الأعلى. طرأ شيء ما حيال شاشة الطابق في عقل فورد لكنه لم يتمكن من تذكر ماهيته ونسي الأمر. كانت فكرة أن الطابق الذي يتجه إليه محبوباً تقلقه أكثر. لم يفكر ملياً كيف سيتعامل مع ما يحدث في الأعلى لأنه لم تكن لديه فكرة عمّا سيجده. سيكون عليه أن يرتجل.

وصلا إلى هناك.

فُتح الباب.

صمت مشؤوم.

رواق فارغ.

كان هناك الباب المؤدي إلى مكتب هارل، تحيط به طبقة رقيقة من الغبار. علم فورد أن هذا الغبار يتكون من مليارات الروبوتات الجزيئية الصغيرة التي خرجت من الخشب، بَنَتْ بعضها، أعادت بناء الباب، ففككت بعضها ومن ثم انسلت إلى داخل الخشب من جديد بانتظار الضرر. تساءل فورد عن نوعية الحياة تلك، لكن ليس لوقت طويل لأنه كان مشغولاً أكثر بنوعية حياته في تلك اللحظة.

أخذ نفساً عميقاً وبدأ يركض.

الفصل التاسع

شعر آرثر ببعض الضياع. كانت هناك مجرة كاملة بما فيها ليكتشفها، وتساءل إن كان من الفظاظة أن يتذمر أن هذه المجرة ينقصها شيئان: الكوكب الذي وُلِدَ عليه والمرأة التي أحبها.

قال لنفسه: «فلتذهب هذه المجرة إلى الجحيم،» وشعر أنه في حاجة إلى بعض الإرشاد والنصح. راجع دليل المسافر إلى المجرة، بحث عن «إرشاد» فوجد الدليل يقول: «راجع عنوان النصيحة»، بحث عن «نصيحة» فوجد الدليل يقول: «راجع عنوان الإرشاد». كان الدليل يفعل الكثير من هذه الأمور مؤخراً وتساءل آرثر إن كان الدليل بمجمله لا يعمل جيداً.

اتجه إلى حافة المجرة الشرقية الخارجية، حيث توجد الحكمة والحقيقة، كما يقول الدليل، ولا سيما على كوكب هاواليوس، الذي كان كوكباً يزخر بالوسطاء الروحيين والعرافين والمتنبئين، وأيضاً مطاعم البيتزا، لأن معظم الصوفيين كانوا غير قادرين إطلاقاً على الطبخ لأنفسهم.

إنما، يبدو أن كارثة ما قد حلّت بهذا الكوكب. وبينما كان آرثر يجوب شوارع القرية التي عاش فيها أهم المتنبئين، كان في هوائها شيء من الكآبة وخيبة الأمل.

مرّ بمتنبئ كان من الواضح أنه يغلق متجراً بطريقة كئيبة وسأله عمّا يحدث.

«لا حاجة لنا بعد الآن،» قالها الرجل بفظاظة عندما بدأ يطرق مسماراً في لوح خشب كان يثبته على نافذة كوخه.

- «أوه؟ لم ذلك؟»

- «أمسك بالطرف المقابل لهذه وسأريك».

أمسك آرثر بالطرف غير المثبت من اللوح الخشبي وخطا المتنبئ العجوز بخفة إلى أعماق كوخه، ثم عاد بعد لحظات عدة ومعه مذياع سب-إيثا صغير. شغله، عبث بالقرص لوهلة ومن ثم وضعه على مقعد خشبي صغير عادة ما كان يجلس عليه ويتنبأ. بعد ذلك أمسك باللوح الخشبي من جديد وتابع الطرق.

جلس آرثر واستمع إلى المذياع.

قال المذياع: «ليؤكد»... ثم تابع: «سيعلن نائب رئيس بوفلا ڤيغوس، روبي غا ستيب، غداً عن نيته خوض الانتخابات الرئاسية. في خطاب سيلقيه غداً في»...

قال المتنبئ: «ابحث عن محطة أخرى». ضغط آرثر على زر الضبط.

قال المذياع: «... رفض التعليق،» وتابع: «سيكون المجموع الكلي للعاطلين من العمل في قطاع زابوش الأسبوع المقبل الأسوأ في تاريخه. يقول تقرير صدر الشهر المقبل أن»...

صاح المتنبئ بغضب: «ابحث عن أخرى». ضغط آرثر على الزر مجدداً.

قال المذياع: «أنكرها تماماً. سيكون الزواج الملكي في الشهر القادم بين الأمير غيد من سلالة سووفلينغ والأميرة هوولي من كوكب روي ألفا المناسبة الأكثر إثارة في تاريخ أقاليم بجانجي. مراسلتنا تريليان أسترا هناك وترسل إلينا هذا التقرير».

طرفت عين آرثر.

دوى من المذياع أصوات الجماهير المبتهجة وصخب فرق الآلات الموسيقية النحاسية. صوت مألوف جداً قال: «بالفعل يا كرات، المشهد هنا في منتصف الشهر خيالي بامتياز. تبدو الأميرة هوولي مشرقة في»...

ضرب المتنبئ المذياع بعنف وأسقطه عن المقعد إلى الأرض المغبرة، حيث أطلق صوتاً حاداً كدجاجة بمزاج سيئ.

دمدم المتنبئ قائلاً: «هل سمعت ما علينا منافسته؟ أمسك بهذا. ليست تلك، بل هذه. لا، ليس هكذا. بهذا الشكل. بالعكس أيها الأحمق».

تذمر آرثر قائلاً: «كنت أستمع إلى ذلك،» وهو يحاول بائساً الإمساك بمطرقة المتنبئ.

بصق المتنبئ في الغبار قائلاً: «وهذا ما يفعله الجميع. لذلك يبدو هذا المكان كبلدة أشباح».

- «لا، أقصد أن ذلك بدا كشخص أعرفه».

- «الأميرة هوولي؟ إن توجب علي أن أقف وأرحب بكل من عرفها لاحتجت إلى رئتين جديدتين».

قال آرثر: «ليست الأميرة، المراسلة. اسمها تريليان، لا أعرف من أين حصلت على أسترا. إنها من كوكبي نفسه. كنت أتساءل أين ذهبت».

«آه، إنها على الهواء دائماً هذه الأيام. لا يمكننا التقاط بث قنوات تري-دي المتلفزة هنا بالطبع، بفضل الآركلسيجر الأخضر العظيم، لكنك تسمعها على المذياع، تتسكع هنا وهناك عبر الزمان والمكان طلباً للمتعة. تريد أن تستقر وتجد لنفسها حقبة مستقرة مثلما تفعل أي شابة. ستكون النهاية محزنة. أو ربما هي الآن في وضع محزن». تأرجح المتنبئ مع مطرقته وطرق إبهامه بقوة شديدة. بدأ يتكلم بلغة غير مفهومة.

لم تكن قرية الوسطاء الروحيين أفضل حالاً.

لقد أخبروه أنه حينما يريد البحث عن وسيط روحي جيد، فمن الأفضل أن يبحث عن وسيط روحي ذهب إليه وسطاء روحيون آخرون، لكن الطريق أمامه كانت مسدودة. فقد كانت هناك لافتة على المدخل كُتب عليها: «لا أعلم أي شيء. جرّب الباب التالي، لكن ذلك مجرد اقتراح، وليس نصيحة تنبؤية رسمية».

كان «الباب التالي» عبارة عن كهف على بعد بضع مئات من الياردات، فمشى آرثر باتجاهه. كان الدخان والبخار يتصاعدان، على التوالي، من نار صغيرة وقِدْر مشوّهة من الصفيح كانت معلقة فوقها. كانت هناك أيضاً رائحة بغيضة جداً قادمة من القدر، في الأقل هذا ما اعتقده آرثر. كانت المثانات المتضخمة لحيوانات محليّة تشبه الماعز معلّقة على سلك مدعّم وتجفف في الشمس، ويمكن أن تكون الرائحة صادرة عنها. كان هناك أيضاً، على مسافة قريبة ومقلقة، كومة من أجساد الحيوانات المحلية شبيهة الماعز مطروحة أرضاً، ويمكن أن تكون الرائحة آتية منها.

إنما، يمكن ببساطة أن تكون الرائحة قادمة من السيدة العجوز المشغولة بإبعاد الذباب عن كومة الأجساد. كانت مهمة ميئوساً منها لأن كل ذبابة كانت بحجم غطاء زجاجة مجنّح ولم يكن لديها سوى مضرب تنس طاولة. كما أنها بدت نصف ضريرة. بين الحين والآخر، وعن طريق المصادفة، كانت تتصل ضرباتها المهتاجة بإحدى الذبابات بصوت مكتوم ومُرْض، فتندفع الذبابة عبر الهواء وتصدم نفسها بقوة على واجهة الصخرة على بعد ياردات عدة من مدخل كهف العجوز.

عن طريق سلوكها هذا، أعطت انطباعاً أن هذه هي اللحظات التي عاشت لأجلها.

شاهد آرثر هذا الأداء الغريب لوهلة من مسافة مناسبة، ثم في النهاية حاول اجتذاب انتباهها عن طريق سعلة خفيفة. إنما لسوء الحظ، فإن السعلة الخفيفة، التي قُصد أن تكون دمثة، تطلبت أولاً استنشاق كمية من الهواء المحلي أكبر مما كان يفعله حتى الآن، ونتيجة لذلك، أطلق نوبة من إخراج البلغم بصوت خشن، وانهار مستنداً إلى واجهة الصخرة، وهو يختنق ويذرف الدموع. كافح ليأخذ نفساً، لكن الأمور ازدادت سوءاً مع كل نفس جديد. تقيّأ، واختنق تقريباً من جديد، تشقلب على قيئه، واستمر يتشقلب لياردات عدة، وفي النهاية تمكن من الوقوف على يديه وركبتيه وزحف لاهثاً إلى مكان يوجد فيه هواء أكثر نقاء.

قال: «أستميحك عذراً». استعاد بعضاً من نفسه وتابع: «أنا آسف بشدة. أشعر بأنني أحمق جداً و»... أشار بائساً إلى كومة قيئه الصغيرة التي انتشرت حول مدخل كهفها.

قال: «ماذا أقول؟ ماذا يمكنني أن أقول؟»

ذلك في الأقل استحوذ على انتباهها. نظرت إليه بارتياب، لكن بما أنها نصف ضريرة، فقد واجهت صعوبة في إيجاده في المشهد الصخري غير الواضح.

حاول مساعدتها بالتلويح وصاح: «مرحباً!»

في النهاية رأته، نخرت، وتابعت ضرب الذباب.

كان جليّاً على نحو فظيع من الطريقة التي تحركت بها التيارات الهوائية عندما كانت تضرب الذباب، أنها كانت في الواقع المصدر الأساسي للرائحة. من الممكن أن المثانات المجففة، والأجساد المتفسخة ومحتويات القدر الفاسدة كانت تقدم إسهامات شديدة للهواء، لكن المرأة كانت أساس هذا الحضور الشمّي.

تمكنت من ذبابة أخرى بضربة جيدة، فاصطدمت الذبابة بالصخرة وسالت أحشاؤها بطريقة عدتها العجوز مُرضية، لو أنها تمكنت من الرؤية إلى تلك المسافة.

وقف آرثر على قدميه بطريقة غير متوازنة، ونظّف نفسه بحفنة من العشب الجاف. لم يعرف ما يمكنه فعله أيضاً فيما يخص تقديم نفسه. كان يخطر في باله أن يتابع تجواله، لكنه شعر بالارتباك من ترك قيئه أمام مدخل منزل الامرأة. تساءل عمّا يمكنه فعله حيال الأمر. بدأ ينزع المزيد من حفنات العشب القصير الجاف الذي كان موجوداً هنا وهناك، لكنه كان قلقاً من أنه إذا غامر بالاقتراب من القيء فإنه ببساطة قد يضيف إليه بدلاً من أن ينظفه.

وبينما كان يقلب الأمر باحثاً عن الطريقة المثلى لمتابعة العمل بدأ يدرك أنها أخيراً كانت تقول شيئاً له.

صاح قائلاً: «أستميحك عذراً؟»

قالت المرأة بصوت ضعيف وخشن كاد لا يسمعه: «قلت، هل أستطيع مساعدتك؟»

رد صائحاً وهو يشعر ببعض السخف: «إيـ، قدمت طالباً نصيحتك».

استدارت لتحدق إليه بنظر قصير، ثم استدارت عنه، وضربت ذبابة ولم تصبها.

قالت: «عمَّ؟»

قال: «أستميحك عذراً؟»

قالت وهي تكاد تصرخ: «قلت، عمَّ؟»

قال آرثر: «حسناً، في الحقيقة أردت نصيحة عامة. يقول الكتيّب»...

قالت المرأة العجوز: «ها! الكتيب!» وبصقت. بدت أنها على نحو أو آخر تلوّح بمضربها عشوائياً الآن.

أخرج آرثر الكتيّب المتجعد من جيبه، لم يكن متأكداً لم فعل ذلك. فلقد قرأه وهي، كما توقّع، لا تريد ذلك. لكنه فتحه في أي حال ليكون لديه شيء يعبس فيه متأمّلاً للحظة أو اثنتين. امتلأ الكتيب بكلام لا قيمة له عن الفنون القديمة الغامضة الخاصة بالعرافين والحكماء في هاواليوس، وقدم شرحاً مفصلاً عن مستوى الراحة المتوافر في هاواليون. كان آرثر لا يزال يحمل نسخة من دليل المسافر إلى المجرة معه لكنه اكتشف، عندما عاد إليها، أن المداخل أصبحت مبهمة وهذائية أكثر من ذي قبل وفيها العديد من الأمثلة والاختصارات. كان هنالك خطأ في مكان ما. لم يعلم أكان الخطأ في

نسخته الخاصة، أم أن شيئاً ما أو شخصاً ما أخطأ على نحو كبير، أو ربما يهلوس فحسب، في قلب منظمة الدليل نفسها. إنما بطريقة أو بأخرى أصبح أقل ميلاً من ذي قبل ليثق بالدليل، وهذا يعني أنه لم يثق به إطلاقاً، بل استخدمه ليضع شطائره عليه عندما يأكلها وهو جالس على صخرة ويحدّق إلى شيء ما.

استدارت المرأة وراحت تمشي ببطء نحوه الآن. حاول آرثر، من دون أن تلاحظ، أن يحدد اتجاه الريح، وأمال رأسه معها قليلاً مع اقتراب المرأة.

قالت: «نصيحة، نصيحة أليس كذلك؟»

قال آرثر: «إيـ، نعم. نعم، هذا»...

قطب آرثر جبينه في الكتيّب مجدداً كأنه يحاول أن يتأكد من أنه لم يقرأه خطأً ووصل بغباء إلى الكوكب الخطأ أو شيء من هذا القبيل. يقول الكتيّب: «سيكون السكان المحليون الودودون سعداء بأن يشاركوك معرفة القدماء وحكمتهم. تأمل معهم أسرار الماضي والمستقبل!» كان هناك بعض القسائم أيضاً، لكن إحراج آرثر الكبير منعه من أن يقصها ويحاول تقديمها لأيٍّ كان.

قالت المرأة العجوز مجدداً: «نصيحة، أليس كذلك؟ نصيحة على نحو عام كما تقول حول ماذا؟ شيء من قبيل ما يجب عليك أن تفعله بحياتك؟»

قال آرثر: «نعم. شيء من هذا القبيل. لدي مشكلة تظهر عندما أكون صادقاً تماماً». كان يحاول يائساً، بحركات صغيرة، أن يبقى عكس الريح القادمة منها. فاجأته المرأة باستدارة حادة وتوجهها نحو كهفها.

قالت: «سيتوجب عليك مساعدتي بآلة التصوير إذاً».

قال آرثر: «ماذا؟»

كررت بصبر: «آلة التصوير، سيتوجب عليك مساعدتي في سحبها إلى الخارج. إنها تعمل بالطاقة الشمسية. إنما عليّ إبقاؤها في الكهف، كي لا تتغوط عليها الطيور».

قال آرثر: «فهمت».

تمتمت المرأة العجوز وهي تخطو في ظلمة فتحة الكهف: «كنت لآخذ أنفاساً عميقة عدة لو كنت مكانك».

كاد في الحقيقة أن يفرط في التنفس. لما شعر أنه مستعد، حبس نفسه ولحق بها إلى الداخل.

كانت آلة التصوير عبارة عن شيء كبير وقديم على طاولة ضعيفة. انتصبت داخل ظلال الكهف المعتمة. كانت دواليب الطاولة عالقة بعناد باتجاهات مختلفة وكانت الأرضية خشنة وصخرية.

قالت المرأة العجوز: «اذهب وخذ نفساً في الخارج». كان لون وجه آرثر يتحول إلى الأحمر وهو يحاول مساعدتها في تحريك ذلك الشيء.

هزّ رأسه بارتياح، وقرر أنه إن لم تكن هي محرجة من الأمر، فلن يكون هو الآخر محرجاً. وقف في الخارج وتنفس مرات عدة، ثم دخل ليقوم بالمزيد من الدفع والرفع. كان عليه أن يفعل ذلك مرات عدة حتى أصبحت الآلة أخيراً في الخارج.

لفحت الشمس الآلة. دخلت المرأة العجوز كهفها مجدداً وأحضرت معها بعض اللوحات المعدنية المزركشة، التي أوصلتها بالآلة لتجمع طاقة الشمس.

أطبقت جفنيها قليلاً ونظرت إلى السماء، كانت الشمس ساطعة بعض الشيء، لكن النهار كان سديمياً وضبابياً.

قالت: «ستستغرق بعض الوقت».

قال آرثر إنه سعيد بالانتظار.

هزّت المرأة كتفيها ومشت إلى النار حيث كانت تغلي محتويات علبة الصفيح، ووكزت المحتويات بعصا.

استفسرت من آرثر قائلة: «لا تريد أي طعام للغداء؟»

قال آرثر: «لقد أكلت، شكراً. لا، حقاً، أكلت».

قالت السيدة العجوز: «متأكدة من أنك أكلت». وحركت بالعصا. بعد دقائق عدة أخرجت قطعة من شيء ما، نفخت عليها لتبرد قليلاً، ثم وضعتها في فمها.

مضغتها لوهلة بتأمل.

ثم عرجت ببطء إلى كومة الأشياء الميتة الشبيهة بالماعز. بصقت القطعة على الكومة، وعرجت ببطء عائدة إلى العلبة. حاولت فكها من الشيء الشبيه بالحمالة، الذي كانت معلقة منه.

قال آرثر وهو يقف على قدميه بتهذيب: «هل يمكنني مساعدتك؟» ثم أسرع إليها.

فكّا معاً علبة الصفيح من الحمالة وحملاها على نحو سيئ إلى أسفل المنحدر الصغير المؤدي من كهفها إلى صف الأشجار الضئيلة والمغضّنة، التي شكلت حافة أخدود شديد الانحدار لكنه غير عميق، الذي كان تنبعث منه تشكيلة جديدة من الروائح الكريهة.

قالت السيدة العجوز: «مستعد؟»

قال آرثر: «نعم،» على الرغم من أنه لَمْ يعرف لِمَ.

قالت السيدة العجوز: «واحد».

قالت: «اثنان».

وأضافت: «ثلاثة».

أدرك آرثر في الوقت المناسب ما كانت تنويه. قذفا معاً محتويات علبة الصفيح في الأخدود.

بعد ساعة أو اثنتين من الصمت غير البنّاء، قررت المرأة العجوز أن الألواح الشمسية قد تشرّبت ما يكفي من ضوء الشمس لتشغل آلة التصوير الآن، واختفت لتبحث داخل كهفها. ظهرت في النهاية وفي يدها بضع حزم من الورق ووضعتها في الآلة.

أعطت النسخ إلى آرثر.

قال آرثر وهو يقلّب الصفحات في حيرة: «هذه، إيه، هذه نصيحتك إذاً، أليس كذلك؟»

قالت السيدة العجوز: «لا، هذه قصة حياتي. كما ترى فإن نوعية أي نصيحة من أي شخص يجب أن تقاس بنوعية الحياة التي عاشها. الآن،

وبينما تقرأ هذا المستند سترى أني وضعت خطاً تحت كل القرارات الرئيسة التي اتخذتها وأعلنت عنها في حياتي. كلها مسندة ومفهرسة. أفهمت؟ كل ما يمكنني اقتراحه هو أنك إذا أخذت قرارات معاكسة تماماً لما أخذته أنا من قرارات، عندها قد لا ينتهي بك المطاف في نهاية حياتك»... توقفت قليلاً، وملأت رئتيها من أجل صرخة كبيرة، «... في كهف قديم ونتن كهذا!»

أمسكت بمضرب تنس الطاولة خاصتها، رفعت كمّيها، ومشت إلى كومة الأشياء شبيهة الماعز الميتة، وبدأت تهاجم الذباب بنشاط وحيوية.

كانت القرية الأخيرة التي زارها آرثر تتكون كاملة من أعمدة شاهقة الارتفاع. كانت مرتفعة إلى درجة يصعب فيها، من الأرض، معرفة ما يوجد في أعلاها، وتوجب على آرثر تسلق ثلاثة قبل أن يجد عموداً عليه شيء غير منصة مغطاة بروث الطيور.

ليست مهمة سهلة أن تصعد الأعمدة عن طريق تسلق الأوتاد الخشبية القصيرة التي طُرِقَت في الأعمدة على نحو لولبي متصاعد. كان أي سائح أقل جدية من آرثر سيأخذ صورتين وينزل إلى أقرب حانة شواء، حيث يمكنك شراء تشكيلة من كعكات الشوكولا الطرية والحلوة لتأكلها أمام الزاهدين. لكن، وكنتيجة لذلك، ذهب معظم الزاهدين الآن. في الواقع ذهب معظمهم وأنشؤوا مراكز علاج مربحة على بعض الكواكب الثرية في التمّوج الشمالي الغربي من المجرة، حيث كانت المعيشة أسهل بنحو السبعة عشر مليون مرة، والشوكولا رائعة. تبين أن معظم الزاهدين لم يعرفوا شيئاً عن الشوكولا قبل اعتناقهم الزهد. وكان معظم زبائنهم الذين أتوا إلى مراكز العلاج يعرفونها جيداً.

توقف آرثر على قمة العمود الثالث ليلتقط أنفاسه. كان يشعر بالحر وقد انقطع نفسه، إذ إن كل عمود كان بارتفاع خمسين أو ستين قدماً. بدا العالم يتأرجح من حوله على نحو يصيب بالدوار، لكن ذلك لم يُقلقه كثيراً. كان يعرف، منطقيّاً، أنه لا يمكن أن يموت حتى يصل إلى ستاڤرومولا بيتا [انظر الفصل الثامن عشر من الحياة، الكون وكل شيء]، وبذلك تبنَّى سلوكاً بهيجاً تجاه الأخطار الشخصية الجسيمة. شعر ببعض الدوار وهو جاثم على ارتفاع خمسين قدماً في الهواء على قمة عمود، لكنه تعامل مع الأمر بتناول شطيرة. كان قد أوشك أن يباشر بقراءة النسخة المصوّرة من تاريخ حياة العرّافة، عندما أجفل من سماع سعلة خفيفة خلفه.

استدار على نحو مفاجئ حتى إنه أسقط شطيرته التي نزلت عبر الهواء وأضحت صغيرة عندما صدمت الأرض.

كان ثمة عمود آخر على بعد ثلاثين قدماً خلف آرثر، ومن بين غابة الدستات الثلاث المتفرقة من الأعمدة، كانت قمته غير خالية. كان يشغلها رجل عجوز بدا أيضاً أنه مشغول بأفكار عميقة جعلته يعبس.

قال آرثر: «معذرة». تجاهله الرجل. ربما لم يتمكن من سماعه. كان النسيم يهب قليلاً. كانت مصادفة أن تمكن آرثر من سماع السعلة الخفيفة.

صاح آرثر: «مرحباً؟ مرحباً!»

في النهاية لمحه الرجل. بدا دهشاً لرؤيته. لم يعرف آرثر إن كان دهشاً وسعيداً برؤيته، أو قد فوجئ فقط.

صاح آرثر: «هل أنت مشغول؟»

عبس الرجل بعدم فهم. لم يعرف آرثر إن كان الرجل لم يفهم أو لم يسمع.

صاح آرثر: «سآتي إليك بسرعة، لا تذهب».

نزل عن المنصة الصغيرة وهبط بسرعة على الأوتاد اللولبية، ووصل إلى القاعدة مصاباً بالدوار بعض الشيء.

بدأ يمشي إلى العمود الذي كان يجلس الرجل العجوز عليه، ثم أدرك فجأة أنه أضل طريقه إلى الأسفل ولم يعد يعلم على وجه التحديد أي عمود كان.

بحث حوله عن علامات فعثر على العمود الصحيح.

تسلقه، ولم يكن هو الصحيح.

قال: «اللعنة!» ثم صاح مجدداً للرجل العجوز، الذي كان أمامه على بعد أربعين قدماً: «اعذرني، لقد ضعت. سأكون معك في غضون دقيقة». نزل مجدداً، وازدادت حرارته وانزعاجه.

لما وصل، لاهثاً ومتعرقاً، إلى قمة العمود الذي كان متأكداً من أنه الصحيح ، أدرك أن الرجل كان، بطريقة أو بأخرى، يصعّب الأمر عليه.

صاح له الرجل العجوز برعونة: «ما الذي تريده؟» أدرك آرثر أن الرجل العجوز كان يجلس على قمة العمود نفسه الذي كان هو يجلس عليه ويتناول شطيرته.

نادى آرثر بارتباك: «كيف وصلت إلى هناك؟»

- «أتظن أنني سأخبرك بهذه البساطة ما استغرقني أربعين ربيعاً، صيفاً وخريفاً من الجلوس على قمة العمود حتى عرفته؟»

- «ماذا عن الشتاء؟»

- «ماذا عن الشتاء؟»

- «ألا تجلس على العمود في الشتاء؟»

قال الرجل العجوز: «مجرد جلوسي على العمود معظم حياتي لا يعني أنني أحمق. أذهب إلى الجنوب في الشتاء. لدي منزل شاطئي. أجلس على ماسورة المدخنة».

- «هل لديك أي نصيحة لمسافر؟»

- «نعم، اشتر منزلاً شاطئياً».

- «فهمت».

حدّق الرجل إلى المنظر الطبيعي الحار، الجاف والوعر.

من هنا، تمكن آرثر من رؤية المرأة العجوز، في شكل ذرة في المدى، تتراقص إلى الأعلى والأسفل وهي تضرب الذباب.

صاح الرجل العجوز فجأة: «أتراها؟»

قال آرثر: «نعم، لقد استشرتها في الواقع».

- «لا تعرف شيئاً إطلاقاً. حصلتُ على المنزل الشاطئي لأنها رفضته. ما النصيحة التي أعطتك إياها؟»

- «أن أفعل بالضبط عكس كل ما فعلته هي».

«بمعنى آخر، اشتر منزلاً شاطئياً».

قال آرثر: «أعتقد ذلك. حسناً، قد أشتري واحداً».

كان الأفق يعوم في ضبابة حر كريهة الرائحة.

سأل آرثر: «أي نصائح أخرى غير المتعلقة بالعقارات؟»

قال الرجل: «المنزل الشاطئي ليس مجرد عقار. إنه حالة ذهنية». ثم استدار ونظر إلى آرثر.

على نحو غريب، كان وجه الرجل لا يبعد سوى قدمين. بطريقة ما بدا شكله عادياً تماماً، لكن جسده كان يجلس متربعاً على عمود يبعد أربعين قدماً في حين لم يبعد وجهه أكثر من قدمين عن وجه آرثر. وقف وخطا إلى قمة عمود آخر من غير أن يحرك رأسه، ومن دون أن يبدو عليه إطلاقاً أنه يقوم بشيء غريب. فكر آرثر أن السبب في ذلك إما الحر، وإما أن الفراغ كان مختلف الشكل بالنسبة إليه.

قال: «ليس على المنزل الشاطئي أن يكون على الشاطئ حتى، إلا أن أفضل المنازل هي التي على الشاطئ. جميعنا نحب الاحتشاد في حالات الحد».

قال آرثر: «حقاً؟»

- «حيث تلتقي اليابسة بالماء. حيث تلتقي الأرض بالهواء. حيث يلتقي الجسد بالعقل. حيث يلتقي المكان بالزمان. نحب أن نكون على أحد الجوانب وننظر إلى الجانب الآخر».

شعر آرثر بإثارة شديدة. هذه بالضبط الأشياء التي وعد بها الكتيّب. ها هو ذا رجل يبدو أنه يتحرك في فضاء إيشيري[1] ويتحدث بأشياء عميقة جداً في مختلف الموضوعات.

---

(١) نسبة إلى الفنان الهولندي م. ك. إيشر – المترجم.

لكن الأمر كان مثيراً للأعصاب. فلقد أضحى الرجل ينتقل من عمود إلى الأرض، ومن الأرض إلى عمود، ومن عمود إلى عمود، ومن عمود إلى الأفق ذهاباً وإياباً. كان يجعل من عالم آرثر المكاني هراءً تاماً. قال آرثر فجأة: «توقف رجاءً!»

قال الرجل: «لا تستطيع تحمل الأمر، أليس كذلك؟» عاد من دون أدنى حركة ليجلس متربعاً على قمة العمود الذي يبعد أربعين قدماً أمام آرثر. «لقد أتيت إلي للنصيحة، لكنك لا تستطيع مجاراة أي شيء لا تدركه». فكّر قليلاً وتابع: «إذاً علينا أن نقول لك شيئاً تعرفه مسبقاً لكن بطريقة تجعله يبدو جديداً، أليس كذلك؟ حسناً، هذا هو العمل المعتاد». تنهد الرجل وحدّق بشكل حزين صوب المدى.

ثم سأل: «من أين أنت يا فتى؟»

قرر آرثر أن يتذاكى. لقد ضاق ذرعاً بأن يظن كل من يقابله أنه أبله تماماً. قال: «اسمع، أنت عرّاف. لم لا تخبرني أنت؟»

تنهد الرجل العجوز مرة أخرى. قال: «كنت أحاول أن أبدأ حواراً». ومد يدّه خلف رأسه، ولما أعادها إلى الأمام من جديد كان فيها مجسم كروي للأرض يدور على سبابته المَوَجّهة نحو الأعلى. لا ريب في ذلك. ثم أعادها من حيث جاء بها. ذُهل آرثر.

- «كيف فعلت»...

- «لا أستطيع إخبارك».

- «لم لا؟ لقد قطعت كل هذه المسافة».

- «لا يمكنك رؤية ما أراه لأنك ترى ما ترى. لا يمكنك معرفة ما أعرفه لأنك تعرف ما تعرف. لا يمكن إضافة ما أراه وما أعرفه إلى ما تراه وما تعرفه لأنهما ليسا من النوع نفسه. ولا يمكن استبدال ما تراه وما تعرفه بها، لأن ذلك سيعني استبدالك أنت نفسك».

قال آرثر وهو يتحسس جيبه بانفعال بحثاً عن قلم رصاص: «تمهل قليلاً، هل يمكنني أن أكتب هذا؟»

قال الرجل العجوز: «يمكنك أخذ نسخة من القاعدة الفضائية، لديهم رفوف من هذه المواد».

قال آرثر وقد خاب أمله: «أوه، حسناً، ألا يوجد شيء قد يكون مخصصاً لي بعض الشيء؟»

«كل ما تراه أو تسمعه أو تختبره، بأي شكل على الإطلاق، مخصص لك. إنك تخلق كوناً بإدراكك للكون، لذا كل الأشياء التي تدركها في الكون مخصصة لك.

نظر آرثر إليه بشك وقال: «هل يمكنني أن أحصل على ذلك من القاعدة الفضائية أيضاً؟»

قال الرجل العجوز: «جرّب ذلك».

قال آرثر وهو يسحب الكتيّب من جيبه وينظر إليه مجدداً: «يقول الكتيّب إن بإمكاني الحصول على دعاء خاص، مُؤَلف لي وحدي ولاحتياجاتي الخاصة».

قال الرجل العجوز: «آه، حسناً، هذا دعاء لك، معك قلم رصاص؟»

قال آرثر: «نعم».

- «إنه كالتالي، لنرَ: 'احمني من معرفة ما ليست إليّ حاجة بمعرفته. احمني حتى من معرفة أن هناك أشياء يجب أن أعرفها وأنا لا أعرفها. احمني من معرفة أنني قررت ألا أعرف عن الأشياء التي قررت ألا أعرف عنها شيئاً. آمين.' هذا هو. وهو في الأساس ما تصليه في داخلك في أي حال، لذا يمكنك أيضاً إلقاؤه جهراً».

فكّر آرثر وقال: «حسناً، شكراً لك»...

تابع الرجل العجوز قائلاً: «هناك دعاء آخر يُقال مع السابق وهو مهم جداً. لذا من الأفضل أن تدوّن هذا أيضاً، تحسباً، لا يمكنك الوثوق تماماً. 'مولاي، مولاي، مولاي. احمني من تبعات الدعاء السابق. آمين.' وهذا هو. معظم المشكلات التي يقع فيها الناس في الحياة مصدرها عدم قراءة الجزء الأخير».

سأل آرثر: «هل سمعت بمكان يدعى ستاڤرومولا بيتا؟»

- «لا».

قال آرثر: «حسناً، شكراً لك لأجل المساعدة».

قال الرجل على العمود: «لا داعي لذلك،» وتلاشى.

الفصل العاشر

قذف فورد بنفسه إلى باب مكتب رئيس التحرير، وطوى نفسه في شكل كرة مشدودة، في حين تصدع إطار الباب وأفسح مجالاً من جديد، ثم تدحرج بسرعة عبر الأرضية إلى حيث كانت الأريكة الجلدية الرمادية الأنيقة المحطمة وأنشأ قاعدة العمليات الاستراتيجية الخاصة به خلفها.

في الأقل، تلك كانت الخطة.

لسوء الحظ لم تكن الأريكة الجلدية الرمادية الأنيقة المحطمة موجودة. تساءل فورد، وهو يحرف نفسه في الهواء، يتمايل، ينقض، ويسرع بالاختباء خلف طاولة مكتب هارل، عن سبب هوس الناس السخيف بإعادة ترتيب أثاث مكاتبهم كل خمس دقائق.

في سبيل المثال، لمَ استبدال أريكة جلدية رمادية محطمة مفيدة جداً بشيء يبدو أنه خزان صغير؟

ومن هو الشخص الضخم الذي يحمل قاذف صواريخ محمولاً على كتفه؟ أهو شخص من المكتب الرئيس؟ لا يمكن. فهذا هو المكتب الرئيس. في الأقل، كان المكتب الرئيس للدليل. لا يعلم إلا زاركوان من أين أتى موظفو شركات إنفينيديم. إنما بالنظر إلى لون وبنية جلدهم التي تشبه

اليرقة، يمكن القول إنهم لم يأتوا من مكان مشمس. فكّر فورد أن ذلك كله كان خطأً. يجب أن يأتي الناس المرتبطين بالدليل من أماكن مشمسة.

كان هناك أشخاص عدة في الواقع، وبدوا جميعهم مدججين بالسلاح والدروع أكثر مما يمكن توقعه لإداريين في مؤسسة، حتى في عالم الأعمال العنيف والمنحط هذه الأيام.

بالطبع، كان فورد يفترض الكثير من الأمور هنا. كان يفترض أن الأشخاص الضخام، شبيهي اليرقات بأعناقهم الغليظة، مرتبطون بطريقة ما بشركات إنفينيديم، لكنه كان افتراضاً معقولاً وشعر بالسعادة حياله لأنهم كانوا يرتدون شعارات على صفائح دروعهم كُتِبَ عليها «شركات إنفينيديم». إنما كان لديه شك مزعج في أن هذا ليس اجتماع عمل.

كان أيضاً لديه شعور مزعج بأن هذه المخلوقات شبيهة اليرقات كانت مألوفة لديه بطريقة ما. مألوفة، لكن بمظهر غريب.

حسناً، لقد أمضى في الغرفة ثانيتين كاملتين ونصف، وفكر أنه حان الوقت للبدء بفعل شيء بنّاء. بإمكانه أن يحتجز رهينة. سيكون ذلك جيداً.

كان ثان هارل في كرسيه الدوار، يبدو مرتعباً، شاحباً ومصدوماً. لربما سمع أخباراً سيئة بالإضافة إلى ضربة شنيعة على مؤخرة رأسه. قفز فورد على قدميه وانطلق ليمسك به.

تمكن فورد، تحت ذريعة الإمساك بهارل وتثبيته جيداً بمرفقيه، من أن يضع بطاقة الآيدنت-إي-إيز بسريّة في جيب هارل الداخلي.

أحسنت!

لقد فعل ما أتى ليفعله. عليه الآن أن يستخدم فصاحته ليخرج من هنا.

قال: «حسناً، أنا»... وتوقف.

كان الشخص الضخم الذي يحمل قاذف الصواريخ يستدير نحو فورد بريفيكت ويصوب القاذف نحوه، وهو الشيء الذي لم يشعر فورد أنه تصرف طائش جداً.

بدأ مجدداً وقال: «أنا»...، ثم بدافع مفاجئ قرر أن يطأطئ.

كان هنالك دوي يصم الآذان مع انطلاق ألسنة اللهب من مؤخرة قاذف الصواريخ، وانطلاق الصاروخ من مقدمته.

اندفع الصاروخ بعنف متجاوزاً فورد وصدم النافذة ذات اللوح الزجاجي الكبير، التي اندفعت إلى الخارج في شكل وابل من ملايين الكسرات تحت تأثير قوة الانفجار. ارتدت أمواج صدمة كبيرة من الضوضاء وضغط الهواء في الغرفة، واكتسحت زوجاً من الكراسي، وخزنة ملفات وكولن، روبوت الحراسة، إلى خارج النافذة.

فكّر فورد بريفيكت أنه في النهاية لم يكن هذا الزجاج مضاداً للصواريخ. على أحدهم أن يتكلم مع شخص ما حيال الأمر. فكّ نفسه عن هارل وحاول معرفة إلى أي جهة يركض.

كان محاصراً.

كان الشخص الضخم الذي يحمل قاذف الصواريخ يرفع القاذف إلى موضعه لإطلاق صاروخ آخر. كان فورد تائهاً تماماً حيال خطوته التالية.

قال بنبرة صارمة: «اسمع». لكنه لم يكن متأكداً كم سيفيده قول أشياء ككلمة «اسمع» بنبرة صارمة، أضف إلى أن الوقت لم يكن لصالحه. فكر أن لا شيء مهم، وأن المرء يكون شاباً لمرة واحدة، ورمى نفسه خارج النافذة. ذلك في الأقل يبقي عنصر المفاجأة إلى جانبه.

الفصل الحادي عشر

أدرك آرثر دينت بإذعان أن أول ما عليه فعله هو أن يعيش الحياة. وكان ذلك يعني أن عليه أن يجد كوكباً يمكنه أن يحظى بحياة عليه. إنما من شروط الكوكب أن يتمكن من التنفس فيه، وأن يتمكن من الوقوف والجلوس من دون اختبار مشقات متعلقة بالجاذبية. كما يجب أن يكون الكوكب في مكان حيث مستويات الحموضة منخفضة وحيث النباتات لا تهاجمك فعلياً.

قال للشيء الغريب القابع خلف المكتب في مركز (نصيحة الاستقرار) على كوكب بنتلتون ألفا: «أكره أن أكون بشريّاً حيال الأمر، لكني أفضل العيش في مكان يشبهني الناس فيه إلى حد ما. كما تعلم، بشر إلى حد ما».

لوّح الشيء الغريب القابع خلف المكتب ببعض من أجزائه الأغرب وبدا قد فوجئ قليلاً بما قاله آرثر. اضمحل ونزل عن كرسيه، وشق طريقه ببطء عبر الصالة، تناول خزنة الملفات المعدنية القديمة ومن ثم، بتجشؤ كبير، أفرز الدرج المناسب. أخرج زوجاً من المجسات من أذنه، وأبعد بعض الملفات من الدرج، وابتلع الدرج من جديد وتقيأ الخزنة إلى مكانها. ثم شق طريقه عائداً عبر الصالة. زحف عائداً إلى كرسيه وخبط الملفات على الطاولة.

سأل قائلاً: «هل ترى ما قد تحبه؟»

بحث آرثر متوتراً في بعض الأوراق القذرة والرطبة. كان دون شك في أحد الأجزاء التي تعيش ركوداً في المجرة، وفي مكان بعيد من الجهة اليسرى فيما يخص الكون الذي يعرفه. في الفضاء حيث كان يجب أن يوجد موطنه، كان هناك كوكب رديء وريفي، مغمور بالأمطار وتسكنه العصابات والبوغهوغ. حتى دليل المسافر إلى المجرة لم يبد أنه يعمل جيداً هنا، لذلك أُجبر آرثر على هذا النوع من الاستعلامات في أماكن كهذه.

كان يسأل دائماً عن مكان واحد، وهو ستاڤرومولا بيتا، لكن أحداً لم يسمع بكوكب كهذا.

بدت الكواكب المتوافرة متجهمة بعض الشيء. لم يكن لديها الكثير لتقدمه لآرثر لأن الأخير لم يكن لديه الكثير ليقدمه لها. أربكه كثيراً أن يدرك أنه على الرغم من أن أصله من كوكب فيه سيارات وحواسيب وباليه وأرماناك[1] إلا أنه، شخصياً، لم يعلم كيفية عمل أي منها. لم يكن باستطاعته فعلها. بل لم يكن باستطاعته صناعة آلة تحميص خبز بالرجوع إلى معارفه فقط. كان بإمكانه فقط أن يصنع شطيرة وذلك كل ما في الأمر. لم يكن هنالك الكثير من الطلب لخدماته.

تحطم قلب آرثر، وفاجأه ذلك، لأنه اعتقد أنه متحطم إلى أقصى حد ممكن. أغلق عينيه للحظة. أراد بشدة أن يكون في منزله. أراد بشدة أن يكون على كوكبه، الأرض الحقيقية التي نشأ عليها، وألا تكون دُمّرت. أراد بشدة

(١) نوع من المشروبات الروحية الفرنسية – المترجم.

ألا يكون قد حصل ما حصل. أراد بشدة أنه عندما يفتح عينيه مجدداً أن يكون واقفاً على عتبة بيته الصغير في الريف الغربي لإنكلترا، أن تكون الشمس تشرق على التلال الخضر، وعربة البريد تسير على الطريق، والنرجس البري يزهر في حديقته، وعلى مسافة يكون المقهى مفتوحاً للغداء. أراد بشدة أن يأخذ الجريدة إلى المقهى وأن يقرأها وهو يحتسي كوباً من الجعة. أراد بشدة أن يحلّ الكلمات المتقاطعة. أراد بشدة أن يتمكن من أن يعلق تماماً عند ١٧ عمودي.

فتح عينيه.

كان الشيء الغريب ينبض أمامه بغضب، وهو ينقر ببعض الأذرع الناتئة على طاولة المكتب.

هزّ آرثر رأسه ونظر إلى الورقة التالية.

فكّر آرثر في أنه كوكب متجهم. والتالية.

فكّر آرثر في أنه كوكب متجهم جداً. والتالية.

آه... هذا يبدو أفضل.

كان كوكب يدعى بارتلدان. فيه أوكسجين. فيه تلال خضر. وفيه أيضاً، كما يبدو، ثقافة أدبية مشهورة. لكن أكثر ما أثار اهتمامه هو صور مجموعات صغيرة من السكان البارتلدانيين، يقفون في ساحة قرية، ويبتسمون بلطف للكاميرا.

قال: «آه» ورفع الصورة للشيء الغريب القابع خلف طاولة المكتب.

تلوّت عيناه وتحركت على ذنيبات باضطراب إلى أعلى وأسفل الورقة، تاركة وراءها أثراً متلألئاً لمادة لزجة.

قال بقرف: «نعم، إنهم يشبهونك تماماً».

انتقل آرثر إلى بارتلدان، وباستخدام المال الذي جناه من بيع بعض قصاصات الأظافر واللعاب إلى بنك الحمض النووي، اشترى لنفسه غرفة في القرية المعلن عنها في الصورة. كانت الحياة لطيفة هناك، والهواء معتدل. كان الناس يشبهونه، وبدوا غير منزعجين من وجوده هناك. لم يهاجموه بأي شيء. اشترى بعض الملابس وخزانة لوضعها فيها.

إنه يعيش حياة، وعليه الآن أن يجد غاية فيها.

حاول بادئ الأمر أن يجلس ويقرأ، لكن لم يبد أن الأدب في بارتلدان، على الرغم من شهرته في هذا القطاع من المجرة لرقته وكياسته، استطاع أن يستحوذ على اهتمامه. كانت المشكلة في أنه لم يكن يتحدث في الواقع عن مخلوقات بشرية. لم يكن حول ما أراده البشر. كان سكان بارتلدان يشبهون البشر على نحو ملحوظ من ناحية الشكل، لكن إن قلت «مساء الخير» لأحدهم، فسيميل للنظر حوله بقليل من الدهشة، يستنشق الهواء ويوافق الرأي قائلاً إنه يعتقد أنه مساء خيّر بما أن آرثر ذكر ذلك.

كان آرثر سيقول، أو اعتاد أن يقول: «لا، ما قصدته هو أني أتمنى لك الخير في هذا المساء». سرعان ما تعلم آرثر تجنب هذه المحادثات. ثم يضيف: «أقصد أني آمل أن تحظى بالخير هذا المساء».

المزيد من الارتباك.

كان البارتلداني سيقول في النهاية بِحَيرة مهذبة: «تتمنى؟»

كان آرثر سيقول عندها: «إيـ، نعم، إنني أعبّر عن الأمل في»...

- «أمل؟»

- «نعم».

- «ما هو الأمل؟»

فكر آرثر في نفسه بأن ذلك سؤال جيد، وعاد إلى غرفته ليفكر في الأمور.

من ناحية لم يتمكن سوى أن يحترم ويقدّر ما تعلمه عن وجهة نظر البارتلديين عن الكون، اقبله أو ارفضه. وفي المقابل، لم يستطع إلا أن يشعر بأن عدم الرغبة في أي شيء، وعدم التمني أو الأمل، أمر غير طبيعي.

طبيعي. إنها كلمة تتطلب الدقة.

أدرك آرثر منذ وقت طويل أن العديد من الأشياء التي عدّها طبيعية، مثل شراء الناس الهدايا في عيد الميلاد، والتوقف عند الإشارة المرورية أو السقوط بسرعة ٣٢ قدم/ثانية في الثانية، كانت ببساطة عادات كوكبه وليس من الضرورة أن تعمل بالطريقة نفسها في أي مكان آخر، لكن عدم التمني، لا يمكن لذلك أن يكون طبيعياً، أليس كذلك؟ سيكون ذلك أشبه بعدم التنفس.

كان التنفس أمراً آخر لم يقم به البارتلدانيون، بصرف النظر عن الأوكسجين الموجود في الهواء. كانوا موجودين فقط. كانوا يركضون أحياناً ويلعبون كرة الشبكة وإلى ما هنالك (لكن بالطبع، من دون الرغبة في الفوز، كانوا يلعبون فقط، ومن يفز، يفز)، لم يتنفسوا إطلاقاً. لسبب ما لم يكن ذلك ضرورياً. علم آرثر بسرعة أن لعب كرة الشبكة معهم كان مخيفاً جداً. على الرغم من أن أشكالهم شبيهة بالبشر، حتى حركاتهم وأصواتهم، إلا أنهم لم يتنفسوا ولم يتمنوا الفوز.

في المقلب الآخر، كان التنفس والتمني هو كل ما كان يبدو أن آرثر يفعله طيلة اليوم. أحياناً كان يتمنى بعض الأمور بشدة إلى درجة تثير تنفسه بعض الشيء، فيتوجب عليه أن يستلقي لوهلة. بمفرده، في غرفته الصغيرة. بعيداً جداً عن العالم الذي أنجبه إلى درجة أن دماغه لا يستطيع معالجة الأرقام المتعلقة ببعده من دون أن يُنهك.

فضّل ألا يفكر فيه. فضّل أن يجلس ويقرأ، أو بالأحرى كان سيفضّل القراءة إن كان هناك ما يستحق القراءة. لكن أحداً في القصص البارتلدنانية لم يرد شيئاً على الإطلاق، ولا حتى كأساً من الماء. من المؤكد أنهم سيجلبون واحدةً إن كانوا عطاشاً، لكن إن لم توجد كأس، كانوا سيجلسون ولا يفكرون في الأمر. لقد قرأ مؤخراً كتاباً كاملاً عن بطل قام، على مدار أسبوع، ببعض الأعمال في حديقته، لعب بكرة الشبكة كثيراً، وساعد في إصلاح طريق، وتبنى طفلاً لزوجته ومن ثم مات فجأة من العطش قبل الفصل الأخير بقليل. بنوبة من السخط، بحث آرثر عائداً في صفحات الكتاب وفي النهاية وجد دلالة عابرة إلى بعض المشكلات في أنابيب المياه في الفصل الثاني. وكان ما كان. مات الشاب إذاً، وحدث ما حدث.

لم تكن ذروة الأحداث في الكتاب حتى، لأنه لم تكن هناك واحدة. مات الشخص في ثلث الفصل ما قبل الأخير من الكتاب، وما تبقى منه كان ذكر لمزيد من الأمور حول إصلاح الطرق. انتهى الكتاب تماماً بمئة ألف من الكلمات، لأن طول الكتب في بارتلدان هكذا كان.

رمى آرثر الكتاب عبر الغرفة، باع الغرفة وغادر. بدأ يسافر بحماس شديد، يقايض المزيد والمزيد من اللعاب، وأظافر القدم، وأظافر اليدين،

والدم، والشعر، وأي شيء يريده أي أحد، مقابل التذاكر. اكتشف أن بإمكانه السفر بالدرجة الممتازة إن قايض المني. لم يستقر في أي مكان، بل حضر في العالم الشفقي مُحكَم الإغلاق لقمرات السفن فوق الفضائية، يأكل، ويشرب، وينام، ويشاهد الأفلام، ولا يتوقف إلا في القواعد الفضائية ليمنح المزيد من الحمض النووي ويستقل السفينة التالية على جدول الرحلات الطويلة. انتظر طويلاً ليحدث حادث آخر.

الإشكالية في جعل الحادث المناسب يحدث هي أنه لن يحدث. فليس هذا ما تعنيه كلمة «حادث». لكن الحادث الذي طرأ أخيراً لم يكن ما خطط له في الإطلاق. كانت السفينة تومض في الفضاء الفوقي، رفرفت على نحو رهيب بين سبع وتسعين نقطة مختلفة في المجرة في وقت واحد، والتقطت الجاذبية المفاجئة لأحد الكواكب المجهولة في إحدى النقاط، وعلقت في غلافه الجوي الخارجي وبدأت تسقط، تدوي وتتمزق، في داخله.

أكدت أنظمة السفينة على طول الطريق هبوطاً أن كل شيء طبيعي تماماً وتحت السيطرة، لكن لما دارت دورتها الأخيرة المحمومة، وتمزقت بعنف عبر نصف ميل من الأشجار، وتفجرت في النهاية مُشكّلة كرة هائجة من اللهب، بدا واضحاً أن ما تقوله أنظمتها ليس صحيحاً.

غمرت النيران الغابة، واهتاجت في الليل، ثم أطفأت نفسها بإتقان، مثلما هو مطلوب من كل النيران غير المتوقعة التي تتجاوز حجماً محدداً أن تفعل بحسب القانون. بعد ذلك بفترة قصيرة اشتعلت نيران صغيرة أخرى هنا وهناك بسبب انفجار قطع متفرقة من الحطام بهدوء عندما حان وقتها. ثم انطفأت هذه النيران أيضاً.

بسبب الملل التام من الرحلات اللانهائية بين النجوم، كان آرثر دينت الشخص الوحيد على متن السفينة الذي تعرّف إجراءات السلامة في السفينة في حالة الهبوط المفاجئ، لذلك كان الناجي الوحيد. استلقى وهو مصاب بالدوار والكسور وينزف في غطاء واق زغبي زهري اللون طُبِعَت عليه عبارة «طاب يومك» بأكثر من ثلاثة آلاف لغة.

انزلق صمت أسود هادر عبر عقله المحطم. كان يعلم بنوع من اليقين المذعن أنه سينجو، لأنه لم يصل بعد إلى ستاڤرومولا بيتا.

بعد ما بدا أنه دهر من الظلمة والألم، أصبح مدركاً لأشكال صامتة تتحرك حوله.

الفصل الثاني عشر

هبط فورد عبر الهواء الطلق في سحابة من شظايا الزجاج وأجزاء الكراسي. ومجدداً، لم يكن يحتسب التبعات بدقة، وكان يتصرف ارتجالياً، يحاول اكتساب الوقت. اكتشف أن من المفيد غالباً، في أوقات الأزمات الكبيرة، أن يرى شريط حياته يمر أمام عينيه. فذلك يقدم له فرصة للتفكّر في الأمور، يرى الأمور من منظور ما، ويوفر له أحياناً أفكاراً جوهرية فيما يخص الخطوة التالية.

كانت الأرض تتجه مسرعة للقائه بسرعة ٣٠ قدماً بالثانية، لكنه فكر أنه سيتعامل مع تلك المشكلة عندما يصل إليها، حسب سلم الأولويات.

آه، ها هي ذي، مرحلة طفولته. دندنة بعض الطبول، لقد شاهد كل ذلك من قبل. مرّت الصور، أوقات مملة على كوكب بيتلجوس الخامس. زيفود بيبلبروكس وهو طفل. نعم، كان يعرف كل ذلك. تمنى لو أن لديه زر تسريع في دماغه. عيد ميلاده السابع، إعطاؤه منشفته الأولى. هيا، هيا.

كان يتقلّب وهو متجه إلى الأسفل، وكان الهواء الخارجي على هذا الارتفاع صدمة باردة لرئتيه، وكان يحاول ألا يستنشق الزجاج.

الرحلات الأولى إلى كواكب أخرى. كُرمى لزارك، إن هذا أشبه بوثائقي لعين عن قصة الرحلة قبل الحدث الرئيس. بداية العمل لأول مرة في الدليل.

آه! كم كانت جميلة تلك الأيام. كانوا يعملون خارج كوخ على جزيرة بوينيلي المرجانية على كوكب فانالا، قبل أن يُخبِر عنها الريكتاناركاليون والدانكويديون. ستة شبان، بعض المناشف، حفنة من الأجهزة الرقمية شديدة التعقيد، والأهم من ذلك، الكثير من الأحلام. لا، الأهم من ذلك، الكثير من الشراب الفانالي. من أجل الدقة التامة، كان شراب جانكس العتيق الروحي أهم شيء بلا منازع، ومن ثم الشراب الفانالي، وأيضاً بعض الشواطئ على الجزيرة المرجانية حيث تتسكع الفتيات المحليات، لكن الأحلام كانت مهمة أيضاً. ما الذي حصل لها؟

لم يتمكن في الواقع من تذكّر ماهية الأحلام بالضبط، لكنها كانت تبدو مهمة كثيراً في وقتها. وبالتأكيد لم تتضمن طابق المكاتب الضخم والمرتفع الذي كان فورد يسقط إلى جانبه الآن. حصل كل ذلك عندما بدأ أعضاء من الفريق الأصلي بالاستقرار وأصيبوا بالجشع، في حين بقي هو مع آخرين خارجاً في الميدان، يجرون الأبحاث ويسافرون متطفلين، وينعزلون تدريجياً عن الشركة الكابوس التي استحال إليها الدليل بعناد، وعن الضخامة البنيوية التي تبوأها. أين كانت الأحلام في ذلك؟ فكّر في جمع محامي الشركة الذين احتلوا نصف المبنى، كل «العمال» الذين احتلوا الطبقات السفلية، وكل المحررين الثانويين وأمناء سرهم، ومحامي أمناء سرهم، وأمناء سر محامي أمناء سرهم، والأسوأ من كل ذلك، المحاسبين وقسم التسويق.

كان ميالاً إلى الاستمرار في السقوط وحسب. ولم يكن لديه الكثير ليشير به إليهم.

كان يمر بالطابق السابع عشر الآن، حيث يقع قسم التسويق. يتناقش العديد من السكيرين حيال اللون الذي يجب أن يكون عليه الدليل ويمارسون مهاراتهم، اللامتناهية والمؤكّدة، في لعب دور الحكماء بعد الحدث. لو اختار أيّ منهم أن ينظر خارج النافذة في تلك اللحظة لجفل من منظر فورد بريفيكت يسقط أمامهم إلى موته المحتّم ويشير إليهم بإشارات حرف V.

الطابق السادس عشر، المحررون الثانويون، ملاعين. ماذا عن نسخته التي اقتطعوها؟ خمس عشرة سنة من الأبحاث التي حفظها وحده من كوكب واحد، واختصروها إلى كلمتين، «غير مؤذٍ في الغالب»[1]. إشارات V لهم أيضاً.

الطابق الخامس عشر، الإدارة اللوجستية، بغض النظر عن معنى ذلك. كل الذين يعملون هنا لديهم سيارات كبيرة. فكّر فورد أن هذا ما كان يعنيه ذلك.

الطابق الرابع عشر، الموظفون. لدى فورد شك دقيق جداً في أنهم من خطط لغربته التي استمرت خمسة عشر عاماً في حين تحول الدليل إلى الصخرة المؤسساتية (أو بالأحرى، صخرتين – يجب عدم نسيان المحامين).

الطابق الثالث عشر، التطوير والأبحاث.

انتظر.

الطابق الثالث عشر.

كان عليه أن يفكر بسرعة في هذه اللحظة لأن الموقف يزداد إلحاحاً.

---

(١) في النص الأصلي Mostly Harmless – المترجم.

تذكر فجأة لوحة عرض الطابق في المصعد، لم تكن تحتوي الطابق الثالث عشر. لم يفكر فيها كثيراً لأنه، بحكم تمضيته خمسة عشر عاماً على كوكب الأرض المتخلف حيث كانوا يؤمنون بخرافات الرقم ثلاثة عشر، كان معتاداً على الحضور في أبنية رُقِّمت طوابقها من دون ذلك الرقم. إنما لم يكن ثمة داع لذلك هنا.

وبينما كان يمر بها سريعاً، لم يتمكن من ملاحظة أن نوافذ الطابق الثالث عشر كانت معتمة.

ما الذي يجري في الداخل؟ بدأ يتذكر كل الأمور التي كان يتحدث عنها هارل. دليل واحد، جديد، متعدد الأبعاد ينتشر عبر عدد لا متناه من الأكوان. بالطريقة التي تحدث فيها هارل، بدت الفكرة كاختراع جامح يخلو من المعنى نفذه قسم التسويق بدعم من المحاسبين. إن كانت حقيقية أكثر من ذلك فهي فكرة غريبة وخطرة جداً. هل كانت حقيقية؟ ما الذي كان يجري خلف النوافذ المعتمة للطابق الثالث عشر المغلق؟

شعر فورد بتزايد حس الفضول لديه، ومن ثم تزايد الإحساس بالخوف. كانت تلك اللائحة الكاملة للأحاسيس المتزايدة لديه. أما من النواحي الأخرى فقد كان يسقط بسرعة. عليه بحق أن يجعل عقله يتساءل كيف سيخرج من هذا الموقف حيّاً.

نظر إلى الأسفل، إذ بدأ الناس يتجمهرون تحته، وعلى بعد مئة قدم تقريباً، وراح بعضهم ينظر مترقباً، يفسحون له مكاناً، حتى إنهم ألغوا مؤقتاً الصيد الرائع والسخيف جداً لمخلوقات الوكيت.

كان يكره أن يخيّب أملهم، لكنه لم يدرك من قبل أن كولن كان تحته بقدمين. من الواضح أن كولن كان يحاول إرضاء فورد قدر استطاعته بسعادة وينتظره ليقرر ما يريد أن يفعل.

صرخ فورد: «كولن!»

لم يستجب كولن. شعر فورد بالذعر. ثم أدرك فجأة أنه لم يخبر كولن أن اسمه كولن.

صاح فورد: «اصعد إلى هنا!»

صعد كولن متمايلاً إلى جانبه. كان كولن يستمتع بالهبوط كثيراً وتمنى أن يكون فورد كذلك أيضاً.

على نحو غير متوقع استحال عالم كولن داكناً عندما غلّفته منشفة فورد فجأة. شعر كولن بازدياد وزنه، وشعر بالإثارة والفرحة الناجمتين عن التحدي الذي جلبه فورد، لكنه لم يكن متأكداً إن كان يستطيع ذلك، هذا كل ما في الأمر.

عُلِّقت المنشفة فوق كولن، وكان فورد متعلقاً بالمنشفة، ممسكاً بدرزاتها. ارتأى مسافرون آخرون أن يعدّلوا مناشفهم بطرائق غريبة، مُدخلين كل أنواع الأدوات السرية والمساعِدات، حتى عِدد الحواسب في نسيجها. كان فورد أصولياً، وكان يحب أن يبقي الأمور بسيطة. كان يحمل منشفة عادية من متجر عادي لقطع الأثاث الخفيفة. كان فيها أيضاً نوع من التصميم الشبيه بالزهور، ذي اللون الأزرق والقرنفلي، الذي بقي على الرغم من محاولاته المتكررة لإزالته بالمبيّض أو غسله بالأحجار. كما خِيط

فيها زوج من الأسلاك، قطعة من عيدان الكتابة المرنة، وأيضاً بعض المواد الغذائية المشرّبة في إحدى زوايا القماش حتى يتمكن من مصّها في حالات الطوارئ، لكن بغض النظر عن ذلك كانت منشفة عادية يمكنك تجفيف وجهك بها.

التعديل الحقيقي الوحيد الذي حثّه صديق على فعله هو تقوية درزاتها.

أمسك فورد بالدرزات كمجنون.

كانا لا يزالان يهبطان، لكن سرعة الهبوط انخفضت.

صاح فورد: «إلى الأعلى يا كولن!»

لم يحدث شيء.

صاح فورد: «إنّ اسمك هو كولن. لذا حينما أصيح، 'إلى الأعلى يا كولن!' أريدك يا كولن أن تصعد إلى الأعلى. موافق؟ إلى الأعلى يا كولن!»

لم يحدث شيء، أو بالأحرى صدر صوت أنين مكتوم من كولن. كان فورد قلقاً جداً. كانا يهبطان ببطء شديد الآن، لكن فورد كان قلقاً من نوعية الناس الذين تمكن من رؤيتهم يتجمعون على الأرض تحتهما. كان النوع من الناس المحليين الودودين، صائدي الوكيت يتشتتون، بينما يظهر مكانهم، فيما بدا أنه من العدم، المخلوقات شبيهة اليرقات، الثقيلة بأعناقها التي تشبه أعناق الثيران، وهم يحملون قاذفات الصواريخ. يعج العدم في الواقع، كما يعرف بحق كل المسافرين المجربين المتمرسين، بتعقيدات متعددة الأبعاد.

صرخ فورد مجدداً: «إلى الأعلى، إلى الأعلى! كولن، اصعد إلى الأعلى!»

كان كولن يئن ويجدّ. كانا الآن على نحو أو آخر ثابتين في الهواء. شعر فورد كأن أصابعه تنكسر.

- «إلى الأعلى!»

ظلّا ثابتين.

- « إلى الأعلى، إلى الأعلى، إلى الأعلى!»

كانت هنالك يرقة تستعد لإطلاق صاروخ عليه، ولم يستطع فورد تصديق ذلك، كان متعلقاً من منشفة في منتصف الهواء، وكانت يرقة تستعد لإطلاق صاروخ عليه. كان ينفد منه كل ما استطاع أن يفكر فيه وبدأ يرتعب بحق.

عادة ما كان في هذا النوع من المآزق يعتمد على وجود الدليل ليعطيه النصح، بغض النظر عن مدى إثارته للسخط أو سطحيته، لكن هذه لم تكن اللحظة المناسبة ليمد يده إلى جيبه. ويبدو أن الدليل لم يعد صديقاً أو حليفاً، بل إنه الآن بحد ذاته مصدر للخطر. فبحق زارك، كانت هذه مكاتب الدليل التي كان متعلقاً خارجها، معرضاً حياته للخطر من الناس البادين الآن أنهم يملكون الدليل. ما الذي حدث لكل الأحلام التي تذكر على نحو مبهم أنها راودته على جزيرة بوينيلي المرجانية؟ كان عليهم أن يدعوا كل شيء على حاله. كان عليهم أن يبقوا هناك، على الشاطئ، كان عليهم أن يحبوا نسوة طيبات، يقتاتون على السمك. كان عليه أن يعرف أن كل شيء كان خطأً في اللحظة التي بدؤوا فيها بتعليق آلات بيانو عملاقة فوق برك وحوش البحر في الردهات. بدأ يشعر بأنه منهك تماماً وبائس، وكانت أصابعه تحرقه بألم شديد. وكان كاحله لا يزال يؤلمه.

فكّر بمرارة، آه، شكراً لك أيها الكاحل، شكراً لك للتذكير بمشكلاتك في هذا الوقت، أعتقد أنك ستحب حمام قدم ساخناً ليحسّن من وضعك، أليس كذلك؟ أو في الأقل، قد تريدني أن...

خطرت له فكرة.

رفعت اليرقة المدرعة قاذف الصواريخ إلى كتفها، من المفترض أن الصاروخ مصمم ليصيب أي شيء يتحرك في طريقه.

حاول فورد ألا يتعرق لأن باستطاعته الإحساس بانزلاق قبضته على درزات منشفته.

باستخدام إصبع قدمه السليمة دفع وحرّك كعب الحذاء على قدمه المصابة.

تمتم فورد بيأس لكولن: «اصعد إلى الأعلى، عليك اللعنة!» إذ إن كولن كانت تخور قواه بسعادة، لكنه غير قادر على الارتفاع. عمل فورد على كعب حذائه.

كان يحاول تقدير التوقيت، لكن لم يكن هنالك معنى لذلك، عليه القيام بالأمر فحسب، لم تكن لديه سوى فرصة واحدة فقط. كان قد نزع الآن مؤخرة حذائه عن عقب قدمه. ارتاح عقبه المصاب قليلاً، حسناً، ذلك جيد، أليس كذلك؟

باستخدام قدمه الأخرى ركل كعب حذائه الذي انزلق عن قدمه وسقط عبر الهواء، بعد نصف ثانية انطلق صاروخ من فوهة القاذف وصادف الحذاء وهو يسقط عبر مساره، فذهب الصاروخ إلى الحذاء مباشرة، أصابه، وانفجر بشعور غامر من الرضا والإحساس بالإنجاز.

حدث ذلك على ارتفاع خمس عشرة قدماً تقريباً من الأرض.

وُجِّهت قوة الانفجار الأساسية إلى الأسفل، حيث كان يوجد منذ ثانية جماعة من إداريي شركات إنفينيديم ومعهم قاذف صواريخ يقفون في ساحة مدرّجة وأنيقة مرصوفة بشرائح كبيرة من حجر صقيل، مأخوذة من مقالع زينتالكابولا الأثرية، والآن، يوجد بدلاً من ذلك حفرة صغيرة توجد فيها أجزاء مقرفة.

انبثقت إلى الأعلى من الانفجار لفحة كبيرة من الهواء الساخن ورمت بفورد وكولن بعنف إلى السماء. كافح فورد بتهور للإمساك وفشل، ودار بائساً إلى الأعلى عبر السماء، فوصل إلى قمة قبة السماء. توقف قليلاً ثم بدأ يسقط من جديد. سقط وسقط ثم اصطدم فجأة، وعلى نحو سيئ، بكولن الذي كان لا يزال يرتفع.

عانق فورد الروبوت الكروي الصغير يائساً. انزلق كولن على نحو أخرق عبر الهواء باتجاه برج مكاتب الدليل، وهو يحاول بابتهاج أن يتحكم بنفسه ويبطئ.

دار الكوكب بطريقة مغثة حول رأس فورد، وهما يدوران ويلتفان حول بعضهما، ثم وبالطريقة المغثة عينها، توقف كل شيء على حين غرة.

وجد فورد نفسه قد حط غير مستقر على إفريز نافذة. سقطت منشفته إلى جانبه فمد يده وأمسكها. تمايل كولن في الهواء على بعد إنشات عدة منه.

نظر فورد حوله بانبهار وهو مكدوم، ينزف، ومنقطع النفس. كان الإفريز بعرض قدم فقط، وكان فورد يجثم عليه من دون ثبات، على ارتفاع ثلاثة عشر طابقاً.

ثلاثة عشر.

كان يعرف أنه على ارتفاع ثلاثة عشر طابقاً لأن النوافذ كانت داكنة. كان منزعجاً بمرارة. كان قد اشترى هذا الحذاء بسعر باهظ من متجر في الجهة الشرقية السفلى من نيويورك. وكنتيجة لذلك، كتب مقالاً كاملاً عن متعة انتعال أحذية رائعة، الذي تم التخلص منه في نكبة الـ «غير مؤذ تقريباً». اللعنة على كل شيء.

والآن ضاعت فردة من الحذاء، رد رأسه إلى الخلف وحدّق إلى السماء. لم تكن الحادثة لتكون مأساة مقيتة لولا أن الكوكب المذكور لم يدمر، إذ إن ذلك يعني أنه لن يتمكن من الحصول على زوج آخر.

نعم، بوجود العدد اللامتناهي من الامتدادات الفرعية للاحتمالية، يوجد بالطبع عدد لا محدود تقريباً من كواكب الأرض، لكن، حينما تقصد الأمر، فإن زوجاً فاخراً من الأحذية ليس بالشيء الذي يمكنك استبداله عن طريق التجوال في المكان والزمان متعدد الأبعاد.

تنهد فورد.

آه حسناً، عليه أن يستفيد إلى أقصى حد من الأمر، في الأقل لقد أنقذ الحذاء حياته، في الوقت الراهن.

كان يجثم على إفريز بعرض قدم على ارتفاع ثلاثة عشر طابقاً إلى جانب بناء، ولم يكن متأكداً قط أن ذلك يستحق حذاءً جيداً.

حدّق وهو يشعر بالدوار عبر الزجاج المعتّم. كان المكان داكناً وصامتاً كقبر. لا، تلك كانت فكرة سخيفة، فلقد ذهب إلى حفلات رائعة في القبور.

هل باستطاعته اكتشاف بعض التحركات؟ لم يكن متأكداً. بدا أنه تمكن من رؤية ظلال غريبة مرفرفة من نوع ما. ربما كان ذلك بفعل الدم الذي يقطر فوق هدبيه. مسح الدم. كم يجب أن تكون له مزرعة في مكان ما، يربي بعض الخراف. حدق إلى النافذة مجدداً وهو يحاول معرفة ماهية الأشكال، لكنه شعر، وذلك شائع جداً في كوننا المعاصر، أنه ينظر إلى خدع بصرية من نوع ما، وأن عينيه تتصرفان بطريقة وضيعة معه.

هل يوجد طائر من نوع ما في الداخل؟ هل ذلك ما أخفوه هنا في طابق مغلق خلف زجاج معتّم ومضاد للصواريخ؟ قفص طيور كبيراً لأحدهم؟ لا بد أن شيئاً ما كان يرفرف في الداخل، لكن لم يبد أنه يشبه الطائر كثيراً، بل أقرب في الشبه إلى ثقب في الفضاء في شكل طائر.

أغلق فورد عينيه، وهو ما كان يريد فعله منذ وهلة في أي حال. تساءل عمّا عليه فعله لاحقاً بحق الجحيم، يقفز؟ يتسلق؟ لم يظن أن هنالك طريقة للاقتحام. حسناً، الزجاج المفترض أنه مضاد للصواريخ لم يصمد، عند الاختبار، بمواجهة صاروخ حقيقي، لكن ذلك كان صاروخاً أُطلق على مسافة قصيرة من الداخل، وهو في الأغلب ما لم يحسب حسابه المهندسون الذين صمموه. وذلك لا يعني أنه سيكون قادراً على كسر النافذة هنا بلف قبضته في منشفته ولكم النافذة. سُحقاً، جرّب ذلك في أي حال وأذى قبضته. كما أنه لم يتمكن من الحصول على أرجحة مناسبة ليده حيث كان واقفاً وإلا فقد كان ليؤذي قبضته على نحو أكبر. كان المبنى مدعّماً بثبات عندما أُعيد بناؤه كاملاً بعد هجوم فروغستار، وبذلك أصبح البناء الأثقل تصفيحاً لشركة نشر بين هذا النوع من الشركات، لكن فورد فكّر في أن

هنالك دائماً نقاط ضعف في منظومة تصممها لجنة في الشركة. ولقد وجد نقطة ضعف، المهندسون الذين صمموا النوافذ لم يتوقعوا أن تُقصف بصاروخ من مسافة قصيرة من الداخل، لذا انهارت النافذة.

لذا، ما الشيء الذي لن يتوقع المهندسون أن يفعله شخص يجلس على الإفريز خارج النافذة؟

أعمل فورد عقله بقسوة لبضع لحظات قبل أن يصل إلى نتيجة.

ما لن يتوقعوه هو أن يكون موجوداً هناك في المقام الأول. الأبله تماماً فقط سيجلس حيث كان فورد، لذا فقد كان في موقع المنتصر أساساً. أحد الأخطاء الشائعة التي يرتكبها الناس عندما يحاولون تصميم شيء مكفول تماماً هو الاستخفاف ببراعة الحمقى.

سحب بطاقته الائتمانية التي حصل عليها مؤخراً من جيبه، وأقحمها في شق حيث تلتقي النافذة بالإطار المحيط بها، وفعل شيئاً لم يكن الصاروخ قادراً على فعله. حرّك البطاقة قليلاً ولواها، شعر فورد بتحرر مزلاج. دفع النافذة وفتحها، وكاد يسقط عن الإفريز من الضحك، وبينما هو كذلك راح يشكر نظام التهوية الرائع وأعمال شغب الهاتف الخاصة بالكبل ٣٤٥٤.

بدأ نظام التهوية الرائع وأعمال شغب الهاتف الخاصة بالكبل ٣٤٥٤ مع بدء موجة من الهواء الساخن. بالطبع، فإن الهواء الساخن كان المشكلة التي يفترض بالتهوية أن تحلها، وقد ظلت التهوية تحل هذه المشكلة على نحو مقبول حتى اخترع أحدهم تكييف الهواء، الأمر الذي حل المشكلة على نحو أجمل.

ذلك كان جيداً وجميلاً فيما لو تمكنت من تحمّل الضجيج والماء المتقطر، حتى اخترع أحدهم شيئاً أجمل وأذكى من تكييف الهواء، وهو ما سمي بالتحكم المناخي ضمن المبنى.

ذلك كان شيئاً معتبراً.

الاختلافات الجوهرية التي تميّز بها هذا النظام عن تكييف الهواء العادي هي أنه أغلى ثمناً بكثير، وتضمن عدداً كبيراً من أجهزة القياس والتعديل المعقدة التي كانت أكثر كفاءة في معرفة، لحظة بلحظة، نوع الهواء الذي يريد الناس أن يتنفسوه أكثر من الناس أنفسهم.

كان ذلك يعني أيضاً، للتأكد من أن الناس لن يفسدوا الحسابات المعقدة التي كان النظام يجريها عنهم، أن كل النوافذ في المبنى مبنية وهي مغلقة. هذا حقيقي.

بينما كانت الأنظمة تُركّب، وجد بعض الناس، الذين كانوا في طريقهم إلى العمل في المبنى، أنفسهم يجرون محادثات مع مركبي أنظمة بريذ-و-سمارت وكانت تجري هذه المحادثات وفق ما يلي:

- «لكن، ماذا لو أردنا فتح النوافذ؟»

- «لن تريدوا فتح النوافذ مع نظام بريذ-و-سمارت الجديد».

- «نعم، لكن بفرض أننا أردنا أن نفتحها لبعض الوقت؟»

- «لن تريدوا فتح النوافذ لبعض الوقت. نظام بريذ-و-سمارت الجديد سيتكفل بالأمر».

- «ممممم».

- «استمتعوا بنظام بريذ-و-سمارت!»

- «حسناً، ماذا لو انهار نظام بريذ-و-سمارت أو تعطل أو شيء من هذا القبيل؟»

- «آه! إحدى المزايا الأذكى في نظام بريذ-و-سمارت هي أنه لا يمكن أن يتعطل. لذا لا داعي للقلق فيما يخص ذلك. استمتعوا باستنشاق الهواء الآن، ونهاركم سعيد».

(بالطبع، وكنتيجة لنظام التهوية الرائع وأعمال شغب الهاتف الخاصة بالكبل ٣٤٥٤، تم تعويض كل الأجهزة الميكانيكية أو الكهربائية أو الميكانيكية-الكميّة أو الهيدروليكية أو حتى العاملة على قوة الرياح، البخار أو المكابس، ليكون لديها شعار يزينها في مكان ما منها. لا يهم مقدار صغر الجهاز، فعلى المصممين أن يجدوا طريقة لإقحام الشعار في مكان ما، لأنه سيشد انتباههم بالضرورة بدلاً من انتباه المستخدم.

الشعار هو التالي:

«الفرق الأساسي بين شيء قد يتعطل وشيء لا يمكن أن يتعطل هو أنه حينما يتعطل شيء لا يمكن أن يتعطل عادة ما يكون من المستحيل العودة إليه أو إصلاحه».)

بدأت موجات حر كبيرة تتزامن، بدقة شبه سحرية، مع أعطال كبيرة لأنظمة بريذ-و-سمارت. في البداية كاد يتسبّب ذلك بحالات غضب ثائر وبعض حالات الموت من الاختناق.

ظهر الذعر الحقيقي في اليوم الذي حدثت فيه ثلاثة أحداث في وقت واحد. كان الحدث الأول إطلاق شركة بريذ-و-سمارت لبيان يوضح أن أفضل النتائج المتوخاة من استخدام أنظمتها تتحقق في مناخات معتدلة.

كان الحدث الثاني انهيار نظام بريذ-و-سمارت في يوم حار ورطب متسبباً بإخلاء مئات موظفي المكاتب إلى الشارع حيث التقوا الحدث الثالث، الذي كان حشداً مهتاجاً من عمال مقاسم الهاتف للمسافات البعيدة، الذين ملوا من قول، كل اليوم وفي كل يوم: «شكراً لاستخدامك بي إس آند إس» لكل أبله يستخدم الهاتف، لذا نزلوا إلى الشارع مع علب القمامة، وأبواق وبنادق.

في الأيام التي تلت المجزرة حُطّمت كل النوافذ في المدينة، سواء كانت مضادة للصواريخ أم لا، على صرخات «أغلق السماعة أيها البغيض! لا يهمني أي رقم تريد ولا من أي نطاق تتصل. اذهب وأقحم ألعاباً نارية في مؤخرتك! هوو هوو هوو!» بالإضافة إلى تشكيلة من أصوات حيوانات أخرى لم يتسنَّ لهم التدرب عليها في أوقات دوامهم العادية.

كنتيجة لذلك، سُمح دستورياً لجميع عمال مقاسم الهاتف بأن يقولوا: «استخدم بي إس آند إس ومت!» في الأقل مرة في الساعة وهم يجيبون عن الهاتف، ويجب على كل المباني التي تحتوي مكاتب أن تكون فيها نوافذ تُفتح ولو قليلاً.

انخفض معدل الانتحار كثيراً كنتيجة أخرى غير متوقعة. يمكن الآن لكل الإداريين الصاعدين والمجهدين، الذين كانوا مجبرين، أيام طغيان نظام بريذ-و-سمارت الظلامية، أن يقفزوا أمام القطارات أو يطعنوا أنفسهم، أن

يصعدوا إلى أفاريز نوافذهم ويقفزوا براحتهم. لكن ما تكرر حدوثه هو أن في اللحظات التي عليهم فيها أن ينظروا حولهم ويستجمعوا أفكارهم يكتشفون فجأة أن كل ما يحتاجونه حقاً هو هواء نقي ومنظور مختلف للأشياء، وربما مزرعة يمكنهم تربية بعض الخراف فيها.

ونتيجة أخرى غير متوقعة إطلاقاً كانت أن فورد بريفيكت، عالق على ارتفاع ثلاثة عشر طابقاً على بناء شديد التصفيح وليس بحوزته سوى منشفة وبطاقة ائتمانية، ومع ذلك كان بإمكانه التسلق عبر ما يفترض أنه نافذة مضادة للصواريخ وينجو بنفسه.

أغلق النافذة خلفه بعناية، بعد أن سمح لكولن أن يتبعه إلى الداخل، ومن ثم بدأ بحثه عن الشيء الذي يشبه الطائر.

الشيء الذي أدركه حيال النوافذ كان كالتالي: بسبب تحويلها إلى نوافذ قابلة للفتح بعد أن كانت مصممة في الأصل لتكون منيعة، فقد أضحت في الواقع أقل أماناً بكثير من لو أنها صممت لتكون نوافذ قابلة للفتح في المقام الأول.

يا لسخرية الحياة، كان يفكر في ذلك عندما أدرك فجأة أن الغرفة التي خاض لأجلها كل هذه المصاعب لم تكن مثيرة جداً للاهتمام.

توقف مدهوشاً.

أين كان الشكل الغريب المرفرف؟ أين هو الشيء الذي يستحق كل هذا اللغو، ستار السريّة الغريب الذي بدا أنه يغطي هذه الغرفة وتسلسل الأحداث الغريب أيضاً الذي بدا أنه يرسم له خطة ليوصله إليها؟

كانت الغرفة، كأي غرفة في المبنى حالياً، مدهونة بلون رمادي يدل على حسن الذوق بشكل مروّع. كان هناك بعض المخططات والرسومات على الجدار، التي كانت في معظمها لا تعني شيئاً لفورد، لكنه وصل إلى شيء بدا من الواضح أنه تقليد لإعلان من نوع ما.

كان هناك شعار يشبه الطير، وتحته مقولة: «دليل المسافر إلى المجرة النسخة ٢: أروع شيء على الإطلاق. قريباً في بُعد قريب إليك». ولا معلومات إضافية حول ذلك.

نظر فورد حوله مجدداً. ثم توجه انتباهه تدريجياً إلى كولن، روبوت الحراسة المصاب بالسعادة المفرطة، الذي كان منكمشاً على نفسه في زاوية من الغرفة وهو يتمتم بما بدا كالخوف.

استغرب فورد الأمر، فنظر حوله ليرى ما الذي يمكن أن يكون تسبب بذلك لكولن، ثم رأى شيئاً لم ينتبه إليه من قبل، كان ممدداً بصمت على طاولة حِرَفِية.

كان أسود ودائرياً وبحجم طبق جانبي صغير، جانباه العلوي والسفلي صقيلان ومحدّبان فكان أشبه بقرص رمي خفيف الوزن.

بدا سطحاه صقيلين تماماً، من دون أي كسر أو ملامح. لم يكن يفعل أي شيء. ثم لاحظ فورد أن هناك شيئاً مكتوب عليه. غريب، لم يكن هناك أي شيء مكتوب منذ دقيقة، والآن فجأة يوجد ما هو مكتوب عليه. لم يبد أن هناك أي حالة انتقالية واضحة بين الحالتين.

كل ما كان مكتوباً، بحروف صغيرة وتنذر بالخطر، كان كلمة واحدة:

ارتعب.

منذ لحظة لم تكن هنالك أي علامات أو تصدعات على سطحه، والآن هي موجودة، ويزداد حجمها.

الدليل النسخة ٢ يقول: ارتعب. بدأ فورد يفعل ما أُمر به. تذكر للتو لم بدت المخلوقات شبيهة اليرقات مألوفة. كانت ألوانها خليطاً من اللون الرمادي الخاص بالشركات، لكن فيما عدا ذلك كانت تشبه القوغونيين تماماً.

الفصل الثالث عشر

انخفضت السفينة بهدوء لتهبط على طرف الأرض الجرداء الواسعة، على بعد مئة ياردة تقريباً من القرية.

وصلت على نحو مفاجئ وغير متوقع لكن بأقل قدر ممكن من الجلبة. في لحظة ما كان الوقت متأخراً بعد ظهر عادي جداً بداية الخريف: بدأت الأوراق تتحول إلى اللونين الأحمر والذهبي، بدأ النهر يتضخم مجدداً بفعل الأمطار من الجبال في الشمال، بدأ ريش طيور البيكا يزداد سماكة تحسباً لصقيع الشتاء القادم، في أي يوم الآن قد تبدأ الوحوش العادية جداً بهجرتها الصاخبة عبر السهول، وبدأ ثراشبارغ العجوز يدمدم لنفسه وهو يعرج في طريقه حول القرية، دمدمة عنت أنه يتدرب ويطوّر القصص التي سيقصها عن السنة الفائتة متى حل الليل ولم يبق للناس سوى أن يتجمعوا حول النار ويستمعوا إليه ويتذمروا ويقولوا إن القصة ليست كما يذكرونها، وفي اللحظة التالية كانت هنالك سفينة فضائية قابعة هناك تومض في شمس الخريف الدافئة.

همهمت السفينة لوهلة وتوقفت.

لم تكن سفينة كبيرة، ولو كان القرويون خبراء في السفن لعرفوا مباشرة أنها أنيقة جداً، من نوع هرندي الجوالة الصغيرة واللامعة تحتوي على

أربعة مضاجع بالإضافة إلى كل ما يحتويه كتيّبها من خيارات إضافية ما عدا موازن التوجيه المتقدم، الذي لم يرغب بتركيبه سوى المخنثين. لا يمكن أن تحظى بانعطاف حاد ومثير حول محور زمني ثلاثي الجوانب بوجود موازن التوجيه المتقدم. حسناً، إنه أكثر أمناً بقليل، لكنه يقلل من حيوية التحكم.

لم يعرف القرويون كل ذلك بالطبع، فلم يسبق لمعظمهم هنا، على كوكب لاميولا البعيد، أن رأى سفينة فضائية، وبالتأكيد لم يشاهدوا واحدة بحالة جيدة، وبينما كانت تشع بدفء في ضوء المساء كانت الشيء الأكثر غرابة بين ما رأوه منذ أن أمسك كيرب سمكة برأس في كل جانب.

صمت الجميع.

وبينما قبل لحظة كانت تتجول دستتان أو ثلاث من الناس، يتحدثون، يقطعون الحطب، يحملون الماء، يزعجون طيور البيكا، أو يحاولون بودّ البقاء بعيداً عن ثراشبارغ العجوز، تخامدت فجأة جميع النشاطات والتفت الجميع لينظروا إلى الشيء الغريب بذهول.

أو ليس الجميع تماماً. كانت طيور البيكا ميّالة لأن تُذهل من أشياء مختلفة تماماً. فكان لورقة عادية تماماً موضوعة بشكل غير متوقع على حجرة أن توقعها في حالة مفاجئة من الارتباك، وكان شروق الشمس يفاجئها تماماً كل صباح، لكن وصول مركبة غريبة من كوكب آخر فشل ببساطة في أن يستحوذ على شيء من اهتمامها. استمرت في إصدار الأصوات وهي تنقر الحبوب على الأرض، واستمر النهر بخريره الهادئ والرحب.

وأيضاً، استمرت ضوضاء الغناء الصاخب من غير نغم من الكوخ الأخير على الجهة اليسرى بكامل قوتها.

فجأة، وبصوت نقر وهمهمة خفيفين، انطوى باب إلى الخارج والأسفل من السفينة، ثم لدقيقة أو اثنتين لم يبد أن شيئاً يحدث، ما عدا الغناء الصاخب من الكوخ الأخير على الجهة اليسرى، وقبع ذلك الشيء هناك.

بدأ بعض القرويين، ولا سيما الأولاد، يتقدمون تدريجياً لينظروا عن كثب. حاول ثراشبارغ العجوز أن يبعدهم إلى الخلف. هذا بالضبط ما لم يحب ثراشبارغ العجوز أن يحدث، فهو لم يتنبأ به، ولا حتى قليلاً، وعلى الرغم من أنه سيكون قادراً على دمج كل ما يحدث في قصته المتواصلة بطريقة أو بأخرى، إلا أن ما يحصل في الواقع كان أكثر مما يمكنه التعامل معه.

خطا إلى الأمام، ودفع الفتية إلى الخلف، ورفع ذراعيه وعصاه العتيقة والمكسوة بالعقد في الهواء. بدا منظره جميلاً في ضوء شمس المساء الدافئ والطويل. كان مستعداً للترحيب بهذه الآلهة أياً تكن كأنه كان ينتظرهم منذ مدة طويلة.

ومع ذلك لم يحدث شيء.

بالتدريج، بدا واضحاً أن هناك نوعاً من النقاش المحتدم داخل المركبة، مضى الوقت وبدأت ذراعا ثراشبارغ العجوز تؤلمانه.

فجأة، طوى المنحدر نفسه إلى الخلف مجدداً، وتسبب ذلك بالراحة لثراشبارغ. لقد كانوا شياطين وقد صدّهم. السبب في أنه لم يتنبأ بذلك هو أن الحكمة والتواضع منعاه من ذلك.

على نحو شبه فوري طوى منحدر آخر نفسه إلى الخارج في الجهة الأخرى من المركبة والمقابلة لمكان وقوف ثراشبارغ، وظهر على المنحدر في

النهاية جسمان، لا يزالان يتناقشان فيما بينهما ويتجاهلان الجميع، حتى ثراشبارغ، الذي لم يكونا ليلاحظاه من حيث كانا واقفين.

مضغ ثراشبارغ العجوز لحيته بغضب.

هل يستمر في الوقوف هناك وذراعاه مرفوعتان؟ هل يركع ويحني رأسه إلى الأمام وعصاه ممدودة وهي تشير إليهما؟ هل يتراجع إلى الخلف كأنه يفوز في صراع داخلي ملحمي؟ ربما عليه أن يذهب إلى الغابة وحسب ويعيش في شجرة لمدة عام من دون أن يتكلم مع أحد؟

اختار أن ينزل ذراعيه بلباقة كأنه فعل ما كان يريد فعله. لقد كانتا تؤلمانه حقاً لذا لم تكن لديه خيارات كثيرة. أبدى إيماءة سرية صغيرة اخترعها للتو باتجاه المنحدر الذي أُغلق ومن ثم خطا ثلاث خطوات ونصف إلى الخلف، كي يتمكن في الأقل من إلقاء نظرة على هؤلاء الناس أياً كانوا، ومن ثم يقرر ما سيفعل لاحقاً.

كان الشخص الطويل امرأة حسنة المظهر ترتدي ملابس ناعمة ومجعّدة. لم يعلم ثراشبارغ العجوز ذلك لكن الملابس كانت مصنوعة من الريمبلون تي إم، وهو نوع جديد من القماش رائع جداً للسفر الفضائي لأنه يظهر بأبهى حلته عندما يكون مجعداً ومبللاً بالعرق.

أما الشخص الأقصر فكان فتاة، كانت تبدو خرقاء وغاضبة، وكانت ترتدي ملابس تظهر بأسوأ حلتها عندما تكون مجعدة ومبللة بالعرق، والأسوأ من ذلك أنها كانت شبه متأكدة من ذلك.

كل العيون كانت تراقبهما، ما عدا عيون طيور البيكا التي كانت لديها أشياؤها الخاصة لتراقبها.

وقفت المرأة ونظرت حولها، كانت تبدو عليها سيماء التصميم. من الواضح أنها كانت تريد شيئاً محدداً، لكنها لم تكن تدري أين تجده بالضبط. حدّقت الوجوه من واحد إلى آخر بين القرويين المتجمعين بفضول حولها من دون أن تبدو أنها رأت ما تبحث عنه.

لم يكن لدى ثراشبارغ أدنى فكرة عن كيفية مجاراة ذلك، وقرر أن يلجأ إلى الترتيل. أرجع رأسه إلى الخلف وبدأ ينتحب، لكن سرعان ما قاطعه الصوت الصادح لأغنية جديدة من كوخ صانع الشطائر: الكوخ الأخير على الجهة اليسرى. نظرت المرأة حولها بتمعن، وارتسمت ابتسامة على وجهها تدريجياً. بدأت تمشي باتجاه الكوخ من دون أن تعير ثراشبارغ العجوز أكثر من نظرة.

هناك فن في مهنة صناعة الشطائر، وقليلون جداً من يجدون الوقت لسبر أغوار هذا الفن. إنها مهمة بسيطة، لكن فرص الإرضاء عديدة وصعبة الإدراك: اختيار الخبز المناسب في سبيل المثال. أمضى صانع الشطائر أشهراً عدة في الاستشارات اليومية والتجارب مع غرارب الخبّاز، وفي النهاية تمكنا من تشكيل الرغيف المتناسق تماماً إذ إنه كان كثيفاً على نحو كاف للتقطيع الرقيق والمرتّب، وفي الوقت نفسه حافظ على خفة وزنه، ورطوبته، وفيه تلك النكهة الجوزيّة التي كانت أفضل ما يحسن مذاق شواء لحم الوحش العادي جداً.

كما أن هناك مقاييس دقيقة للشريحة كي تؤخذ بعين النظر: كالعلاقات المحددة بين عرض وارتفاع الشريحة وسماكتها أيضاً ما يعطي الشعور الملائم للحجم والوزن للشطيرة الجاهزة، وهنا أيضاً تُفضّل خفة الوزن، كما هي

الحال مع الاكتناز، الكرم وذلك الوعد بكثرة العصارة والمذاق الذي هو السمة المميزة لتجربة قوية بحق للشطيرة.

وبالطبع، فإن اختيار الأدوات المناسبة أمر حاسم، فكثيرة كانت الأيام التي أمضاها صانع الشطائر مع سترايندر، صانع الأدوات، عندما لم يكن مشغولاً مع الخبّاز في فرنه، فكان يقوم بوزن وموازنة السكاكين، يأخذها إلى دكان الحدادة ويعيدها معه. فكان يجري النقاش بحماس حول لين السكاكين، قوتها، دقة حوافها، طولها وتوازنها، وكانت توضع النظريات، ثم تُختبر وتُنقّح، وكثيرة هي الليالي التي شوهد فيها ظلا صانع الشطائر وصانع الأدوات منعكسين على ضوء الشمس الغاربة في حين يقوم حداد صانع الأدوات بحركات بطيئة وطويلة الأمد عبر الهواء وهو يجرب السكاكين واحدة تلو الأخرى، يقارن وزن هذه مع توازن أخرى، لين ثالثة مع رباط القبضة لرابعة.

تطلب الأمر ثلاثة سكاكين مجتمعة، فأولاً كان هناك سكين لتقطيع الخبز: صلب، ذو نصل موثوق يفرض إرادة واضحة ومحددة على الرغيف. ثم كان هناك سكين دَهْن الزبد، والذي كان مرناً لكن مع أساس صلب. النسخ الأولى من هذا السكين كانت مرنة أكثر من اللازم، لكن الآن مع دمج المرونة وصلابة النواة أضحت الأمثل لتحقيق النعومة القصوى وكياسة الدَّهن.

بالطبع، فإن الرئيس بين السكاكين كان سكين التقطيع، لم يكن هذا السكين ليفرض إرادته على الوسيط الذي يتحرك خلاله فحسب، كما فعل سكين الخبز، بل عليه العمل معه، أن يرشده مزاج اللحم، لإنتاج الشرائح

الأكثر إتقاناً من ناحية التماسك ونصف الشفافية، التي ستنزلق بعيداً عن كتلة اللحم الأساسية في شكل لفافات رقيقة. عند ذلك، سيقلب صانع الشطائر كل رقاقة بضربة لطيفة من معصمه على شريحة الخبز السفلية المخصصة لها بإتقان، يقلّمها بأربع ضربات رشيقة ومن ثم في النهاية يمارس السحر الذي طال تجمهر أولاد القرية لرؤيته بانتباه عارم وذهول. وبأربع تقليبات إضافية متقنة للسكين سيجمع الرقاقات بشكل معقد وفاتن إلى الشريحة الأساسية. يكون حجم الرقاقات مختلفاً في كل شطيرة، لكن صانع الشطائر يجمعها دائماً من غير جهد ولا تردد على نحو ملائم تماماً. طبقة ثانية من اللحم وطبقة ثانية من الرقاقات، وبذلك يتم فعل الإنشاء الأساسي.

يمرر صانع الشطائر ما صنعه إلى مساعده الذي يضيف عند ذلك شرائح عدة من الخيار وفلاديش ورشة من صلصة السبلاغبيري، ومن ثم يضيف الطبقة العليا من الخبز ويقطع الشطيرة بسكين رابع وبسيط. لم يكن الأمر أن هذه لم تكن أيضاً عمليات بارعة، لكنها تطلبت مهارات أقل لينفذها تلميذ مخصص، الذي في يوم ما، حينما يضع صانع الشطائر أدواته جانباً، فسيأخذ مكانه. كان هذا منصباً مثيراً وكان ذلك التلميذ، دريمبل، محسوداً من رفاقه. في القرية من هم سعداء بتقطيع الحطب، والراضون بحمل الماء، لكن أن تصبح صانع شطائر فذلك النعيم بعينه.

وهكذا راح صانع الشطائر يغني وهو يعمل.

كان يستخدم آخر اللحم المملح لهذا العام. كان اللحم قد تجاوز أفضل مراحله الآن، لكن لا تزال النكهة الغنية للحم الوحش العادي جداً شيئاً لا يمكن تجاوزه في أي من خبرات صانع الشطائر السابقة. كان من

المتوقع أن يظهر الوحش العادي جداً في الأسبوع المقبل في أثناء هجرته الاعتيادية، حيث ستدفع القرية بأسرها مرة أخرى للقيام بعمل مسعور: اصطياد الوحوش، قتل ست، أو ربما سبع دستات من الآلاف التي ستمرّ هادرة. ثم يجب تقطيع وتنظيف الوحوش بسرعة، مع تمليح معظم اللحم للحفاظ عليه في أشهر الشتاء حتى تحل رحلة العودة في الربيع، التي ستزيد مخزوناتهم.

سيجري شواء أفضل اللحوم مباشرة من أجل احتفالية المرور الخريفي. ستستمر الاحتفالات لثلاثة أيام من المرح المحض، والرقص وقصص يرويها ثراشبارغ العجوز تحكي عن الصيد وكيف تم، قصص سيكون جالساً مشغولاً باختلاقها في كوخه في حين تكون باقي القرية في الخارج تمارس الصيد الواقعي.

ومن ثم يتم الاحتفاظ بأفضل أفضل اللحوم من الاحتفالية وتُرسل باردة إلى صانع الشطائر. ويمارس صانع الشطائر المهارات التي جلبها إليهم من الآلهة، ويصنع شطائر الموسم الثالث المتقنة، التي ستتقاسمها القرية قبل أن يبدؤوا، في اليوم التالي، في تحضير أنفسهم لشدائد الشتاء القادم.

كان اليوم يصنع شطائر عادية، وكأن أطعمة شهية كهذه، مصنوعة بحب، يمكن أن يطلق عليها لقب عادية. لم يكن معاونه موجوداً اليوم، لذا كان صانع الشطائر يضع توابله الخاصة، وهذا ما كان سعيداً بفعله. لقد كان سعيداً حيال كل شيء في الواقع.

قطّع، غنّى، قلب كل شريحة لحم بإتقان على شريحة خبز، قلّمها وجمّع الرقاقات في تشكيلتها المعقدة. بعض السلطة، بعض الصلصة،

شريحة أخرى من الخبز، شطيرة أخرى، بيت شعري آخر من قصيدة الغواصة الصفراء.

«مرحباً يا آرثر».

كاد صانع الشطائر يقطع إبهامه.

راقب القرويون برعب المرأة وهي تخطو بجسارة إلى كوخ صانع الشطائر. لقد أرسل إليهم بوب العظيم صانع الشطائر في عربة نارية مشتعلة. هذا في الأقل ما قاله ثراشبارغ، وكان ثراشبارغ المشرّع في هذه الأمور. لذا، هذا في الأقل ما ادعاه ثراشبارغ، وما كان عليه ثراشبارغ... وإلى ما هنالك. لم يكن في الأمر ما يستحق الجدال حوله.

تساءل بعض القرويين لم يرسل بوب العظيم ابنه الوحيد صانع الشطائر في عربة نارية مشتعلة بدلاً من أن يرسله في عربة كان من الممكن أن تهبط بهدوء من دون أن تدمر نصف الغابة، وتملأها بالأشباح، وأيضاً تصيب صانع الشطائر بجروح بالغة. قال ثراشبارغ العجوز إن هذه إرادة بوب التي لا تدرك، ولما سألوه عن معنى ذلك قال أن يبحثوا عنه في المعجم.

كانت هذه مشكلة لأن ثراشبارغ العجوز كان يمتلك المعجم الوحيد ولم يكن يسمح لأحد باستعارته. سألوه لِمَ؟ وقال إنه لا ينبغي لهم معرفة مشيئة بوب العظيم، ولما سألوه لِمَ مجدداً قال: لأنه قال ذلك.

في أي حال، تسلل أحدهم إلى كوخ ثراشبارغ العجوز في أحد الأيام حين كان في الخارج يسبح، وبحث عن معنى «لا تدرك». من الواضح أن معناها «لا يمكن معرفتها، لا توصف، لا يمكن قولها، لا يمكن أن تُعرف أو أن يدور حديث عنها». وبذلك تم توضيح تلك النقطة.

في الأقل لديهم الشطائر.

قال ثراشبارغ العجوز في أحد الأيام أن بوب العظيم قضى بأن يحصل هو، ثراشبارغ، على أول شطيرة. سأله القرويون متى حدث ذلك بالضبط، وقال ثراشبارغ إن ذلك حدث في الأمس عندما لم يكونوا ينظرون. قال ثراشبارغ: «آمنوا، أو احترقوا!» تركوه يأخذ أول شطيرة، فلقد بدا ذلك الأمر الأسهل.

والآن وصلت هذه المرأة قادمة من مكان غير معروف، وذهبت مباشرة إلى كوخ صانع الشطائر. من الواضح أن شهرته اتسعت، لكن من الصعب معرفة إلى أين اتسعت، حيث إنه بحسب ثراشبارغ العجوز لا يوجد أي مكان آخر. في أي حال، بغض النظر عن المكان الذي أتت منه، من المحتمل أنه مكان لا يدرك، فلقد كانت هنا الآن وفي كوخ صانع الشطائر. من كانت؟ ومن كانت الفتاة الغريبة التي كانت تتسكع خارج الكوخ بكآبة، تركل الحجارة وتظهر كل سمات عدم الرغبة في الوجود هناك؟ بدا غريباً أن يأتي أحدهم كل هذه المسافة من مكان لا يدرك في عربة كان من الواضح أنها نسخة محسنة كثيراً عن تلك النارية المحترقة التي جلبت إليهم صانع الشطائر، إن لم تكن تريد أن تكون هنا؟

نظروا جميعاً إلى ثراشبارغ، لكنه كان جالساً على ركبتيه يغمغم وينظر بثبات كبير إلى السماء من دون أن يسترعي انتباه أحد حتى فكّر في أمر.

قال صانع الشطائر وهو يمص إبهامه النازف: «تريليان! ماذا...؟ من...؟ متى...؟ أين...؟»

قالت تريليان وهي تنظر إلى كوخ آرثر: «تلك هي بالضبط الأسئلة التي كنت سأسألك إياها». كان الكوخ مرتباً بشكل أنيق مع عدة المطبخ الخاصة بآرثر. توجد بعض الخزانات والرفوف التقليدية الجميلة، وسرير تقليدي في الزاوية. كما يوجد باب في الطرف المقابل من الغرفة يفضي إلى شيء لم تتمكن تريليان من رؤيته لأن الباب كان مغلقاً. قالت: «جميل،» لكن بنبرة فيها تساؤل. لم تتمكن من معرفة ماهية الترتيب في الكوخ.

قال آرثر: «جميل جداً، جميل على نحو رائع. لا أدري متى كنت في مكان أجمل. أنا سعيد هنا. إنهم يحبونني، أنا أصنع الشطائر لهم، و... إيـ، حسناً، هذا كل ما في الأمر حقاً. إنهم يحبونني وأنا أصنع الشطائر لهم».

«يبدو، إيـ»...

قال آرثر بثبات: «مسالماً. إنه كذلك، حقاً. لا أتوقع أن تحبيه كثيراً، لكن لديّ، حسناً، إنه مثالي. انظري، اجلسي رجاءً، تصرفي على سجيتك. هل أحضر لك شيئاً، إيـ، شطيرة؟»

التقطت تريليان شطيرة ونظرت إليها. شمتها بحذر.

قال آرثر: «جربيها، إنها جيدة».

قضمت تريليان مقداراً صغيراً، ومن ثم لقمة ومضغتها بتأمل.

قالت وهي تنظر إليها: «إنها جيدة».

قال آرثر: «إنه عمل حياتي،» وحاول أن يبدو فخوراً، وأمل ألا يبدو أبله بشكل تام. لقد اعتاد أن يكون موقراً قليلاً، وكان عليه أن يمر ببعض التغييرات غير المتوقعة فيما يخص حالته الذهنية.

سألت تريليان: «ما نوع اللحم فيها؟»

- «آه نعم، هذا لحم وحش عادي جداً».

- «ماذا قلت؟»

- «وحش عادي جداً، يشبه البقرة قليلاً، أو بالأحرى الثور. يشبه الجاموس في الواقع. من الحيوانات الكبيرة والمهاجمة».

- «إذاً ما الغريب فيه؟»

- «لا شيء، إنه عادي جداً».

- «فهمت».

- «تكمن الغرابة فقط من حيث يأتي».

عبست تريشا وتوقفت عن المضغ.

سألت بملء فمها: «من أين يأتي؟» لم تكن لتبلع اللقمة قبل أن تعرف.

- «لا يتعلق الأمر بالمكان الذي يأتي منه فقط، بل أيضاً بالمكان الذي يذهب إليه. لا ضير فيه، إنه آمن تماماً للبلع. لقد أكلت أطناناً منه، إنه رائع، غض جداً، طري جداً، طعمه حلو قليلاً ويترك أثراً غامضاً ومديداً».

لم تبتلع تريليان اللقمة بعد.

قالت: «من أين أتى، وإلى أين يذهب؟»

- «يأتي من نقطة إلى الشرق قليلاً من جبال الهوندو. إنها الجبال الكبيرة خلفنا هنا، لا بد أنك رأيتها وأنت تدخلين، ومن ثم يكتسح بالآلاف سهول أهوندو العظيمة و، إيه، هذا كل ما في الأمر. هذا هو المكان الذي يأتي منه، وهذا هو المكان الذي يذهب إليه».

عبست تريليان، كان هناك شيء لم تفهمه حيال الأمر.

قال آرثر: «ربما لم أوضح فكرتي على نحو جيد، حينما أقول إنها تأتي من نقطة إلى الشرق من جبال هوندو، أقصد أنها تظهر فجأة في تلك النقطة. ثم تجري عبر سهول أنهوندو وتختفي في الواقع. لدينا ستة أيام لنمسك بأكبر عدد ممكن قبل أن تختفي. تفعل الشيء نفسه في الربيع، لكن بالعكس، كما تعلمين».

بلعت تريليان اللقمة على مضض. فلم يكن لديها خيار سوى أن تبتلعها أو تبصقها، وفي الحقيقة كان مذاقها جيداً جداً.

قالت: «فهمت»، بمجرد أن طمأنت نفسها بأنها لا تعاني أي أعراض مرضية، وتابعت: «ولم تسمى الوحوش العادية جداً؟»

«حسناً، أعتقد أنه لولا ذلك لاعتقد الناس أن الأمر غريب بعض الشيء. أظن أن ثراشبارغ العجوز أطلق عليها هذا الاسم. يقول إنها تأتي من حيث تأتي، وتذهب إلى حيث تذهب، وإن تلك مشيئة بوب، وذلك كل ما في الأمر».

- «من...؟»

- «لا تسألي وحسب».

- «حسناً، تبدو بحالة جيدة فيما يخص ذلك».

- «أشعر أنني بخير. أنت تبدين بحالة جيدة».

- «أنا بحالة جيدة، جداً».

- «حسناً، ذلك جيد».

- «نعم».

- «جيد».

- «جيد».

- «لطف منك أن قمت بهذه الزيارة».

- «شكراً».

قال آرثر وهو يبحث ملياً حول نفسه: «حسناً». كان مذهولاً من صعوبة أن تفكر في شيء تقوله لشخص بعد كل هذه المدة.

قالت تريليان: «أظن أنك تتساءل كيف وجدتك».

قال آرثر: «نعم! كنت أتساءل عن ذلك بالضبط. كيف وجدتني؟»

- «حسناً، كما قد تعلم أو لا تعلم، أنا أعمل الآن لصالح واحدة من أكبر شبكات البث عبر السب-إيثا والتي»...

قال آرثر وقد تذكر فجأة: «علمت ذلك. نعم، لقد أبليت بلاءً حسناً جداً. ذلك رائع. مثير جداً. تهانينا. لا بد أن الأمر مسل جداً».

- «متعب».

- «مع كل ذلك الاستعجال، أظن أنه متعب، نعم».

- «لدينا صلاحية الوصول عملياً إلى كل أنواع المعلومات . وجدت اسمك على لائحة ركاب السفينة التي تحطمت».

- «أتقصدين أنهم كانوا يعلمون بالتحطم؟»

- «بالطبع كانوا يعلمون. لا يمكن أن تختفي سفينة فضائية كاملة من دون أن يدري بها أحدهم».

- «لكنك تقصدين، أنهم عرفوا أين حدث الأمر؟ عرفوا أنني نجوت؟»

- «نعم».

- «لكن لم يأت أحد لينظر أو يبحث أو ينقذ. لم يحدث شيء على الإطلاق».

- «لن يحدث شيء. إنه أمر معقد خاص بالتأمين. لقد أخفوا الحادث برمته، وتظاهروا أنه لم يحدث. أعمال التأمين مجنونة تماماً الآن، هل تعلم بأنهم أعادوا عقوبة الإعدام لمديري شركات التأمين؟»

قال آرثر: «حقاً؟ لا لم أعلم. لأي جريمة؟»

عبست تريليان.

- «ما الذي تقصده بجريمة؟»

- «فهمت».

نظرت تريليان إلى آرثر مطولاً، ثم، بنبرة جديدة، قالت: «حان الوقت لتتحمل المسؤولية يا آرثر».

حاول آرثر أن يفهم هذه الملاحظة. لقد وجد أنه عادة ما يستغرق بضع لحظات قبل أن يدرك تماماً إلى ما يرمي إليه الناس بالضبط، لذا ترك بضع لحظات تمر على مهل، كانت الحياة سعيدة ومريحة هذه الأيام، كان هناك وقت لفهم الأمور. فترك الأمر ليفهمه.

لكنه لم يفهم بعد تماماً ما الذي كانت تقصده، لذا توجب عليه في النهاية قول ذلك.

ابتسمت تريليان له ابتسامة هادئة واستدارت إلى باب الكوخ ونادت: «راندوم؟ ادخلي. تعالي وقابلي أباك».

الفصل الرابع عشر

مع انطواء الدليل إلى وضعه الأصلي في شكل قرص صقيل داكن، أدرك فورد بعض الأمور المقلقة. أو في الأقل حاول أن يدركها، لكنها كانت مقلقة أكثر من أن تُحتمل دفعة واحدة. كان رأسه يدّق وعقب قدمه يؤلمه، وعلى الرغم من أنه لم يحب أن يكون جباناً بخصوص عقب قدمه، لكنه كان دائماً يجد أن بإمكانه فهم المنطق متعدد الأبعاد المجهد على نحو أفضل في الحمام. كان يحتاج إلى الوقت ليفكر في هذا. وقت، مشروب في كأس ذات عنق طويل، وأحد أنواع الزيوت الرغوية الغنية.

عليه أن يخرج من هنا، عليه أن يُخرج الدليل من هنا، لم يعتقد أنهما سيتمكنان من الهروب معاً.

نظر مهتاجاً في أرجاء الغرفة.

فكّر، فكّر، فكّر. لا بد أن يكون شيئاً بسيطاً وواضحاً. إن كان محقاً في شكوكه البغيضة والدفينة بأنه يتعامل مع القوغونيين البغيضين والمختبئين، فكلما ازدادت البساطة والوضوح كان أفضل.

فجأة رأى ما كان يحتاجه.

لم يحاول أن يتغلب على النظام، كان سيستخدمه فحسب. الشيء المرعب في القوغونيين هو تصميمهم المطلق والأعمى لفعل الشيء الغبي

الذي كانوا مصممين على فعله. لم تكن هناك فائدة من محاولة الاستغاثة بالمنطق الخاص بهم لأنه لم يكن هناك أي منه. إنما إن حافظت على هدوء أعصابك فقد تستطيع في بعض الأحيان أن تستغل إصرارهم القاسي وضيّق الأفق على أن يكونوا قساة وضيقي الأفق. لم يكن الأمر مجرد أن يدهم اليسرى لم تكن تعلم دائماً ما تفعله يدهم اليمنى، إذا جاز التعبير، بل في معظم الأحيان كانت ليدهم اليمنى نزوات غامضة أيضاً.

هل يجرؤ على إرسال الشيء بالبريد إلى نفسه؟

هل يجرؤ على أن يضعه في النظام ويترك للڤوغونيين معرفة كيف سيوصلون الشيء إليه بينما وفي الوقت نفسه يكونون مشغولين، كما هي عادتهم، بتدمير المبنى ليعرفوا أين خبّأه؟

نعم.

على نحو محموم غلّفه، حزّمه، عنونه. ومع لحظة تأمل ليفكر إن كان حقاً يفعل الأمر الصواب، أودع الطرد في أنبوب البريد الداخلي للمبنى.

قال وهو يستدير إلى الكرة الصغيرة الحائمة: «كولن، سوف أتركك إلى مصيرك».

قال كولن: «أنا سعيد للغاية».

قال فورد: «استمتع بذلك قدر المستطاع، لأن ما أريدك أن تفعله هو أن تعتني بالطرد وتأخذه إلى خارج المبنى، في الأغلب سيحرقونك عندما يجدونك، ولن أكون موجوداً للمساعدة. سيكون الأمر بغيضاً جداً جداً لك، وذلك مؤسف للغاية. هل فهمت؟»

قال كولن: «إنني أقرقر من السعادة».

قال فورد: «انطلق!»

هبط كولن طواعية في أنبوب البريد ساعياً خلف مهمته. لم يبق لفورد الآن سوى أن يقلق على نفسه، لكن ذلك لا يزال قلقاً ضخماً. كانت هناك ضوضاء خطوات ثقيلة تركض خلف الباب الذي أخذ فورد حذره منه بأن قفله ونقل خزنة ملفات ضخمة أمامه.

كان قلقاً من أن كل شيء يمضي بسلاسة، كل شيء كان ملائماً على نحو رهيب. لقد أمضى نهاره بحماس طائش ومع ذلك حصل كل شيء بدقة عجيبة. ما عدا حذاءه، كان نادماً على حذائه. كان ذلك شأناً يجب أن ينتهي منه.

تفجر الباب بهدير صاخب واندفع إلى الداخل، في فوضى الدخان والغبار تمكن من رؤية مخلوقات ضخمة تشبه اليرقات وهي تسرع بالدخول.

إذاً، كل شيء كان يمضي جيداً أليس كذلك؟ كل شيء كان يتم وكأن الحظ الأكثر غرابة كان إلى جانبه؟ حسناً، سيفكر في الأمر.

بروح الاستكشاف العلمي، قذف بنفسه خارج النافذة من جديد.

الفصل الخامس عشر

كان الشهر الأول، في أثناء تعارفهم إلى بعضهم، صعباً قليلاً.

أما الشهر الثاني، في محاولتهم للاعتياد على ما تعلموه عن بعضهم في الشهر الأول، فكان أسهل بكثير.

لكن الشهر الثالث، لما وصل الصندوق، كان حساساً جداً بالتأكيد.

في البداية كانت هنالك مشكلة حتى في محاولة تفسير في أي شهر كانوا. لكن هذه كانت مسألة بسيطة على نحو سار لدى آرثر هنا على كوكب لاميولا. كانت الأيام أطول من أربع وعشرين ساعة بقليل، ما يعني تمضية ساعة إضافية في السرير كل يوم، وبالطبع، ضبط ساعته دورياً، وهو ما استمتع آرثر بفعله.

كما شعر آرثر أنه في موطنه فيما يخص عدد الشموس والأقمار التي تطلع على كوكب لاميولا، واحد من كل نوع، على عكس بعض الكواكب التي كان يصل إليها من وقت إلى آخر، والتي كان لديها عدد غير منطقي من الشموس والأقمار.

كان الكوكب يدور حول شمسه المفردة كل ثلاثمئة يوم، وهو ما كان رقماً جيداً لأنه يعني أن السنة لن تمّر بتثاقل. دار القمر حول لاميولا أكثر بقليل من تسع مرات في السنة، ما يعني أن الشهر كان أكثر بقليل من ثلاثين يوماً، وهو ما كان رائعاً لأنه يعطيك وقتاً إضافياً لإنجاز الأعمال. لم يكن مطمئناً مثل الأرض فحسب، بل كان في الواقع أفضل.

لكن راندوم، في المقلب الآخر، اعتقدت أنها عالقة في كابوس متكرر. كانت تصيبها نوبات من البكاء وتظن أن القمر يريد أن يأخذها. في كل ليلة كان موجوداً، وحينما يذهب، تظهر الشمس وتلحق بها، مراراً وتكراراً.

حذّرت تريليان آرثر بأن راندوم قد تعاني بعض الصعوبات في التأقلم مع نمط حياة طبيعي أكثر مما كانت معتادة عليه حتى الآن، لكن آرثر لم يكن مستعداً ليصرخ حقيقةً على القمر.

لم يكن مستعداً لأي من هذا بالطبع.

ابنته؟

ابنته؟ هو وتريليان لم يقوما حتى بـ... هل فعلاها؟ كان مقتنعاً تماماً بأنه سيذكر. ماذا عن زيفود؟

أجابت تريليان: «ليس من النوع نفسه يا آرثر. لما قررت أنني أريد طفلاً أجروا علي كل أنواع الاختبارات الجينية ولم يتمكنوا من إيجاد سوى مثيل واحد. ولاحقاً فقط اتضح لي الأمر. تحققت وكنت مصيبة. لا يحبون في العادة أن يخبروك لكنني أصررت».

سأل آرثر وقد جحظت عيناه: «أتقصدين أنك ذهبت إلى بنك حمض نووي؟»

- «نعم. لكنها لم تكن عشوائية تماماً كما يوحي اسمها، لأنك بالطبع كنت المتبرع البشري الوحيد، لكن عليّ القول إنك كنت تستقل السفن الفضائية كثيراً على ما يبدو».

حدّق آرثر بذهول إلى الفتاة التعسة التي كانت تتكئ على نحو غريب على إطار الباب وتنظر إليه.

- «لكن متى... منذ متى...؟»

- «أتقصد ما عمرها؟»

- «نعم».

- «السؤال الخطأ».

- «ما الذي تقصدينه؟»

- «أقصد أنه ليس لدي أي فكرة».

- «ماذا؟»

- «حسناً، بتوقيتي أظن أن عشر سنوات انقضت منذ أن أنجبتها، لكن من الواضح أنها أكبر بكثير من ذلك. كما تعلم فأنا أمضي حياتي أسافر عبر الزمن جيئة وذهاباً. إنه عملي، كنت آخذها معي عندما أستطيع، لكن ذلك لم يكن ممكناً دائماً. ثم رحت أضعها في مراكز عناية نهارية في المناطق الزمنية، لكن لا يمكن للمرء أن يحصل على تتبع موثوق للوقت الآن. فأنت تتركهم هناك في الصباح، وليس لديك أدنى فكرة كم سيكونون قد كبروا في المساء. تجهد نفسك في الشكوى لكن ليس هناك من أذن مصغية. في إحدى المرات تركتها في أحد الأماكن لساعات عدة، ولما عدت كانت قد اجتازت سن البلوغ. لقد فعلت ما في وسعي يا آرثر، والآن حان دورك، لدي حرب عليّ تغطيتها».

الثواني العشر التي مرت بعد مغادرة تريليان كانت الأطول في حياة آرثر دينت. نحن نعلم أن الوقت نسبي. يمكنك أن تسافر لسنوات ضوئية عبر النجوم ذهاباً وإياباً، وإذا فعلت ذلك بسرعة الضوء فإنك حينما تعود ستكون قد كبرت بضع ثوان فقط، في حين يكون ازداد عمر شقيقك أو شقيقتك التوءم عشرين، ثلاثين، أربعين أو أياً يكن عدد السنين، بحسب المسافة التي سافرتها أنت.

ستأتيك هذه المعرفة كصدمة شخصية عميقة، ولا سيما إن لم تكن تعلم أن لديك شقيقاً أو شقيقة توءم. فالثواني التي غبتها لن تكون وقتاً كافياً لتحضيرك لصدمة العلاقات الأسرية المتضخمة على نحو غريب عندما تعود.

عشر ثوان من الصمت لم تكن وقتاً كافياً لآرثر كي يعيد بناء رؤيته لنفسه وحياته بطريقة تضمنت فجأة ابنة جديدة بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، التي لم يكن لديه أدنى معرفة بوجودها عندما استيقظ في ذلك الصباح. لا يمكن بناء روابط أسرية عميقة وعاطفية في عشر ثوان، بغض النظر عن بعد المسافة وسرعتك في السفر بعيداً عن الأسرة، ولم يتمكن آرثر إلا أن يشعر بالعجز، والحيرة والخدر وهو ينظر إلى الفتاة التي تقف على بابه، وتحدّق إلى أرضية كوخه.

افترض آرثر أن لا معنى من التظاهر بأنه ليس يائساً. مشى إليها وحضنها قائلاً: «أنا لا أحبك. أنا آسف. أنا لا أعرفك حتى. لكن امنحيني بضع دقائق».

إننا نعيش في أوقات غريبة.

ونعيش أيضاً في أماكن غريبة: كل منا في كونه الخاص. الناس الذين نقطن معهم في أكواننا هم ظلال أكوان أخرى تتقاطع مع كوننا. القدرة على النظر إلى هذا التعقيد المربك من التكرار غير المتناهي وقول أشياء مثل: «أوه، مرحباً إيد! سُمرَتك جميلة. كيف حال كارول؟» يتضمن قدراً كبيراً من مهارة التصفية التي من أجلها يتوجب على جميع الكائنات الواعية أن تطور قدرة من أجل أن تحمي نفسها من التأمل في الفوضى التي يسقطون ويهتاجون فيها.

لذا امنح طفلك فرصة، موافق؟

اقتباس من التربية التطبيقية في كون مخبول كُسُورياً.

- «ما هذه؟»

كاد آرثر يستسلم. وهذا معناه أنه لن يستسلم. من المؤكد أنه لن يستسلم. ليس الآن، ولا في أي وقت آخر. لكن لو كان من أولئك الأشخاص الذين سيستسلمون، فسيكون قد فعلها في هذا التوقيت في الأغلب.

لم تكن راضية بأن تكون فظة، متعكرة المزاج، تريد الذهاب واللعب في الحقبة الباليوزونية، لا تعرف لم عليهم أن يشغّلوا الجاذبية طوال الوقت وتصيح بالشمس كي تتوقف عن اللحاق بها، كما استخدمت راندوم سكين التقطيع خاصته لتنزع الحصى وترميها على طيور البيكا لأنها كانت تنظر إليها بتلك الطريقة.

لم يعلم آرثر حتى إن كان لكوكب لاميولا حقبة باليوزونية. بحسب ثراشبارغ العجوز فقد اكتُشف الكوكب بشكله النهائي في سرة حشرة أبي

مقص عملاقة في الرابعة والنصف، في عصر أحد الأيام، وعلى الرغم من أن آرثر، كمسافر مجرّي محنك بإجازتين من الدرجة «و» في الفيزياء والجغرافيا، كانت لديه شكوك جدّية حيال ذلك، فلقد كانت المجادلة مع ثراشبارغ العجوز مضيعة للوقت، ولم يكن هناك معنى لذلك من قبل.

تنهد آرثر وهو جالس يعالج السكين المكسور والمنحني. كان سيحبها لو أنها قتلته، أو قتلتها، أو قتلتهما معاً. لم تكن الأبوّة سهلة. كان يعرف أن أحداً لم يقل إنها ستكون سهلة، لكن لم يكن المقصود ذلك، فهو لم يطلب أن يكون أباً في المقام الأول.

كان يبذل قصارى جهده، وكان يمضي معها كل دقيقة يمكنه فيها الانسحاب من صنع الشطائر، يتكلم معها، يمشي معها، يجلس معها على التلة لمشاهدة الشمس تغرب فوق الوادي الذي حضن القرية، يحاول أن يكتشف أموراً عن حياتها، يحاول أن يشرح لها عن حياته. كان عملاً دقيقاً. كانت القواسم المشتركة بينهما، بمعزل عن حقيقة أن جيناتهما شبه متطابقة، بحجم حصاة تقريباً. أو بالأحرى كانت بحجم تريليان وبحجمها. كانت وجهات نظرهما مختلفة.

- «ما هذه؟»

أدرك فجأة أنها كانت تكلّمه، وأنه لم يلاحظ، أو بالأحرى لم يميّز صوتها.

فعوضاً عن نبرة الصوت الاعتيادية التي استخدمتها معه، التي كانت قاسية ولاذعة، كانت تسأله سؤالاً بسيطاً.

نظر حوله وقد فوجئ.

كانت تجلس على كرسي في زاوية الكوخ بتلك الطريقة المنحنية الخاصة بها، ركبتاها مضمومتان، قدماها متباعدتان، وشعرها الداكن يتدلى أمام وجهها وهي تنظر إلى شيء حضنته في راحتي كفيها.

ذهب إليها آرثر، وهو متوتر بعض الشيء.

كانت تقلبات مزاجها غير متوقعة، لكن حتى الآن كانت تتأرجح بين أنواع مختلفة من المزاج العكر. كانت ثورات من الاتهامات المضادة اللاذعة تكشف من دون سابق إنذار رثاءً بائساً للذات ومن ثم جولات مطوّلة من اليأس العنيد الذي يتم توكيده بأعمال عنف خرقاء ومفاجئة ضد أغراض غير حية وطلبات للذهاب إلى الأندية الكهربائية.

لم ينعدم وجود الأندية الكهربائية في لاميولا فحسب، بل لم تكن هناك أندية على الإطلاق، ولا كهرباء في الواقع. كان هناك دكان حدادة ومخبز، وبضع عربات وبئر، لكن هذه كانت الدمغات الرائدة للتكنولوجيا في هذا الكوكب، وعدد لا يستهان به من موجات غضب راندوم غير القابلة للإخماد كانت موجهة ضد التخلف التام والعويص في الكوكب.

كان بإمكانها التقاط إشارة قنوات السب-إيثا على لوحة فليكس-و مزروعة في معصمها، لكن ذلك لم يسرّها إطلاقاً لأنها كانت تعج بأخبار الأشياء المثيرة للغاية التي تحدث في كل أرجاء المجرة ما عدا هنا. كما أنها قد تعرض لها أخباراً متكررة عن أمها، التي هجرتها لتغطي وقائع حرب يبدو الآن أنها لم تحدث، أو في الأقل لم تأخذ مجراها الصحيح بطريقة ما بسبب غياب أي جمع مناسب للمعلومات الاستخباراتية. كما أن اللوحة عرضت لها العديد من برامج المغامرات التي تعرض كل أنواع سفن الفضاء الرائعة وهي تصطدم ببعضها.

كان القرويون مأسورين تماماً بكل هذه الصور السحرية الرائعة التي تلتمع على معصمها. لم يسبق لهم أن رأوا سوى تحطم سفينة فضائية واحدة، وكان مرعباً جداً، عنيفاً وصادماً وسبب الكثير من الدمار الرهيب، ناراً وموتاً إلى درجة أنهم، وبغباء، لم يدركوا قط أنه ترفيه وتسلية.

كان ثراشبارغ العجوز مذهولاً بها إلى درجة أنه رأى مباشرة في راندوم مبعوثاً من بوب، لكنه سرعان ما قرر بعد ذلك أنها أُرسلت في الواقع لاختبار إيمانه، إن لم يكن صبره. كان أيضاً منزعجاً من عدد حوادث تحطم السفن الفضائية التي عليه أن يبدأ بإدخالها في قصصه المقدسة إن كان يريد الاحتفاظ بانتباه القرويين، وألا يسرعوا ليحدّقوا إلى معصم راندوم طوال الوقت.

في هذه اللحظة لم تكن تحدق إلى معصمها. كان معصمها مطفأً، جثم آرثر إلى جانبها بهدوء ليشاهد الشيء الذي كانت تنظر إليه.

كانت ساعته، كان قد خلعها عندما ذهب للاستحمام تحت الشلال المحلّي، ووجدتها راندوم، وكانت تحاول فهم طريقة عملها.

قال آرثر: «إنها مجرد ساعة، تُستخدم لمعرفة الوقت».

قالت: «أعرف ذلك، لكنك لا تنفك تعبث بها، وهي لا تعرض التوقيت الصحيح، أو أي شيء مثله».

استحضرت راندوم الشاشة على لوحة معصمها، التي عرضت آلياً قراءة التوقيت المحلي. كانت لوحة معصمها ناجحة فيما يخص قياس الجاذبية المحلية والاندفاع المداري، ولاحظت موقع الشمس، وتابعت حركتها في السماء، كل ذلك في الدقائق الأولى من وصولها. ومن ثم بسرعة التقطت من

البيئة معلومات عن وحدات القياس المحلية وأعادت ضبط نفسها على نحو ملائم. كانت تفعل ما سبق باستمرار، وذلك قيّم جداً إن كنت تسافر كثيراً عبر الزمان والمكان.

عبست راندوم في ساعة أبيها التي لم تفعل أياً من تلك الأمور.

كان آرثر مغرماً بها كثيراً، لقد كانت أفضل مما يمكنه شراؤه لنفسه. لقد أهداها إليه في عيد ميلاده الثاني والعشرين عرّاب غني ويعتريه الذنب، الذي كان قد نسي كل أعياد ميلاده التي سبقت ذلك العيد، ونسي اسمه أيضاً. كان فيها اليوم، والتاريخ، وأطوار القمر، كما نُقش على سطحها الخلفي المخدوش والبالي «إلى ألبرت في عيد ميلاده الحادي والعشرين» وتاريخ مغلوط، بأحرف لا تزال مرئية بعض الشيء.

مرّت الساعة بكمية لا يستهان بها من الأمور في السنوات القليلة الماضية، ومعظم هذه الأمور لم تكن تغطيه الكفالة إطلاقاً. لم يفترض آرثر بالطبع أن الكفالة ذكرت خصيصاً أن الساعة مضمونة الدقة فقط ضمن الحقل المغناطيسي وحقل الجاذبية الأرضيين، وطالما أن طول اليوم أربع وعشرون ساعة فقط، وأن الكوكب لم يتفجر، وإلى ما هنالك. كانت هذه افتراضات أساسية، حتى المحامون يمكن أن تفوتهم.

لحسن الحظ فساعته تعمل بالتدوير، أو في الأقل، تدور وحدها، فلا يوجد مكان في المجرة يمكنه أن يجد فيه بطاريات تتمتع بدقة بالأبعاد نفسها ومواصفات الطاقة التي كانت قياسية تماماً على الأرض.

سألت راندوم: «إذاً، ما كل هذه الأرقام؟»

أخذ آرثر الساعة منها.

- «هذه الأرقام حول الحافة تدل على الساعات. في النافذة الصغيرة إلى الجهة اليمنى كُتب ‘خ’، وتعني الخميس، والرقم هو ١٤، ما يعني أنه اليوم الرابع عشر من شهر أيار المكتوب في هذه النافذة هنا.

وهذه النافذة في الأعلى التي تشبه الهلال تخبرك بأطوار القمر. بمعنى آخر تخبرك عن الكتلة المضاءة من القمر في الليل بوساطة الشمس، التي تعتمد على المواقع النسبية للشمس والقمر و... الأرض».

قالت راندوم: «الأرض».

- «نعم».

- «وهو المكان الذي أتيت منه، والذي أتت أمي منه».

- «نعم».

أخذت راندوم الساعة منه ونظرت إليها مجدداً، من الواضح أن شيئاً ما يحيرها. ثم رفعتها إلى أذنها وأنصتت بارتباك.

- «ما هذا الصوت؟»

- «إنها تدق. إنه صوت الآلية التي تسيّر الساعة، تدعى آلية الساعة، وهي تشتمل على جميع المسننات المتداخلة والنوابض التي تعمل لتدير العقارب بالسرعة المناسبة تماماً لتحديد الساعات والدقائق والأيام وهكذا».

استمرت راندوم تحدقها.

قال آرثر: «هنالك شيء يربكك، ما هو؟»

قالت راندوم أخيراً: «نعم، لم كلها خردوات؟»

اقترح آرثر أن يمشيا. شعر أن هنالك أموراً عليهما مناقشتها، ولأول مرة، إن لم تبد راندوم سهلة الانقياد ومطواعة، فهي في الأقل لم تكن تتذمر.

من وجهة نظر راندوم فإن كل ذلك كان غريباً جداً. فهي لم ترد أن تكون صعبة المراس، إلى هذا الحد، لكنها لم تعرف كيف تكون غير ذلك.

من هذا الشخص؟ ما هذه الحياة التي يفترض بها أن تعيشها؟ ما هذا الكوكب الذي يفترض أن تعيش عليه؟ وما هذا الكون الذي ما انفك يأتيها عبر عينيها وأذنيها؟ ما الغاية منه؟ ما الذي يريده؟

لقد ولدت في سفينة فضائية كانت متجهة من مكان إلى مكان آخر، ولما وصلت إلى المكان الآخر اتضح أنه لم يكن سوى مكان آخر عليك أن تصل منه إلى مكان آخر من جديد، وهكذا.

كانت اعتيادياً تتوقع أنها يفترض أن تكون في مكان آخر، وكان من الطبيعي لديها أن تشعر أنها ليست في المكان الصحيح.

ومن ثم فإن السفر المستمر في الزمن ضاعف هذه المشكلة، وقاد إلى الإحساس بأنها لم تكن دائماً في المكان الخطأ فحسب، بل كانت هناك، على نحو شبه دائم، في الزمان الخطأ.

لم تلاحظ أنها كانت تشعر بذلك، لأنها لم تختبر مشاعر أخرى، مثلما أنه لم يبد غريباً لها أن تضطر في كل مكان ذهبت إليه تقريباً أن ترتدي إما أثقالاً أو بدلات مضادة للجاذبية بالإضافة إلى أجهزة خاصة للتنفس أيضاً. كانت الأماكن الوحيدة التي يمكنها أن تشعر أنها مناسبة هي العوالم التي صممتها لنفسها لتعيش واقعاً افتراضياً في الأندية الكهربائية. لم يخطر في بالها أن بالإمكان العيش في الكون الحقيقي.

وذلك يتضمن كوكب لاميولا هذا الذي هجرتها أمها فيه، كما يتضمن هذا الشخص الذي منحها هبة الحياة الثمينة والفاتنة مقابل مقعد أفضل. كما اتضح أنه ودود ولطيف وإلا لحدثت مشكلة، حقاً، ففي جيبها حجر مشحوذ خصيصاً كي تستطيع به التسبب بالكثير من المشكلات.

يمكن أن يكون من الخطير جداً رؤية الأمور من وجهة نظر شخص آخر من دون التدريب المناسب.

جلسا في المكان الذي أحبه آرثر بالتحديد، على جانب التلة المطلّة على الوادي. كانت الشمس تغرب فوق القرية.

الشيء الوحيد الذي لم يكن آرثر مولعاً جداً به هو القدرة على الرؤية قليلاً ضمن حدود القرية التالية، حيث يشير أخدود داكن عميق ومشوّه في الغابة إلى المكان الذي تحطمت فيه سفينته. لكن ربما كان ذلك ما يعيده إلى هنا. كان هناك العديد من الأماكن التي يمكنك منها مراقبة ريف لاميولا الخصب والمتمايل، لكن هذا هو المكان الذي انجذب إليه، حيث ترقد نقطة الألم والخوف المزعجة على طرف حدود بصره.

لم يذهب إلى هناك مجدداً منذ أن سُحب من بين الحطام.

لم يكن ليفعل.

لم يستطع تحمّل الأمر.

في الواقع مشى بعض المسافة عائداً إلى تلك النقطة في اليوم التالي، عندما كان لا يزال خدراً ويشعر بالدوار من الصدمة. كان لديه كسر في ساقه، وفي ضلعين، وبعض الحروق الشديدة، ولم يكن يفكر منطقياً لكنه

أصر أن يأخذه القرويون، وهو ما فعلوه، بصعوبة. لكنه لم يتمكن من الوصول إلى الموقع تماماً حيث كانت الأرض تغلي وتذوب، وكان عليه في النهاية أن يعرج مبتعداً عن الرعب إلى الأبد.

سرعان ما انتشر الحديث عن أن كل المنطقة كانت مسكونة، ومن يومها لم يتجرأ أحد على الذهاب إلى هناك إطلاقاً. كانت الأرض تعج بالوديان الخضراء الجميلة والمبهجة، ولم يكن هناك معنى للذهاب إلى واد مزعج. فلتدع الماضي يتشبث بنفسه ولتدع الحاضر يتقدم إلى المستقبل.

حضنت راندوم الساعة بين يديها، أدارتها ببطء لتسمح لضوء شمس المساء الطويل أن يشع بدفء على خدوش وجروح الزجاج السميك. سحرتها مشاهدة عقرب الثواني العنكبوتي يتحرك على مساره الدائري. في كل مرة يكمل دورة كاملة كان العقرب الأطول بين العقربين الرئيسين يتحرك بدقة إلى التقسيم التالي من التقسيمات الستين على القرص. وحينما يتم العقرب الطويل دورته الكاملة يتحرك العقرب الصغير إلى الرقم التالي من الأرقام الأساسية.

قال آرثر بهدوء: «مضت أكثر من ساعة وأنت تراقبينها».

قالت: «أعرف، الساعة هي عندما يتحرك العقرب الكبير دورة كاملة، صحيح؟»

- «هذا صحيح».

- «فإذاً أمضيت ساعة وسبع عشرة... دقيقة وأنا أراقبها».

ابتسمت ابتسامة سعادة عميقة وغريبة وتحركت قليلاً كي تستريح على ذراعه. شعر آرثر بتنهيدة صغيرة تفر منه، كانت مكبوتة داخل صدره لأسابيع. أراد أن يضع ذراعه حول كتفي ابنته، لكنه شعر أن الأمر سابق

لأوانه وأنها قد تتجنبه، لكن شيئاً ما كان يعمل، شيئاً ما كان يهدأ داخلها. لقد كانت الساعة تعني لها شيئاً لم يستطع أي شيء في حياتها أن يعنيه حتى الآن. لم يكن آرثر متأكداً من أنه فهم ما هو، لكنه كان مسروراً على نحو عميق، ومرتاحاً لأن شيئاً ما استمالها.

قالت راندوم: «اشرح لي مجدداً».

قال آرثر: «ليس هناك الكثير لشرحه في الواقع، آلية الساعة هي شيء تطور عبر مئات السنين»...

- «سنين أرضية».

- «نعم. ازدادت دقتها وازداد تعقيدها. كان عملاً حساساً ويتطلب خبرة واسعة. كان يجب أن تُصنع بحجم صغير جداً، ويجب أن تستمر بالعمل على نحو صحيح بغض النظر عن مقدار تلويحك بها أو إسقاطها».

- «لكن على كوكب واحد فقط؟»

- «حسناً، إنه المكان الذي صُنعت فيه كما ترين. لم يكن متوقعاً لها أن تذهب إلى أي مكان آخر حيث توجد شموس وأقمار وحقول مغناطيسية مختلفة. أقصد أنها لا تزال تعمل على نحو ممتاز، لكنها لا تعني كثيراً على هذه المسافة من سويسرا».

- «من أين؟»

«سويسرا. إنها تُصنع هناك. بلد صغير كثير التلال. مرتّب بشكل ممل. لم يعلم الناس الذين صنعوها أن هناك عوالم أخرى».

- «إنه شيء أكبر من ألا تعلمه».

- «حسناً، صحيح».

- «إذاً، من أين أتوا؟»

- «إنهم نحن... لقد ترعرعنا هناك فحسب. لقد تطورنا على الأرض، من طين أو شيء من هذا القبيل».

- «مثل هذه الساعة».

- «لا أظن أن الساعة تنمو من الطين».

- «أنت لا تفهم!»

قفزت راندوم فجأة على قدميها وهي تصرخ: «أنت لا تفهم! أنت لا تفهمني، أنت لا تفهم شيئاً! أكرهك لغبائك الكبير!»

بدأت تركض على نحو محموم إلى أسفل التلة وهي تقبض على الساعة وتصيح بأنها تكرهه.

قفز آرثر وهو جفل ومرتبك. وبدأ يركض خلفها عبر العشب الكثيف القاسي. كان الركض صعباً ومؤلماً له. لما كسر ساقه في حادث التحطم لم يكن كسراً تاماً ولم تشف ساقه شفاءً تاماً. كان يركض متعثراً وجفلاً.

استدارت فجأة وواجهته، كان وجهها داكناً من الغضب، ولوحت بالساعة في وجهه وقالت: «أنت لا تفهم أن هناك مكاناً تنتمي إليه هذه؟ مكاناً تعمل فيه؟ مكاناً تكون مناسبة فيه؟»

استدارت وركضت مجدداً، كانت رشيقة وسريعة ولم يتمكن آرثر قط أن يجاريها.

لم يكن الأمر أنه لم يتوقع أن تكون الأبوّة بهذه الصعوبة، بل هو لم يتوقع أن يكون أباً في الإطلاق، ولا سيما إن كان الأمر مفاجئاً وغير متوقع على كوكب غريب.

استدارت راندوم لتصيح به مجدداً، ولسبب ما كان يتوقف كل مرة تفعل فيها ذلك.

سألت بغضب: «من تظنني أكون؟ نسختك المطوّرة؟ من برأيك ظنت أمي أن أكون؟ تذكرة من نوع ما لحياة لم تحظ بها؟»

قال آرثر وهو يلهث ويتألم: «لا أدري ما تقصدينه بذلك».

- «أنت لا تدري ما يقصده أي أحد بأي شيء!»

- «ما الذي تقصدينه؟»

- «اخرس! اخرس! اخرس!»

- «أخبريني! أرجوك أخبريني! ما الذي كانت تقصده بقولها الحياة التي لم تحظ بها؟»

- «تمنت لو أنها بقيت على الأرض! تمنت لو أنها لم تغادر مع ذلك الغبي التافه زيفود! فهي تظن أنها كانت ستعيش حياة مختلفة!»

قال آرثر: «لكن كانت ستُقتل! كانت ستُقتل عندما دُمِّر الكوكب!»

- «تلك حياة أخرى أليس كذلك؟»

- «تلك»...

- «لم تكن لتنجبني! إنها تكرهني!»

- «أنت لا تقصدين ذلك! كيف يمكن لأحدهم أن، أقصد»...

- «لقد أنجبتني لأنه كان ينبغي لي أن أجعل بعض الأمور مناسبة لها، كانت هذه وظيفتي. لكنني كنت أسوأ ملاءمة منها! لذا تخلصت مني وتابعت حياتها الغبية».

- «ما الغبي في حياتها؟ إنها ناجحة على نحو مذهل، أليست كذلك؟ إنها موجودة في كل زمان ومكان، وعلى كل شبكات سب-إيثا التلفزية»...

- «غبية! غبية! غبية! غبية!»

استدارت راندوم وهربت من جديد، ولم يتمكن آرثر من مجاراتها، وفي النهاية توجب عليه الجلوس قليلاً كي يترك الألم في قدمه يتخامد، أما الاضطراب في عقله فلم يدر ما يفعل به إطلاقاً.

عاد بعد ساعة إلى القرية وهو يعرج. كان الظلام يحل، حياه القرويون الذين مر بهم، لكن كان هناك جو من العصبية من عدم معرفة ما يحدث أو كيفية التعامل معه. شوهد ثراشبارغ العجوز يشد لحيته قليلاً وينظر إلى القمر، ولم تكن تلك إشارة جيدة أيضاً.

ذهب آرثر إلى كوخه.

كانت راندوم تجلس منحنية بصمت فوق الطاولة.

قالت: «أنا آسفة، أنا آسفة جداً».

قال آرثر بأكثر ما يعرفه من لطف: «لا بأس في ذلك، من الجيد أن، حسناً، أن ندردش قليلاً. هنالك الكثير لنتعلمه ونفهمه عن بعضنا، والحياة ليست كلها شاياً وشطائر»...

قالت مجدداً وهي تنشج: «أنا آسفة جداً».

ذهب آرثر إليها ووضع ذراعه حول كتفها، لم تقاوم أو تبتعد، عندئذ رأى آرثر الشيء الذي كانت آسفة جداً حياله.

كانت ساعة آرثر موجودة في بقعة الضوء التي يلقيها المصباح اللاميولي. نزعت راندوم الوجه الخلفي بعنف باستخدام حافة سكين دَهن

الزبدة، وكانت كل المسننات والنوابض والعتلات موضوعة في كتلة سخيفة صغيرة حيث كانت تعبث بها.

قالت راندوم: «أردت فقط أن أرى كيف تعمل، وكيف كانت جميعها متناسبة. أنا آسفة جداً! لا أستطيع إعادتها إلى سابق عهدها. أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة. لا أدري ما عليّ أن أفعل. سأصلحها! حقاً سأصلحها!»

في اليوم التالي أتى ثراشبارغ وتحدث بكل أنواع الأحاديث المتعلقة ببوب. حاول أن يمارس تأثيراً مهدئاً بأن يدعو راندوم كي تُشغِل عقلها فيما يخص الغموض الذي لا يدرك، والذي يلف حشرة أبي مقص العملاقة، وقالت راندوم إنه لا توجد حشرة أبو مقص عملاقة، فدخل ثراشبارغ بصمت وحالة من عدم المبالاة، وقال إن راندوم سترمى في الظلمة الخارجية. قالت راندوم إنه جيد، لأنها ولدت هناك، وفي اليوم التالي وصل الطرد.

كان الوضع يزداد خطورة.

في الحقيقة، جلب الطرد معه، عندما أوصله روبوت طائر سقط من السماء وهو يصدر أصوات طيران روبوت، إحساساً بدأ تدريجياً يتخلل القرية بأسرها بأن الوضع زاد عن حده.

لم يكن ذلك ذنب الروبوت، كل ما طلبه هو توقيع آرثر دينت أو بصمته، أو بضع خلايا جلدية من مؤخرة عنقه، ومن ثم يذهب في طريقه مجدداً. تعلّق في الهواء منتظراً، وهو ليس متأكداً من سبب كل هذا الاستياء. في هذه الأثناء التقط كيرب سمكة أخرى ذات رأس من كل طرف، لكن بالفحص الدقيق يتبين أنهما سمكتان قصتا من المنتصف وخيطتا بشكل سيئ، فلم يفشل كيرب في إشعال جذوة الاهتمام بسمكة ذات رأسين فقط،

بل ألقى بشكوك كبيرة على مصداقية السمكة الأولى. كانت طيور البيكا هي الوحيدة التي شعرت أن كل شيء طبيعي تماماً.

حصل الروبوت الطائر على توقيع آرثر وهرب، وحمل آرثر الطرد وعاد إلى كوخه. جلس ونظر إليه.

قالت راندوم: «لنفتحه!» فقد كانت تشعر ببهجة كبيرة هذا الصباح بعد أن أصبح كل شيء حولها غريباً على نحو كامل، لكن آرثر قال لا.

- «لم لا؟»

- «لأنه ليس مرسلاً إليّ».

- «نعم، إنه كذلك».

- «لا، ليس كذلك، إنه مرسل إلى... حسناً، إنه مرسل إلى فورد بريفيكت، بعنواني أنا».

- «فورد بريفيكت؟ أليس الشخص الذي»...

قال آرثر بحدة: «نعم».

- «لقد سمعت عنه».

- «أظنك كذلك».

- «لنفتحه في أي حال، ما الذي سنفعله غير ذلك؟»

قال آرثر الذي بالفعل لم يكن متأكداً: «لا أعلم». أخذ سكاكينه المتضررة إلى دكان الحدادة باكراً في ذلك الصباح، فنظر إليها سترايندر وقال إنه سيرى ما يمكنه فعله.

حاولا القيام بالأعمال التقليدية من التلويح بالسكاكين في الهواء، واستشعار نقطة التوازن ونقطة المرونة وإلى ما هنالك، لكن الفرح لم يكن موجوداً، وتملك آرثر إحساس حزين بأن أيامه في صناعة الشطائر قد تكون أصبحت معدودة.

طأطأ آرثر رأسه.

كان الظهور التالي للوحوش العادية جداً وشيكاً، لكن آرثر شعر بأن الاحتفالات التقليدية بالصيد والولائم ستكون بلا بهجة وغير أكيدة. لقد حدث شيء ما هنا على كوكب لاميولا وراود آرثر إحساس رهيب بأنه السبب.

ألحت راندوم وهي تقلب الطرد في يديها: «ما هو بحسب اعتقادك؟»

قال آرثر: «لا أعرف، لكنه شيء سيئ ومقلق».

احتجت راندوم قائلة: «كيف تعرف؟»

قال آرثر: «لأن أي شيء متعلق بفورد بريفيكت محكوم عليه أن يكون أسوأ وأكثر إقلاقاً من شيء ليس متعلقاً به، صدقيني».

قالت راندوم: «أنت منزعج من شيء ما، ألست كذلك؟»

تنهد آرثر وقال: «أشعر أنني مضطرب ومتقلّب كما أظن».

قالت راندوم: «أنا آسفة،» ووضعت الطرد من يدها مجدداً. كانت تعلم أنه سينزعج حقاً إن فتحته، وسيكون عليها أن تفتحه بعيداً عن أنظاره.

الفصل السادس عشر

لم يكن آرثر متأكداً من الشيء الذي لاحظ أنه مفقود أولاً. لما لاحظ أن واحداً لم يكن هناك قفز دماغه على الفور إلى الآخر، وعلم مباشرة أنهما اختفيا معاً، وأن شيئاً سيئاً جنونياً يصعب التعامل معه سيحدث نتيجة لذلك.

لم تكن راندوم موجودة، ولا الطرد.

لقد ترك الطرد على الرف طيلة اليوم، في مرمى النظر. كان اختباراً للثقة.

كان يعلم أن أحد الأشياء التي عليه فعلها كأب هي أن يظهر ثقة بولده، أن يبني مشاعر الثقة والجرأة في أساس العلاقة بينهما. لقد راوده شعور بغيض بأن فعل ذلك كان شيئاً أحمق، لكنه فعله في أي حال، وغني عن القول أنه تبين أن فعل ذلك كان شيئاً أحمق. أنت تعيش وتتعلم، وفي كل الأحوال، أنت تعيش.

كما أنك ترتعب.

ركض آرثر إلى خارج الكوخ. كان الوقت في منتصف الأمسية، وكان الضوء يخفت، وكانت العاصفة تتجمع. لم يتمكن من رؤيتها أو رؤية أي إشارة إليها في أي مكان. سأل، لكن أحداً لم يرها، سأل مجدداً، لكن أحداً أيضاً لم يرها. لقد كانوا يذهبون إلى بيوتهم لتمضية الليل. كانت بعض

الرياح تهب بالقرب من طرف القرية، تلتقط أشياء وترميها في الأرجاء على نحو اعتيادي وخطير.

وجد ثراشبارغ العجوز وسأله، ونظر إليه ثراشبارغ ببرود ومن ثم أشار في الاتجاه الذي خاف منه آرثر، وعرف حينها غريزياً أنه الطريق الذي ذهبت منه.

لذا، كان الآن يعرف الأسوأ.

لقد ذهبت إلى حيث كانت تعلم أنه لن يتبعها. نظر إلى السماء، التي كانت كئيبة، مخططة وشاحبة، وأظهرت أنها سماء لن يشعر فرسان يوم القيامة الأربعة بأنهم مجموعة حمقى إن خرجوا منها.

مثقلاً من إحساسه بأعظم هواجسه، انطلق في المسار الذي يقود إلى الغابة في الوادي التالي. بدأت أولى قطرات المطر الثقيلة تضرب الأرض عندما حاول آرثر أن يجبر نفسه على الركض. وصلت راندوم إلى قمة التلة ونظرت إلى الأسفل إلى الوادي التالي. كان تسلقاً أصعب وأطول مما توقعت. كانت قلقة قليلاً من أن القيام بالرحلة في الليل لم يكن فكرة عظيمة، لكن والدها كان يتسكع بالقرب من الكوخ طوال اليوم وهو يحاول أن يتظاهر لها أو لنفسه أنه لا يحرس الطرد. في النهاية، كان عليه أن يذهب إلى دكان الحدادة ليتكلم مع سترايندر حول السكاكين، فانتهزت راندوم الفرصة وهربت مع الطرد.

كان واضحاً تماماً أنها لن تستطيع فتح الشيء هناك، في الكوخ، ولا حتى في القرية. كان يمكن أن يمر والدها بها في أي لحظة، وهذا يعني أن عليها أن تذهب إلى حيث لا يمكن اللحاق بها.

كان بإمكانها التوقف حيث هي، لقد ذهبت في هذا الطريق على أمل ألا يتبعها، حتى لو فعل، فلن يجدها في الأجزاء المشجّرة من التلة مع حلول الليل وبدء هطول المطر.

كان الطرد يهتز تحت ذراعها طوال مدة الطريق إلى أعلى التل، لقد كان عبارة عن كتلة ضخمة إلى حد بعيد: صندوق بغطاء مربع، طول ضلعه بطول ذراعه، وعمقه بطول يدها تقريباً، ملفوف بورق بني بوساطة خيط رائع من النوع الجديد المحوك يدوياً. لم يخشخش الصندوق وهي تهزه، لكنها شعرت بأن ثقله كان متركزاً في المنتصف على نحو مثير.

بعد أن قطعت هذه المسافة، كان هناك نوع من اللذة في ألا تقف هنا، بل أن تتابع إلى الأسفل وتدخل في المنطقة التي بدت محرمة تقريباً، حيث سقطت سفينة أبيها. لم تكن متأكدة مما عنته كلمة «مسكون»، لكن قد يكون مسلياً اكتشاف ذلك. ستتابع وتحتفظ بالطرد حتى تصل إلى هناك.

إلا أن الظلمة كانت تزداد، ولم تستخدم بعد كشافها الكهربائي الصغير، لأنها لم ترد أن تكون مرئية من مسافة بعيدة. سيكون عليها استخدامه الآن، لكن ذلك لن يهم بما أنها على الجانب الآخر من التل الذي فرّق بين الواديين.

شغّلت كشافها، في اللحظة نفسها التي انتشر فيها البرق متفرّعاً في الوادي الذي كانت متجهة إليه وأجفلها كثيراً. مع ارتعاد الظلمة من حولها وهدير الرعد عبر المدى شعرت فجأة بأنها صغيرة وضائعة وليس معها سوى قلم ضعيف من الضوء يهتز في يدها. ربما عليها أن تتوقف هنا وتفتح الطرد، أو ربما عليها الرجوع والعودة في صباح الغد. لكن ذلك لم يكن

سوى تردد لحظي، كانت تعلم أنه لا يوجد شيء اسمه عودة الليلة، وشعرت أن لا عودة أبداً.

تابعت نزولاً على جانب التل. بدأ المطر يزداد الآن، وحيث إنه منذ مدة قصيرة لم يكن سوى بضع قطرات ثقيلة فقد بدأ ينهمر بغزارة الآن، وصَدَرَ صوت هسهسة في الأشجار، وراحت الأرض تصبح زلقة تحت قدميها.

في الأقل، اعتقدت أن المطر ما يهسهس في الأشجار، وكانت الظلال تقفز وتنظر شزراً إليها، في حين كان ضوء كشافها يتمايل عبر الأشجار. استمرت في السير نزولاً.

أسرعت لعشر أو خمس عشرة دقيقة أخرى، تبللت تماماً الآن وراحت ترتجف، وأدركت تدريجياً أن هناك على ما يبدو ضوءاً في مكان ما أمامها. كان ضعيفاً جداً، ولم تكن متأكدة إن كانت تتخيله أو لا. أطفأت كشافها لترى، بدا أنه يوجد وهج خافت في الأمام. لم تعرف ماهيته، وأشعلت كشافها من جديد وتابعت نزولاً باتجاه أياً يكن ذلك الشيء.

إنما كان هناك شيء غريب فيما يخص الغابة.

لم تعرف مباشرة ما هو، لكنها لم تبد غابة مرحة وقوية تنتظر فصلاً ربيعياً جيداً. كانت الأشجار تتمايل بزوايا بائسة وبدا عليها الشحوب والتلف. أحست راندوم بقلق أكثر من مرة أن الأشجار كانت تحاول الوصول إليها حين كانت تجتازها، لكنها كانت مجرد خدعة من الطريقة التي جعل كشافها ظلال الأشجار تضطرب وتتمايل.

فجأة سقط أمامها شيء من شجرة، فقفزت إلى الخلف بذعر، وأوقعت كلّا من الكشّاف والصندوق في أثناء هذه القفزة. انحنت جاثمة وسحبت الحجرة المسنّفة خصيصاً من جيبها.

كان الشيء الذي سقط من الشجرة يتحرك، وكان الكشاف ممدداً على الأرض ويضيء باتجاهه، وظل كبير وغريب كان يتمايل ببطء عبر الضوء باتجاهها. كان بإمكانها سماع صوت حفيف ضعيف وأصوات صراخ أقوى من الهسهسة الثابتة للمطر. خربشت على الأرض وهي تحاول الإمساك بالكشاف، فوجدته، وأضاءت به على المخلوق مباشرة.

في اللحظة نفسها سقط كائن آخر من شجرة على بعد أقدام عدة، فأمالت الكشاف بشكل هائل من واحد إلى آخر، ورفعت حجرتها في استعداد للرمي.

كانا صغيرين في الوقع، لكن زاوية الضوء جعلتهما يبدوان كبيرين جداً، وليسا صغيرين فقط، بل صغيرين، مكسوين بالفرو ولطيفين. وكان هناك آخر يسقط من الأشجار، سقط عبر شعاع الضوء فرأته بوضوح.

سقط بترتيب ودقة، استدار، ومن ثم بدأ يتقدم نحو راندوم بإصرار وبطء مثل الآخرين.

بقيت ثابتة في مكانها، وهي لا تزال ممسكة بالحجر الذي وازنته استعداداً لرميه، لكنها أصبحت واعية على نحو متزايد لحقيقة أن الأشياء التي وازنته استعداداً للرمي عليها كانت سناجب. أو في الأقل، أشياء تشبه السناجب، ناعمة، دافئة، ولطيفة تتقدم نحوها بطريقة لم تكن متأكدة أنها أحبتها.

أضاءت كشافها على الأول مباشرة، وكان يصدر أصوات صريخ عدوانية متوعدة، ويحمل في إحدى قبضتيه الصغيرتين خرقة زهرية رطبة ورثّة. ثاقلت راندوم حجرها بتهديد في يدها، لكن ذلك لم يؤثر إطلاقاً في السنجاب المتقدم نحوها مع خرقته الرطبة.

تراجعت، ولم تعرف كيف تتعامل مع ذلك إطلاقاً، لو كانت وحوشاً شريرة مزمجرة يسيل لعابها ولديها مخالب لامعة لكانت صوّبت عليها بعزيمة، لكن كان من الصعب عليها التعامل مع سناجب تتصرف بهذه الطريقة.

تراجعت مجدداً. كان السنجاب الثاني قد بدأ بمناورة جانبية إلى يمينها، وهو يحمل كوباً وشيئاً يشبه البلوط. أما الثالث فكان خلفه ويقوم بتقدمه الخاص. ما الذي كان يحمله؟ فكرت راندوم أنه قطعة صغيرة من الورق الندي.

خطت إلى الخلف مجدداً، وضربت عقبها بجذر شجرة فسقطت إلى الخلف. انطلق السنجاب الأول إلى الأمام على الفور ووقف عليها، وراح يتقدم على بطنها بتصميم لا مبال في عينيه، وخرقة رطبة في قبضته.

حاولت راندوم أن تقفز، لكنها لم تتمكن سوى أن تقفز إنشاً تقريباً، فالحركة الجفلة للسنجاب على معدتها أجفلتها أيضاً. تجمّد السنجاب وأمسك بجلدها من خلال قميصها المبلل بمخالبه الصغيرة. ومن ثم ببطء، إنشاً فإنش، تابع طريقه صعوداً، وتوقّفَ وقدم لها الخرقة.

شعرت بأنها مأخوذة من غرابة ذلك الشيء وعينيه الصغيرتين المتألقتين. قدّمَ لها الخرقة مجدداً، دفعها إليها أكثر من مرة وهو يصرخ مصرّاً،

حتى أخذت الخرقة منه في النهاية بقلق وتردد. استمر السنجاب في مراقبتها بتركيز، كانت عيناه تعاينان كامل وجهها. لم تدر ما تفعل، كان الطين والمطر ينهمران على وجهها، ويوجد سنجاب يجلس عليها، فمسحت بعض الطين عن عينيها بالخرقة.

صرخ السنجاب صرخة نصر، وأخذ الخرقة، ثم قفز عنها وركض هارباً في الليل الداكن والمحيط، وانطلق إلى أعلى شجرة، ودخل في ثقب في جذعها، ثم جلس وأشعل سيجارة.

في هذه الأثناء، كانت راندوم تحاول إبعاد السنجاب الذي يحمل كوباً مصنوعاً من البلوط مملوءاً بماء المطر، والسنجاب الذي يحمل ورقة. جرّت نفسها إلى الخلف وهي جالسة.

صاحت: «لا! ابتعدا!»

قفزا إلى الخلف مذعورين، ثم قفزا إلى الأمام مباشرة مع هديتيّهما. لوّحت مهددة بحجرها في وجهيّهما، وصرخت: «اذهبا!»

ركض السنجابان في الأرجاء بذعر، ثم انطلق أحدهما إليها مباشرة، وأسقط كوب خشب البلوط في حضنها، ثم استدار وركض مبتعداً في الظلام. وقف الآخر وهو يرتعش لوهلة، ثم وضع قطعته الورقية بشكل مرتب أمامها واختفى أيضاً.

أصبحت وحيدة مجدداً، لكنها كانت ترتجف من الارتباك. وقفت غير متزنة على قدميها، والتقطت حجرها وطردها، ثم توقفت لوهلة والتقطت قطعة الورق أيضاً. كانت الورقة مبللة جداً ومهترئة وكان من الصعب معرفة ما كانت. بدت أنها قطعة من مجلة توزع في أثناء رحلة فضائية.

وبينما كانت راندوم تحاول فهم معنى كل ذلك، خرج رجل من بين الأشجار إلى الأرض الخالية التي كانت تقف فيها، ورفع مسدساً رهيب الشكل وأطلق النار عليها.

كان آرثر يمشي بلا هوادة خلفها على بعد ميلين أو ثلاثة، على الجانب الصاعد من التل.

بعد أن انطلق بدقائق عدة، عاد مجدداً وتزوّد بمصباح، لم يكن مصباحاً كهربائياً، فالمصباح الكهربائي الوحيد الموجود هو الذي جلبته راندوم معها. أما الذي معه فكان فانوساً باهتاً، عبارة عن علبة معدنية مثقّبة من دكان سترايندر للحدادة، حيث احتوت على خزان من زيت السمك سريع الاشتعال، وفتيل من أعشاب جافة مضفورة وملفوفة بغشاء نصف شفاف مصنوع من أوتار مجففة مستخرجة من أحشاء الوحش العادي جداً.

كان هذا الفانوس قد انطفأ.

هزّه آرثر بطريقة عقيمة تماماً لثوان عدة. من الواضح أن من المستحيل أن ينجح في جعل الفانوس يشتعل من جديد وسط عاصفة مطرية، لكن من المستحيل عدم بذل جهد رمزي. رمى الفانوس جانباً على مضض.

ما العمل؟ كان الوضع يائساً. كان آرثر مشبعاً تماماً بالماء، ملابسه ثقيلة ومنتفخة من المطر، والآن هو تائه في الظلام أيضاً.

لوهلة وجيزة كان تائهاً في ضوء باهر، ومن ثم عاد ليكون تائهاً في الظلام.

في الأقل، أظهر له البرق أنه كان قريباً جداً من حافة التل. بمجرد أن واجه أنه... حسناً، لم يكن متأكداً مما سيفعله. سيكون عليه التفكير في ذلك عندما يصل إلى هناك.

عرج صاعداً في طريقه إلى الأمام.

بعد دقائق عدة علم أنه يقف لاهثاً على القمة، كان هناك وهج باهت من نوع ما على بُعد مسافة تحته. لم تكن لديه فكرة عن ماهيته، وبالطبع كاد لا يحب أن يفكر في الأمر. إنما كان الشيء الوحيد الذي عليه أن يتجه نحوه، لذا بدأ يمشي متعثراً، يائساً وخائفاً باتجاهه.

اخترق وميض الضوء المميت راندوم مباشرة، وبعد ثانيتين، اخترقها الرجل الذي أطلقه. عدا عن أنه لم يعرها أي اهتمام، كان قد أطلق النار على شخص يقف خلفها، ولما استدارت لتنظر، كان جاثماً على ركبتيه فوق الجثة ويفتش جيوبها.

تجمد المشهد واختفى، وتم استبداله بعد ثانية بزوج عملاق من الأسنان محاط بإطار من الشفاه الحمر الهائلة واللامعة. ظهرت فرشاة زرقاء ضخمة من العدم وبدأت تفرك الأسنان على نحو رغوي، التي بقيت هناك تلتمع في الستار المطري المومض.

أومضت راندوم على المشهد مرتين قبل أن تفهم ما حدث.

كان إعلاناً، الشخص الذي أطلق النار عليها كان جزءاً من فيلم الرحلة ذي الصور المجسّمة. لا بد أنها الآن قريبة جداً من مكان تحطم السفينة. من الواضح أن بعض أجزاء نظامها كان أكثر صلابةً من غيره.

نصف الميل التالي من الرحلة كان متعباً على نحو خاص، ولم يكن عليها أن تكافح البرد والمطر والليل فحسب، بل أيضاً البقايا المتحطمة والمتكسرة من نظام الترفيه الخاص بالسفينة. كانت السفن الفضائية والسيارات النفاثة والحوامات تتحطم وتنفجر على نحو متواصل حولها، فتضيء الليل، أشخاص أنذال يرتدون قبعات غريبة هرّبوا مخدرات خطرة عبرها، وأوركسترا وكورس دار الأوبرا في دولة هالابوليس عزفوا خاتمة مسير حارس النجوم أنجاكانتين من الفصل الرابع من سمفونية زيغار، بلامويلاموم الوونتي، في أرض صغيرة فارغة في الجهة اليسرى منها.

من ثم كانت تقف على شفا فوهة كريهة الشكل ذات حواف تحوي فقاعات. كان يأتي وهج دافئ وخافت مما بدا كقطعة من العلكة المكرملة في منتصف الحفرة، وهو البقايا المنصهرة لسفينة فضائية ضخمة.

وقفت تنظر إليها لفترة مطوّلة، ومن ثم راحت في النهاية تمشي حول حافة الفوهة، ولم تعد متأكدة مما كانت تبحث عنه، لكنها استمرت في التحرك في أي حال، مبقية رعب الحفرة إلى يسارها.

بدأ المطر يخف قليلاً، لكنه لا يزال يبلل على نحو كبير، وبما أنها لم تعلم ماهية ما في الصندوق، سواء أكان شيئاً دقيقاً أم سهل العطب، فكّرت في أن عليها إيجاد مكان جاف إلى حد معقول لفتحه. أملت ألا تكون قد حطمته بعد أن أوقعته.

حرّكت كشافها على الأشجار المحيطة التي كانت نحيلة على الأرض هنا، ومعظمها متفحّم ومتكسّر، في منتصف المسافة ظنت أنها تمكنت من رؤية بروز صخرة مبعثرة حيث يمكنها أن تلتجئ، وبدأت تشق طريقها

باتجاهه. وجدت في الأرجاء الحطام الذي قُذِفَ من السفينة عندما تحطمت، قبل أن تتحول في النهاية إلى كرة لهب.

بعد أن ابتعدت عن حافة الفوهة مئتين أو ثلاثمئة ياردة وصلت إلى البقايا الرثة لمادة زهرية زغبية، مشبعة بالماء، ملوّثة بالوحل، ومتدلية بين الأشجار المتكسرة. خمنت، وكان تخمينها صحيحاً، بأن هذه لا بد بقايا شرنقة النجاة التي أنقذت حياة والدها. ذهبت ونظرت إليها عن قرب أكثر، ثم لاحظت وجود شيء قريب من الشرنقة على الأرض، نصف مغطى بالوحل.

التقطته ومسحت الوحل عنه، كان أحد الأجهزة الإلكترونية بحجم كتاب. وبسبب لمستها توهجت على غلافه بشكل خافت حروف كبيرة ودود، شكّلت كلمة لا ترتعب. علمت راندوم ما هذا، إنه نسخة والدها من دليل المسافر إلى المجرة.

أشعرها الدليل بالطمأنينة مباشرةً، فرفعت رأسها إلى السماء الممتلئة بالرعود وتركت بعض المطر يغسل وجهها ويدخل فمها.

هزّت رأسها وأسرعت باتجاه الصخور، بالصعود عليها وجدت الشيء المثالي على نحو شبه فوري، مدخل الكهف. حرّكت كشافها في داخل الكهف، وبدا الأخير جافاً وآمناً. دخلت وهي تمشي بتأن، فكان واسعاً إلى حد ما، لكنه ليس عميقاً إلى حد كبير. جلست مرتاحة على صخرة مناسبة بعد التعب، ووضعت الصندوق أمامها وباشرت تفتحه.

الفصل السابع عشر

لردح طويل من الزمن كان هناك الكثير من التأمّل والجدل حول مكان ذهاب ما يسمى «المادة المفقودة» من الكون. في كل أصقاع المجرة كانت أقسام العلوم في كل الجامعات الرئيسة تحصل على المزيد والمزيد من معدات التطوير لسبر الأغوار والبحث في قلب المجرات البعيدة، ومن ثم المركز التام والأطراف التامة للكون بأسره، لكن حينما أقتفي أثرها في النهاية تبين أنها في الواقع كل الأشياء التي كانت المعدات موضّبة فيها.

كانت هناك كمية كبيرة من المادة المفقودة في الصندوق، حبيبات كروية صغيرة بيضاء ناعمة من المادة المفقودة، التي نبذتها راندوم للأجيال القادمة من الفيزيائيين ليتتبعوها ويكتشفوها من جديد عندما تضيع وتُنسى مكتشفات الجيل الحالي من الفيزيائيين.

رفعت القرص الأسود عديم التفاصيل من بين حبيبات المادة المفقودة. وضعته على صخرة إلى جانبها وتفحصت المادة المفقودة لترى إن كان هناك أي شيء آخر، دليل استخدام أو بعض الملحقات أو ما شابه، لكن لم يكن هناك شيء على الإطلاق. فقط القرص الأسود.

أضاءته بنور الكشّاف.

وما إن فعلت ذلك، بدأت التصدعات تظهر على طول سطحه عديم التفاصيل. تراجعت راندوم بعصبية، لكن عندئذ رأت أن ذلك الشيء، أياً يكن، كان يفتح نفسه فحسب.

كانت العملية رائعة الجمال، كانت رائعة الإحكام لكن أيضاً بسيطة وأنيقة. كانت تشبه قطعة ذاتية التفتح من الأوريغامي[1]، أو برعم وردة يتفتح ليصبح وردة في ثوان فقط.

وحيث إن كان هناك، قبل بضع لحظات، قرص أسود صقيل ومنحن، أصبح الآن طائراً، طائراً يحلق في الأرجاء.

استمرت راندوم في التراجع بعيداً عنه، بحذر وترقّب، كان يشبه طائر البيكا بعض الشيء، لكنه أصغر بقليل. إن صح التعبير، في الواقع كان أكبر، أو لدقة أكبر، بالضبط الحجم نفسه، أو، في الأقل، ليس أقل من ضعف حجمه. كما كان لونه أيضاً أزرق أكثر، وزهرياً أكثر معاً من طيور البيكا، لكن، في الوقت نفسه هو أسود تماماً.

كما كان هناك شيء غريب جداً حياله، وهو ما لم تتمكن راندوم من معرفته مباشرة.

من المؤكد أنه تشارك مع طائر البيكا بالانطباع الذي يعطيه عندما ينظر بأنه ينظر إلى شيء لا تراه أنت.

فجأة اختفى.

---

(١) Origami: فن ياباني يتعلق بطي الورق وتحويله إلى أشكال ومجسمات للزينة – قاموس أوكسفورد.

عند ذلك، وبالسرعة نفسها استحال كل شيء إلى اللون الأسود. انخفضت راندوم جاثمة بتوتر، وهي تستشعر حجرها المشحوذ خصيصاً في جيبها مجدداً. بعدئذ تراجع السواد ولفّ نفسه في شكل كرة، ومن ثم تحوّل إلى عصفور مجدداً. تعلّق في الهواء أمامها، يخفق بجناحيه ببطء وينظر إليها.

قال فجأة: «معذرة، يجب أن أعاير نفسي. هل يمكنك سماعي عندما أقول هذا؟»

سألت راندوم: «عندما تقول ماذا؟»

قال العصفور: «جيّد، وهل تستطيعين سماعي عندما أقول هذا؟» تكلم هذه المرة بصوت أكثر حدة.

قالت راندوم: «نعم، بالطبع أستطيع!»

قال: «وهل يمكنك سماعي عندما أقول هذا؟» هذه المرة بصوت عميق وكئيب.

«نعم!»

كان هناك صمت.

قال الطائر بعد ثوان عدة: «لا، من الواضح أنك لا تسمعين». ثم أضاف بصوت صادح خفيف: «حسناً، من الواضح أن مدى سمعك يتراوح بين ٢٠ إلى ١٦ كيلوهرتز، إذاً، هل هذا مناسب لك؟ لا صراخ إيقاعي غير مريح في السجل العلوي؟ من الواضح أنه غير موجود. جيد. أستطيع استخدام هذه كقنوات للمعلومات. كم واحداً ترين مني؟»

فجأة أصبح الهواء مملوءاً فقط بطيور متداخلة. كانت راندوم معتادة على تمضية الوقت في الواقع الافتراضي، لكن هذا كان أغرب بكثير من أي

شيء صادفته مسبقاً. وكأن هندسة المكان أُعيد تحديدها بأشكال عصافير غير متلاحمة.

لهثت راندوم وقذفت ذراعيها حول وجهها، وكانت ذراعاها تتحركان في مكان بشكل طائر.

قال الطائر: «من الواضح أنه يوجد العديد، والآن؟»

ظهر في شكل أنبوب أوكورديوني من الطيور، كأنه طائر محبوس بين مرايا متوازية، تنعكس صورته إلى اللانهاية.

صاحت راندوم: «ما أنت؟»

قال الطائر: «سنصل إلى ذلك في دقيقة، فقط أخبريني، كم واحداً ترين من فضلك؟»

أشارت راندوم على نحو يائس في المدى، وقالت: «حسناً، أنت»...

«فهمت، لا أزال لا نهائياً في المدى، لكننا في الأقل نحط في المصفوفة البعدية الصحيحة. جيد. لا، الجواب هو برتقالة وليمونتان».

- «ليمون؟»

- «لو كان لدي ثلاث ليمونات وثلاث برتقالات وخسرت برتقالتين وليمونة، فماذا يبقى لدي؟»

- «ماذا؟»

سألها وهو ينتفخ في هذا الاتجاه وذاك من الفضاء: «حسناً، إذاً أنت تظنين أن الوقت يتدفق على هذا النحو، ألست كذلك؟ هذا مثير للاهتمام، هل لا أزال لانهائياً؟ هل أنا لا نهائي الآن؟ ما مدى اصفراري؟»

لحظة بعد أخرى كان الطائر يمر بتحولات مذهلة في الشكل والمدى.

قالت راندوم مرتبكة: «لا أستطيع»...

- «لست مجبرة على الإجابة، لقد عرفتها من مراقبتك الآن، إذاً، هل أنا أمك؟ هل أنا صخرة؟ هل أبدو ضخماً، إسفنجيّاً ومتداخلاً بتعرّج؟ لا؟ ماذا عن الآن؟ هل أعود إلى الخلف؟»

للحظة كان الطائر ثابتاً تماماً.

قالت راندوم: «لا».

- «حسناً، في الواقع كنت أعود إلى الخلف في الزمن. حسناً، أعتقد أننا رتبنا كل ذلك الآن. إن أردت المعرفة، أستطيع أن أخبرك أنكم في كونكم تتحركون بحرية في ثلاثة أبعاد تدعونها الفضاء. تتحركون على نحو مستقيم في رابع، تدعونه الزمان، وتبقون متشبثين في مكان واحد من خامس، وهو أول أساسيات الاحتمالية. بعد ذلك يتعقد الأمر قليلاً، وهناك الكثير من الأحداث في الأبعاد من ١٣ حتى ٢٢ التي حقاً لا تريدين معرفتها. كل ما تحتاجين معرفته الآن هو أن الكون مكان أكثر تعقيداً مما يمكنك أن تظني، حتى لو بدأت التفكير من نقطة أنه لعين ومعقد جداً. بإمكاني عدم قول كلمات مثل 'لعين' إن كانت تهينك».

- «قل أي شيء لعين تريده».

«سأفعل».

سألت راندوم: «ما أنت بحق الجحيم؟»

- «أنا الدليل. في كونك أنا دليلك. في الواقع أنا أعيش في ما يعرف تقنياً بالنوع الكلّي للخليط العام الذي يعني... حسناً، دعيني أرك».

استدار في الهواء وانقض خارجاً من الكهف، ثم جثم على صخرة، تحت البروز تماماً، بعيداً عن المطر الذي كان يشتد هطوله مجدداً.

قال: «تعالي، شاهدي هذا».

لم تحب راندوم أن يتأمّر عليها طائر، لكنها تبعته إلى مدخل الكهف في أي حال، وهي لا تزال تتلمس الحجر الذي في جيبها.

قال الطائر: «مطر، أترين؟ مجرد مطر».

- «أعرف ما هو المطر».

زخات من المطر كانت تنزل في الليل، وكان ضوء القمر ينتشر عبرها.

- «إذاً ما هو؟»

- «ما الذي تقصده بها هو؟ اسمع، من أنت؟ ما الذي كنت تفعله في الصندوق؟ لماذا أمضيت الليل أركض عبر الغابة أدفع عني سناجب مخبولة لأكتشف أن كل ما حصلت عليه في النهاية هو طائر يسألني ما المطر؟ إنه مجرد ماء يسقط عبر الهواء اللعين، هذا ما هو. أي شيء آخر تريد معرفته أو يمكننا الذهاب إلى البيت الآن؟»

كان هناك فاصل طويل قبل أن يجيب الطائر: «تريدين الذهاب إلى المنزل؟»

كادت راندوم تصدم نفسها، صرخت الكلمات بأعلى صوتها: «ليس لدي منزل!»

قال الطائر الدليل: «انظري إلى المطر»...

- «أنا أنظر إلى المطر! هل يوجد شيء آخر لأنظر إليه؟»

- «ما الذي ترينه؟»

- «ما الذي تقصده أيها الطائر الغبي؟ أرى الكثير من المطر فقط. إنه مجرد ماء يسقط».

- «ما الأشكال التي ترينها في الماء؟»

- «أشكال؟ لا توجد أي أشكال. إنها فقط، فقط»...

قال الطائر الدليل: «إنها مجرد خليط».

- «نعم»...

- «الآن ماذا ترين؟»

انتشر شعاع خافت يكاد لا يُرى من عين الطائر. في الهواء الجاف أسفل البروز لم يكن هناك ما يمكن مشاهدته. وحيث اصطدم الشعاع بقطرات المطر وهي تهبط عبره كانت هناك صفيحة من الضوء، بيضاء ومشعة إلى درجة أنها بدت صلبة.

قالت راندوم بعناد: «آه عظيم. عرض ليزري، لم يسبق لي أن رأيت واحداً من قبل، بالطبع باستثناء نحو خمسة ملايين حفل موسيقا روك».

- «أخبريني ماذا ترين!»

- «مجرد صفيحة مسطحة! أيها الطائر الغبي».

- «لا يوجد شيء ليس موجوداً من قبل. أنا أستخدم الضوء لأجذب انتباهك إلى قطرات محددة في لحظات محددة. الآن ماذا ترين؟»

انطفأ الضوء.

- «لا شيء».

- «أنا أقوم بالشيء نفسه بالضبط، لكن باستخدام ضوء فوق بنفسجي، لا تستطيعين رؤيته».

- «إذاً ما الفكرة من أن تعرض لي شيئاً لا يمكنني رؤيته؟»

- «كي تفهمي أنه لا يمكنك القول إن شيئاً ما موجود لأنك ترينه فقط. وإن كنت لا ترينه، فلا يعني ذلك أنه غير موجود، الأمر متعلق فقط بما تلتقطه حواسك».

قالت راندوم: «مللت هذا». ثم لهثت.

كانت في الهواء صورة ثلاثية الأبعاد عملاقة وواضحة جداً لأبيها يبدو مرتاعاً من شيء ما.

خلف راندوم بنحو الميلين، كان والدها يشق طريقه عبر الغابة وتوقف فجأة. لقد ارتاع من رؤية صورة لنفسه يبدو فيها مرتاعاً من أمر ما معلقة ساطعة في الهواء الممتلئ بالأمطار على بعد ميلين. على بعد ميلين تقريباً، وإلى اليمين قليلاً من الاتجاه الذي كان ذاهباً فيه.

يكاد يكون تائهاً تماماً، مقتنعاً بأنه سيموت من البرد والبلل والتعب، وبدأ يتمنى أن يتمكن من متابعة الأمر. لقد جلب له سنجاب مجلة غولف كاملة، أيضاً، وبدأ دماغه يولول ويبربر.

إنما، بالنظر إلى كل المعطيات كانت رؤية صورة عملاقة ساطعة لنفسه في السماء دليلاً على أنه محق في أن يولول ويبربر، لكنه كان مخطئاً فيما يتعلق بالاتجاه الذي كان ذاهباً فيه.

مع أخذ نفس عميق، استدار وانطلق نحو العرض الضوئي الغريب.

سألت راندوم: «حسناً، ما الذي يثبته ذلك؟» ما أراعها كان حقيقة أن الصورة كانت لوالدها، أكثر من عملية ظهور الصورة بحد ذاتها. لقد شاهدت أول صورة مجسمة عندما كان عمرها شهرين ولقد وُضعت فيها لتلعب. وشاهدت آخر صورة منذ نصف ساعة تعزف مسير حارس النجوم أنجاكانتين.

قال الطائر: «ثبت فقط أنها لم تعد هناك، أو ليست موجودة أكثر من الصفيحة، إنه تفاعل الماء من الهابط من السماء باتجاه واحد، مع ضوء بترددات يمكن لحواسك التقاطها يتحرك باتجاه آخر. إنه يشكل صورة تبدو واضحة في عقلك. لكن ذلك كله مجرد صور في الخليط. هذه صورة أخرى لك».

قالت راندوم: «أمي!»

قال الطائر: «لا».

- «أعرف أمي عندما أراها!»

كانت الصورة لامرأة تخرج من مركبة فضائية داخل مبنى ضخم يشبه حظيرة الطائرات. كانت تواكبها مجموعة من المخلوقات الطويلة، النحيلة ذات اللون الأخضر-الأرجواني. كانت أم راندوم بلا شك. حسناً، بلا شك تقريباً. لم تكن تريليان لتمشي وهي بهذه الحيرة في حقل جاذبية منخفض، أو تنظر حولها على بيئة دعم للحياة قديمة ومملة ونظرة عدم التصديق هذه على وجهها، أو تحمل كاميرا غريبة وقديمة.

سألت راندوم: «من هذه إذاً؟»

قال الطائر الدليل: «إنها جزء من امتداد أمك على محور الاحتمالية».

- «ليس لدي أدنى فكرة عما تقصده».

- «كل من الزمان والمكان والاحتمالية لديه محاور، ومن الممكن التحرك معها».

- «لا أزال لا أدري. على الرغم من أنني أظن... لا. اشرح».

- «ظننت أنك تريدين الذهاب إلى المنزل».

- «اشرح!»

- «هل تودين رؤية وطنك؟»

- «رؤيته؟ لقد دمر!»

- «إنه منقطع على طول محور الاحتمالية. انظري!»

شيء غريب جداً ورائع كان يسبح في الصورة في المطر. كانت كرة عملاقة، مزرقة ومخضرّة، ضبابية ومغطاة بالغيوم، تدور ببطء فخم على خلفية سوداء ممتلئة بالنجوم.

قال الطائر: «الآن ترينها، والآن لا ترينها».

على بعد أقل من ميلين، وقف آرثر بثبات في مسلكه. لم يستطع تصديق ما يراه، معلقاً هناك، محاطاً بالمطر، لكنه رائع وحقيقي على نحو واضح أمام سماء الليل، إنها الأرض. لهث لمرآها، ثم وباللحظة التي لهث بها، اختفت مجدداً. ثم ظهرت مجدداً، ثم، وكان هذا هو الجزء الذي جعله يستسلم ويضع قشاً في شعره، تحولت إلى نقانق.

كانت راندوم مذهولة أيضاً من منظر قطعة النقانق الضخمة، الزرقاء والخضراء والضبابية والمشبعة بالماء المعلقة فوقها. وتحولت الآن إلى سلسلة من قطع النقانق، أو بالأحرى، سلسلة من قطع النقانق التي تحتوي على الكثير

من النقانق المفقودة. استدارت السلسلة الرائعة ودارت في رقصة مربكة في الهواء ومن ثم تباطأت، ضعفت، ثم تلاشت في ظلمة الليل المتلألئة.

سألت راندوم بصوت رقيق: «ما كان ذلك؟»

- «لمحة على طول محور الاحتمالية لجسم محتمل ومنقطع».

- «فهمت».

- «معظم الأجسام تتشوه وتتغير على طول محور الاحتمالية، لكن كوكبك الأصلي يقوم بشيء مختلف قليلاً. إنه موجود على ما يمكنك تسميته خط الخطأ في مشهد الاحتمالية وهذا يعني أنه على الكثير من إحداثيات الاحتمالية، انقرض معظمه ببساطة. لديه عدم استقرار متأصل، وهو شيء أنموذجي لأي شيء يقع ضمن ما نعرّفه عادة بقطاعات بلورال. هل هذا منطقي»

- «لا».

- «هل تريدين الذهاب لتري بنفسك؟»

- «إلى... الأرض؟»

- «نعم».

- «هل ذلك ممكن؟»

لم يجب الطائر الدليل من فوره، فرد جناحيه، وبأناقة سهلة، صعد في الهواء وطار خارجاً إلى المطر، الذي بدأ هطوله يخف من جديد.

ارتفع بنشوة في سماء الليل، أومضت الأضواء حوله، تلبّكت الأبعاد في إثر ذلك. انقض ودار وعاد ودار مجدداً وعاد في النهاية ليستريح على بعد قدمين من أمام وجه راندوم، وجناحاه يخفقان ببطء وصمت.

تكلم الطائر مع راندوم مجدداً.

- «كونكم واسع بالنسبة إليكم. متسع بالوقت، متسع بالمكان. وذلك بسبب الفلاتر التي تدركونه من خلالها. لكنه بُني من دون فلاتر على الإطلاق، ما يعني أنني أدرك الخليط الذي يحتوي على كل الأكوان الممكنة لكن التي ليس لها حجم على الإطلاق. بالنسبة إليّ، أي شيء ممكن. أنا كلّي المعرفة وكلّي القدرة، مغرور جداً، وأضف إلى ذلك، أنا آتٍ في عبوة ذاتية الحمل وسهلة الاستخدام. عليك أن تتوصلي إلى معرفة كم مما ذكر أعلاه صحيح».

ارتسمت ابتسامة بطيئة على وجه راندوم.

- «أيها اللعين الصغير، لقد كنت تزعجني!»

- «كما قلت، كل شيء ممكن».

ضحكت راندوم وقالت: «حسناً، لنحاول الذهاب إلى الأرض. لنذهب إلى الأرض في نقطة من»...

- «محور الاحتمالية؟»

- «نعم. حيث لم تكن قد فُجِّرت. حسناً، أنت الدليل، كيف نحصل على توصيلة؟»

- «هندسة عكسية».

- «ماذا؟»

«هندسة عكسية. مسار الوقت لا معنى له بالنسبة إليّ. أنت تقررين ما تريدين، وحينها أنا أتأكد فحسب من أنه حدث قبل الآن».

- «أنت تمزح».

- «أي شيء ممكن».

عبست راندوم وقالت: «أنت تمزح، ألست كذلك؟»

قال الطائر: «دعيني أفسر الأمر بطريقة أخرى. تمكننا الهندسة العكسية من اختصار كل أشكال انتظار واحدة من السفن القليلة جداً التي تعبر قطاعكم المجري كل سنة تقريباً لتقرر ما إذا كانت تحب أن تقلّكم. تريدون توصيلة، تأتي سفينة وتقلكم. قد يظن الطيار أن لديه أحد ملايين الأسباب لوقوفه والتقاطكم. لكن السبب الحقيقي هو أنني قررت أنه سيفعل ذلك».

- «وهذا أنت بغرورك الكبير أليس كذلك أيها الطائر الصغير؟»

كان الطائر صامتاً.

قالت راندوم: «حسناً، أريد سفينة لتأخذني إلى الأرض».

- «هل هذه جيدة؟»

كانت صامته إلى درجة أن راندوم لم تلاحظ السفينة الهابطة حتى أصبحت فوقها تقريباً.

انتبه إليها آرثر. كان على بعد ميل ويقترب. بعد أن انتهى عرض النقانق المضيئة، لاحظ الوميض الخافت لأضواء أبعد تهبط من الغيوم، وفي البداية، افترض أنها قطعة أخرى من الصوت والضوء المبهرج.

استغرقه الأمر بضع لحظات ليخطر له أنها سفينة فضائية حقيقية، وبضع لحظات أخرى ليدرك أنها تهبط مباشرة حيث افترض أن ابنته موجودة. عندئذ، بوجود المطر من عدمه، بوجود إصابة في ساقه من عدمها، بوجود الظلام من عدمه، بدأ فجأة يركض بجد.

سقط من فوره تقريباً، وانزلق وأذى ركبته كثيراً على صخرة. زحف حتى وقف على قدميه وحاول مجدداً. كان لديه إحساس مميت ورهيب بأنه يوشك أن يخسر راندوم إلى الأبد. ركض وهو يعرج ويلعن، لم يعلم ما الذي كان في الصندوق، لكن الاسم الذي عليه كان فورد بريفيكت، وهذا هو الاسم الذي لعنه وهو يركض.

كانت السفينة إحدى أكثر السفن التي رأتها راندوم إثارة.

كانت مذهلة. فضية، ملساء، لا توصف.

لو لم تكن تعلم لقالت إنها سفينة آر دبليو ٦. إنها، مع استقرارها بصمت إلى جانب راندوم أدركت الأخيرة أنها في الواقع آر دبليو ٦ وكادت لا تستطيع التنفس من الإثارة. إن الآر دبليو ٦ هي من الأشياء التي تراها فقط في المجلات التي صُمِّمت لتثير الاضطرابات المدنية.

كانت تشعر بعصبية شديدة، كانت طريقة وتوقيت وصول السفينة مقلقة كثيراً، إما أنها أغرب مصادفة وإما أن شيئاً غريباً ومزعجاً جداً كان يحدث. انتظرت بوابة السفينة لتفتح ببعض التوتر، كان دليلها، إذ إنها عدّته خاصتها الآن، يحوم بخفة فوق كتفها الأيمن، وببطء كانت أجنحته ترفرف.

فُتحت البوابة، وتسلل بعض الضوء الخافت فقط. مرت لحظة أو اثنتان وظهر جسم، وقف ثابتاً لبضع لحظات، فمن الواضح أنه كان يحاول أن يعوّد عينيه على الظلمة. ثم رأى راندوم تقف هناك، وبدا مدهوشاً بعض الشيء. بدأ يمشي باتجاهها. ثم فجأة صاح بدهشة وبدأ يركض إليها.

لم تكن راندوم شخصاً طيباً لتركض إليه في ليلة مظلمة وهي تشعر بالتوتر. كانت على نحو غير واع تلامس الحجر الذي في جيبها منذ اللحظة التي رأت فيها المركبة تهبط.

بينما كان لا يزال يركض، ينزلق، يندفع ويصطدم بالأشجار، رأى آرثر في النهاية أنه كان متأخراً كثيراً. لقد مضت ثلاث دقائق على هبوط السفينة على الأرض، والآن، بصمت، وكياسة كانت ترتفع فوق الأشجار مجدداً، تدور بهدوء في نقاط المطر الدقيقة التي خمدت لأجلها العاصفة، صعدت، صعدت، مالت إلى الأعلى، وفجأة اندفعت عبر الغيوم بسهولة.

ذهبت، كانت راندوم داخلها، من المستحيل لآرثر أن يعرف هذا، لكنه ذهب إلى هناك وعرف في أي حال، لقد ذهبت. لقد كانت لديه مهمة أن يكون والداً ولم يستطع تصديق كم كان أداؤه سيئاً. حاول متابعة الركض، لكن قدميه كانتا مشدودتين، ركبته تؤلمه بضراوة وعلم أنه تأخر كثيراً.

لم يستطع التصور أن بإمكانه الشعور بالبؤس والخوف أكثر من ذلك، لكنه كان مخطئاً.

عرج في النهاية إلى الكهف حيث كانت راندوم تحتمي، وحيث فتحت الصندوق. كانت الأرض تحتوي علامات سفينة فضائية حطت هناك منذ دقائق معدودة، لكن لم يكن هناك أثر لراندوم. جال في الكهف على نحو تعس، ووجد الصندوق الفارغ وأكواماً من حبيبات المادة المفقودة مبعثرة في أرجاء المكان. شعر ببعض الغضب حيال ذلك. لقد حاول تعليمها أن تنظف وراءها. هذا الشعور بالغضب منها حيال أمر كذلك ساعده في الشعور بأنه أقل وحدة حيال مغادرتها. كان يعرف أن ليس لديه وسيلة لإيجادها.

ارتطمت قدمه بشيء غير متوقع، فانحنى إلى الأسفل ليلتقطه، وكان مدهوشاً تماماً حين عرف ما كان ذلك الشيء. كان دليل المسافر إلى المجرة القديم خاصته. كيف وصل ذلك إلى الكهف؟ لم يعد هو قط لالتقاطه من

موقع التحطم. لم يكن يرد أن يزور الحطام مجدداً، ولم يرد الدليل. ظنّ أنه هنا على كوكب لاميولا يصنع الشطائر إلى الأبد. كيف وصل الدليل إلى الكهف؟ كان يعمل. أضاءت الكلمات على الغلاف في وجهه بعبارة لا ترتعب.

خرج من الكهف مجداً إلى ضوء القمر الخافت والكئيب. جلس على صخرة ليتفحص الدليل القديم، ثم اكتشف أنها لم تكن صخرة، كانت شخصاً.

الفصل الثامن عشر

انتصب آرثر على قدميه مذعوراً. من الصعب معرفة الشيء الذي أخافه أكثر: أن يكون قد آذى الشخص الذي جلس عليه لا شعورياً، أو أن يؤذيه الشخص الذي جلس عليه لا شعورياً.

بالتدقيق يتبين عدم وجود سبب مباشر للقلق فيما يخص الفقرة الثانية. فالشخص الذي جلس عليه، أيّا يكن، فاقد الوعي. وذلك يسهّل الطريق كثيراً في تفسير ما كان يفعله وهو ممدد هناك. ومع ذلك بدا أنه يتنفس على نحو مقبول. تحسس آرثر نبضه، فكان مقبولاً أيضاً.

كان مستلقياً على جانبه بنصف انثناء. طال الوقت وبعدت المسافة على آخر مرة قام فيها آرثر بالإسعاف الأولي بحيث إنه لا يذكر حقاً ما ينبغي له أن يفعل. تذكر أن أول ما عليه فعله هو أن تكون لديه أدوات إسعافات أولية لهذا الشخص، اللعنة.

هل عليه أن يقلبه على ظهره أو لا؟ ماذا لو كانت لديه عظام مكسورة؟ ماذا لو ابتلع لسانه؟ ماذا لو رفع عليه دعوى؟ بغض النظر عن كل شيء، من هو؟

في تلك اللحظة تأوّه الرجل الغائب عن الوعي بصوت مرتفع وقلب نفسه على ظهره.

تساءل آرثر إن كان عليه...

نظر إليه.

نظر إليه مجدداً.

نظر إليه مجدداً ليكون متأكداً تماماً فحسب.

مع أنه كان يعتقد أنه يشعر بكآبة لا مثيل لها، فقد شعر بقلق رهيب.

تأوه الشخص مجدداً وفتح عينيه ببطء. استلزمه بعض الوقت ليركّز، ثم طرفت عيناه وتصلّب.

قال فورد بريفيكت: «أنت!»

قال آرثر دينت: «أنت!»

تأوه فورد من جديد.

قال: «ما الذي تريد تفسيره هذه المرة؟» ثم أغمض عينيه قانطاً.

بعد خمس دقائق كان يجلس ويفرك الجانب ذا التورم الكبير في رأسه.

قال: «من تلك المرأة بحق الجحيم؟ لماذا نحن محاطان بالسناجب، وماذا تريد؟»

قال آرثر: «لقد ضايقتني السناجب طوال الليل، إنها لا تنفك تحاول إعطائي مجلات وأغراضاً».

عبس فورد وقال: «حقاً؟»

- «وقطع من الخرق البالية».

فكّر فورد وقال: «آه، هل نحن بالقرب من مكان تحطم سفينتك؟»

قال آرثر ببعض التوتر: «نعم».

-«هذا هو السبب في الأغلب. يحدث ذلك، تدمر روبوتات قمرة السفينة، وتنجو العقول الآلية التي تتحكم بها وتبدأ بنشر العدوى في الحياة البرية المجاورة. يمكنها أن تحيل نظاماً بيئياً كاملاً إلى شكل بائس من الخدمات المتأزّمة، يقدّم مناشف حارة ومشروبات لعابري السبيل. يجب أن يوجد قانون لمكافحتها. ويوجد في الأغلب، كما يوجد في الأغلب قانون ضد أن يكون هناك قانون لمكافحتها فيكون الجميع سعداء ومبتهجين. ماذا قلت؟»

- «قلت إن المرأة هي ابنتي».

توقف فورد عن فرك رأسه.

- «قل ذلك مجدداً».

قال آرثر بغضب: «قلت إن المرأة هي ابنتي».

قال فورد: «لم أعلم أن لديك ابنة».

قال آرثر: «حسناً، قد يوجد الكثير مما لا تعرفه عني، وعلى ذكر ذلك، قد يوجد الكثير مما لا أعرفه عن نفسي أيضاً».

- «حسناً، حسناً، حسناً، متى حدث هذا إذاً؟»

- «لست متأكداً تماماً».

- «لا يبدو ذلك غريباً عنك، هل توجد أم معينة؟»

- «تريليان».

- «تريليان؟ لم أعتقد أن»...

- «لا. اسمع، إن الأمر محرج قليلاً».

- «أذكر أنها قالت لي مرة إنها أنجبت طفلاً، لكن على نحو مقتضب نوعاً ما. أنا أتواصل معها من حين إلى آخر. لم أرها مع الطفل».

لم يقل آرثر شيئاً.

بدأ فورد يتلمّس جانب رأسه مجدداً ببعض الحيرة.

قال: «هل أنت متأكد أن هذه ابنتك؟»

- «أخبرني بالذي حدث».

- «آه، إنها قصة طويلة، كنت آت لآخذ الطرد الذي أرسلته لنفسي إلى عنوانك هنا»...

- «حسناً، ما قصة ذلك؟»

- «أظن أنه قد يكون شيئاً خطراً على نحو يفوق الوصف».

قال آرثر غاضباً: «وأرسلته إليّ؟»

- «إنه أكثر مكان آمن أعرفه. أعتقد أن بإمكاني الاعتماد عليك بأن تكون مملاً على نحو مطلق ولا تفتحه. في أي حال، بسبب مجيئي في الليل لم أتمكن من إيجاد مكان القرية. كنت أسير بمعلومات أساسية، ولم أتمكن من إيجاد أي إشارة من أي نوع. أظن أنه ليس لديكم إشارات وأشياء من هذا القبيل هنا».

- «هذا ما أحبه في المكان».

- «ثم التقطت إشارة ضعيفة من نسختك القديمة من الدليل، فاتجهت نحوه، ظاناً بأنه سيوصلني إليك. اكتشفت أنني هبطت في غابة من نوع ما. لم أتمكن من فهم ما يجري، خرجت، ثم رأيت هذه المرأة تقف هناك، توجهت لإلقاء التحية، ثم فجأة رأيت أن بحوزتها ذاك الشيء!»

- «أي شيء؟»

- «الشيء الذي أرسلته إليك! الدليل الجديد! الشيء الذي يشبه الطائر! كان عليك أن تحتفظ به في مكان آمن أيها الأحمق، لكن الشيء كان بحوزة تلك المرأة إلى جانب كتفها. ركضت إلى الأمام وضربتني بحجر».

قال آرثر: «فهمت، ما الذي فعلته؟»

- «حسناً، لقد سقطت بالطبع، تأذيت بشكل كبير. غادرت هي والطائر بسرعة نحو سفينتي، وحينما أقول سفينتي، أقصد سفينة آر دبليو ٦».

«ماذا؟»

«سفينة آر دبليو ٦ بحق زارك. لقد حصلت على هذه العلاقة الرائعة ما بين بطاقتي الائتمانية وحاسوب الدليل المركزي. لن تصدّق تلك السفينة، آرثر، إنها»...

«إذاً آر دبليو ٦ هي سفينة فضائية؟»

«نعم! إنها... آه لا عليك. اسمع، هلّا حاولت أن تتماسك وتفهم يا آرثر؟ أو احصل على دليل. في هذه المرحلة كنت قلقاً، ومصاباً بنصف ارتجاج في الدماغ كما أظن. نزلت على ركبتي وكنت أنزف بغزارة، لذا قمت بالشيء الوحيد الذي استطعت التفكير فيه، وهو أن أستجدي، قلت رجاءً،

كرامة لزارك لا تأخذي سفينتي، ولا تتركيني محجوزاً في غابة بدائية لعينة بإصابة في الرأس ومن دون مساعدة طبية. يمكن أن أقع في مشكلة عويصة، ويمكن أن تقع هي أيضاً».

- «ما الذي قالته؟»

- «ضربتني على رأسي بالحجر مجدداً».

- «أظنني أستطيع التأكيد بأن تلك كانت ابنتي».

«طفلة لطيفة».

قال آرثر: «عليك أن تتعرف إليها».

- «تتصرف بعقلانية أكبر، أليس كذلك؟»

قال آرثر: «لا، لكن تتحسن قدرتك على معرفة متى تخفض رأسك».

أمسك فورد برأسه وحاول أن ينظر على نحو مستقيم.

كانت السماء قد بدأت تضيء في الغرب، حيث تشرق الشمس، ولم يرد آرثر بالتحديد أن يراها، فآخر ما أراد رؤيته بعد ليلة جهنمية كهذه هو مجيء يوم لعين ليقتحم المكان.

سأل فورد: «ما الذي تفعله في مكان كهذا يا آرثر؟»

قال آرثر: «حسناً، أصنع الشطائر في العموم».

- «ماذا؟»

- «أنا أكون، في الأرجح كنت، صانع الشطائر لقبيلة صغيرة، كان الوضع محرجاً قليلاً. عندما وصلت، كان ذلك عندما أنقذوني من حطام هذه السفينة الفضائية ذات التكنولوجيا الخارقة التي تحطمت على كوكبهم،

كانوا لطفاء جداً معي وظننت بأن علي أن أساعدهم قليلاً. فأنا فتى متعلم كما تعلم من حضارة عالية التكنولوجيا، وكان بإمكاني أن أعلمهم بعض الأشياء. إنما، بالطبع لم أستطع. لم تكن لدي أدنى فكرة عندما يتعلق الأمر بكيفية عمل أي شيء. لا أقصد مسجلات الفيديو، لا أحد يعلم كيفية عمل هذه الآلات. أقصد شيئاً كالقلم أو بئر ارتوازية أو شيئاً ما، وليس الأكثر غموضاً. إنما لم أستطع المساعدة إطلاقاً. في أحد الأيام اكتأبت وصنعت لنفسي شطيرة، وذلك ما أثار اهتمامهم فجأة، فلم يسبق أن رأوا واحدة من قبل. كانت مجرد فكرة لم تخطر في بالهم، واتُّفق لي أن أحب صنع الشطائر، فتطور الأمر منذ تلك اللحظة».

- «واستمتعت بذلك؟»

- «نعم، أعتقد أني فعلت نوعاً ما، حقاً. كما تعلم، الحصول على مجموعة سكاكين جيدة، وإلى ما هنالك».

- «ألم تجد الأمر مملاً وقاسياً جداً على نحو يزدريه العقل، في سبيل المثال؟»

- «حسناً، إيـ، لا. ليس إلى هذا الحد، ليس قاسياً».

- «غريب. كنت سأجده كذلك».

- «حسناً، أفترض أننا مختلفان في وجهات النظر».

- «نعم».

- «مثل طيور البيكا».

لم يكن لدى فورد أدنى فكرة عما يتكلم عنه آرثر، وليس ممكناً أن يزعج نفسه بالسؤال، بل قال بدلاً من ذلك: «إذاً، كيف نخرج من هذا المكان بحق الجحيم؟»

- «حسناً، أظن أن أسهل طريق من هنا هو اتّباع الطريق إلى أسفل الوادي إلى السهول، قد يستغرق ساعة، ومن ثم المشي من هناك. لا أظنني أستطيع تقبّل فكرة العودة من حيث جئت».

- «المشي إلى أين من هناك؟»

- «حسناً، بطريق العودة إلى القرية. كما أعتقد». وتنهد آرثر بصورة بائسة.

قاطعه فورد: «لا أريد الذهاب إلى أي قرية لعينة!»

- «علينا أن نخرج من هنا!»

- «أين؟ كيف؟»

- «لا أعرف، أخبرني أنت. أنت تعيش هنا! لا بد من وجود وسيلة للخروج من هذا الكوكب».

- «لا أعلم، ما الذي تفعله عادة؟ تجلس وتنتظر مركبة فضائية لتمر، كما أعتقد».

- «آه حقاً؟ وكم مركبة فضائية زارت هذا المكان القذر المهجور مؤخراً؟»

- «حسناً، منذ سنوات عدة أتت سفينتي التي تحطمت هنا عن طريق الخطأ. ثم أتت، إيـ، تريليان، ثم إيصال الطرد، والآن أنت، و»...

- «نعم، لكن بمعزل عن المشتبه فيهم المعروفين؟»

- «حسناً، لا أحد تقريباً، حسب علمي، إن المكان هادئ هنا».

وكأن المقصود دحض كلامه، فارتفع صوت الرعد من مسافة قريبة طويلاً.

قفز فورد على قدميه مضطرباً وراح يخطو جيئة وذهاباً في ضوء الفجر الباكر الضعيف والمزعج الذي خطّ السماء وكأن أحدهم جرّ قطعاً من الكبد عبرها.

قال: «أنت لا تدرك مدى أهمية هذا».

- «ماذا؟ أتقصد وجود ابنتي وحيدة في المجرة؟ هل تظن أنني لا»...

قال فورد: «هل يمكننا التأسف على المجرة لاحقاً؟ هذا خطر جداً جداً بالطبع. لقد سيطروا على الدليل. لقد اشتروه من الإدارة القديمة».

قفز آرثر وصاح: «آه خطر جداً، أخبرني بالمزيد على الفور عن سياسات النشر للشركات! لا يمكنني إخبارك كم كنت أفكر في الأمر مؤخراً!»

- «أنت لا تفهم! هنالك دليل جديد بالكامل!»

صاح آرثر مجدداً: «أوه! أوه! أوه! أوه! أنا مشوّش من الإثارة! أكاد لا أستطيع انتظاره ليصدر كي أعرف أيّاً هي القواعد الفضائية الأكثر إثارة لأمضي وقتي فيها بملل في قطاع كروي لم أسمع به من قبل. أرجوك، هل يمكننا الإسراع إلى المتجر الذي يبيع الدليل في هذه اللحظة؟»

ضيّق فورد عينيه.

- «هذا هو الشيء الذي تدعوه سخرية، أليس كذلك؟»

جأر آرثر: «أتعلم ماذا؟ أظنه هو. أظن حقاً أنه قد يكون شيئاً جنونياً صغيراً يدعى سخرية يقطر من حواف طريقتي في الكلام! فورد، لقد أمضيت ليلة لعينة سيئة! هلا حاولت من فضلك أن تأخذ ذلك في الحسبان في حين تقرر الأجزاء المذهلة من التفاهات البلغمية المزعجة التي ستهاجمني بها لاحقاً؟»

قال فورد: «حاول أن ترتاح، أحتاج إلى التفكير».

- «لماذا تحتاج إلى التفكير؟ ألا يمكننا الجلوس والتحدث لوهلة؟ ألا يمكن للعابنا أن يسيل بدماثة وأن نتكاسل قليلاً ونتكئ إلى اليسار لبضع دقائق؟ لا أستطيع تحمل ذلك يا فورد! لا أستطيع تحمل كل هذا التفكير ومحاولة فهم الأمور إطلاقاً. قد تظن أنني أقف هنا وأصيح فحسب»...

- «في الواقع لم يخطر لي ذلك».

- «...لكن أنا أقصد ما أقول! ما هو القصد؟ نحن نفترض أننا نعرف التبعات في كل مرة نقوم بفعل شيء، أو ما أردنا لهذه التبعات أن تكون على نحو أو آخر. هذا ليس فقط غير صحيح دائماً، بل هو خطأ كبير وجنوني وغبي!»

- «وهذا هو قصدي بالضبط».

قال آرثر وهو يجلس مجدداً: «شكراً لك. ماذا؟»

- «الهندسة العكسية المؤقتة».

وضع آرثر رأسه بين راحتي كفيه وهزّه برفق من جهة إلى أخرى.

ناح آرثر قائلاً: «هل توجد أي طريقة إنسانية يمكنني أن أمنعك بها من إخباري بماهية الملعنة العكسية المؤقتة؟»

قال فورد: «لا، لأن ابنتك عالقة في منتصفها وهي خطرة على نحو مفرط جداً جداً».

ارتفع صوت الرعد في أثناء توقفهما عن الكلام.

قال آرثر: «حسناً، أخبرني».

- «قفزت من نافذة مكتب في مبنى كثير الطبقات».

أبهج هذا آرثر وقال: «أوه! لم لا تفعلها مجدداً؟»

- «فعلتها».

قال آرثر وقد خاب أمله: «من الواضح أنه لا نفع فيها».

- «في المرة الأولى تمكنت من إنقاذ نفسي بأفكاري السريعة، وأقول ذلك بكل تواضع، المذهلة، الخرافية والمبدعة، وبديهتي الحاضرة، وبحركة فاخرة من قدمي وتضحيتي بنفسي».

- «ما كانت تضحيتك بنفسك؟»

- «رميت نصف زوج من الأحذية التي أحبها جداً والفريدة في نوعها».

- «ولم ذلك تضحية بالنفس؟»

قال فورد بغضب: «لأن الحذاء كان لي!»

- «أظن أن لدينا أنظمة تقييم مختلفة».

- «نظامي أفضل».

- «هذا بحسب... آه، لا عليك. إذاً بعد أن أنقذت نفسك بذكاء أول مرة، ذهبت وقفزت مجدداً بكل وعي. أرجوك لا تخبرني لماذا. فقط أخبرني ماذا حدث إن أردت».

- «سقطت مباشرة في قمرة سيارة ليموزين نفاثة عابرة كان سائقها قد ضغط عن طريق الخطأ زر القذف في حين أنه كان يريد فقط أن يغير الأغنية في الستيريو. فيما يخص ذلك، حتى أنا لم أستطع الاعتقاد بأن ذلك كان تحديداً ذكاءً مني».

قال آرثر بضجر: «أوه، لا أعلم، أتوقع أنك تسللت إلى سيارته النفاثة في الليلة الفائتة ووضعت الأغنية التي لا يحبها السائق على وضع التشغيل أو شيء من ذلك».

قال فورد: «لا لم أفعل».

- «كنت أتأكد فحسب».

- «لكن الغريب في الأمر أن شخصاً ما فعل ذلك. وهذا جوهر الموضوع. بإمكانك تعقب سلسلة وتفرعات الأحداث المصيرية والمصادفات على نحو مترابط منطقياً. اتضح أن الدليل الجديد قد فعلها. ذلك الطائر».

- «أي طائر؟»

- «ألم تره؟»

- «لا».

- «آه، إنه شيء فتاك صغير، يبدو جميلاً، فصيحاً، يدمّر أشكالاً موجيّة انتقائياً بمحض إرادته».

- «ما الذي يعنيه ذلك؟»

- «الهندسة العكسية المؤقتة».

قال آرثر: «أوه، آه نعم».

- «السؤال هو، من أجل من يفعل ذلك؟»

قال آرثر وهو يمد يده في جيبه: «لدي في الواقع شطيرة في جيبي، هل تريد قطعة؟»

- «نعم، موافق».

- «أخشى أنها مبللة ومسحوقة قليلاً».

- «لا تهتم».

مضغا لوهلة.

قال فورد: «إنها جيدة في الواقع، ما نوع اللحم الموجود فيها؟»

- «وحش عادي جداً».

«لم أسمع به». ثم تابع فورد: «إذاً، لأجل من يفعل الطائر ذلك؟ ما هي الحبكة الحقيقية هنا؟»

تابع آرثر تناول الشطيرة متلذذاً.

تابع فورد: «لما وجدت الطائر، وهو ما حصل نتيجة لسلسلة من المصادفات المثيرة للاهتمام بحد ذاتها، صنع أحد أروع العروض متعددة الأبعاد للألعاب النارية التي رأيتها في حياتي. ثم قال إنه سيضع خدماته تحت تصرفي في كوني. قلت شكراً، لكن لا شكراً. قال إنه سيفعل ذلك في أي حال سواء أعجبني ذلك أم لا. قلت جرب ذلك، قال إنه سيجرب، وبالتأكيد هذا ما فعله. قلت سنرى، وقال إننا سنرى. عند ذلك قررت أن أغلّف ذلك الشيء وأخرجه من هناك، لذا أرسلته إليك ليكون بأمان».

- «آه حقاً؟ أمان من؟»

- «دعك من ذلك. عندئذ، بسبب شيء وآخر، اعتقدت أن من الحكمة القفز من النافذة مجدداً، كونه لم يكن لدي خيارات في ذلك الوقت.

لحسن حظي كانت السيارة النفاثة موجودة وإلا كنت سأقع في الحاجة إلى التفكير السريع البارع، البديهة، ربما إلى حذاء آخر أو، في حال فشلت في كل ذلك، على الأرض. لكن ذلك عنى أن الدليل يعمل لأجلي، أحببت ذلك أم لا، وذلك كان مقلقاً للغاية».

- «لم؟»

- «لأنك إن حصلت على الدليل تظن أنك الشخص الذي يعمل لأجله. منذ ذلك الحين فصاعداً كان كل شيء يجري بلطف ويسر لي، حتى وصلت إلى تلك اللحظة التي واجهت فيها تلك الفتاة ذات الحجر، حينها أصبحت تاريخاً، خرجت من الحلقة».

- «هل تشير في كلامك إلى ابنتي».

- «بأقصى ما أستطيع من تهذيب. إنها التالية في السلسلة التي ستظن أن كل شيء يجري على نحو خرافي لمصلحتها. يمكنها أن تضرب أي شخص تريد على رأسه من الخلف بأجزاء من المنظر الطبيعي، وسيجري كل شيء لأجلها حتى تتم الشيء الذي يُفترض بها أن تتمه، وحينها سينتهي دورها أيضاً. إنها الهندسة العكسية المؤقتة، ومن الواضح أن أحداً لا يفهم ما الذي أُطلِق».

- «مثلي في سبيل المثال».

- «ماذا؟ آه، استيقظ يا آرثر. اسمع، دعني أحاول مجدداً. خرج الدليل الجديد من مختبر أبحاث. استخدم هذه التكنولوجيا الجديدة المتعلقة بالإدراك غير المفلتر. هل تعرف ما يعنيه ذلك؟»

- «اسمع، كنت أصنع الشطائر بحقّ بوب!»

- «من هو بوب؟»

- «لا عليك، تابع».

- «الإدراك غير المفلتر يعني أنه يدرك كل شيء، فهمت ذلك؟ أنا لا أدرك كل شيء، أنت لا تدرك كل شيء، لدينا مصاف، الدليل الجديد ليس لديه مصاف للإحساسات. إنه يدرك كل شيء، لم تكن فكرة تكنولوجية معقدة، كانت قضية ترك جزء خارجاً. فهمت؟»

- «لم لا أقول إنني فهمت وحسب، وعندها تتابع أنت بغض النظر».

- «حسناً، لأن الطائر يستطيع إدراك كل كون محتمل فهو موجود في كل كون محتمل، موافق؟»

- «نـــعــــم»...

- «لذا ما يحدث هو أن الحمقى في قسمي التسويق والمحاسبة يقولون، أوه يبدو ذلك جيداً، ألا يعني ذلك أنه علينا أن نصنع واحداً فقط ثم نبيعه عدداً لا نهائي من المرات؟ لا تنظر إلي بهذه الطريقة يا آرثر، هكذا يفكر المحاسبون!»

- «ذلك شيء ذكي، أليس كذلك؟»

- «لا! إنه غبي على نحو رائع. اسمع، الآلة ليست سوى دليل صغير، فيها تكنولوجيا إلكترونية ذكية، لكن لأنها تملك إدراكاً غير مفلتر، فإن أصغر حركة تقوم بها لها قوة فيروس، يمكنها الانتشار في المكان، والزمان وملايين الأبعاد الأخرى. يمكن تركيز أي شيء في أي مكان من الأكوان التي نتحرك فيها أنا وأنت. قوتها متكررة. فكّر في برنامج حاسوب، في مكان ما يوجد مفتاح تعليمات، وكل شيء آخر عبارة عن وظائف

تستدعي نفسها، أو أقواس تتلاطم بشكل لا نهائي في فضاء عنوان لا نهائي. ماذا يحدث عندما تنهار الأقواس؟ أين تعليمة 'إنهاء الشرط' النهائية؟ هل لأي مما ذكرته معنى؟ آرثر؟»

- «آسف، لقد غفوت لوهلة، شيء يتعلق بالكون، صحيح؟»

قال فورد بضجر: «شيء يتعلق بالكون، صحيح». وجلس مجدداً.

قال: «حسناً، فكّر في هذه، هل تعلم من رأيت في مكاتب الدليل؟ ڤوغونيين. أرأيت، لقد قلت كلمة تفهمها في النهاية».

قفز آرثر على قدميه.

قال: «ذلك الضجيج».

- «أي ضجيج؟»

- «الرعد».

- «ماذا به؟»

- «إنه ليس رعداً، إنه الهجرة الربيعية للوحش العادي جداً. لقد بدأت».

- «ما هذه الحيوانات التي تتكلم عنها باستمرار؟»

- «أنا لا أتكلم عنها باستمرار، لقد وضعت فقط بعضاً منها في الشطائر».

- «لم تدعى الوحوش العادية جداً؟»

أخبره آرثر.

ليست كثيرة هي المرات التي كان فيها لآرثر متعة رؤية عيني فورد مفتوحتين بدهشة.

الفصل التاسع عشر

كان مشهداً لم يعتده آرثر جيداً، ولم يملّه. شق هو وفورد طريقهما بسرعة إلى جانب النهر الصغير الذي تدفق نازلاً على طول قاع الوادي، ولما وصلا في النهاية إلى طرف السهول تسلقا أغصان شجرة كبيرة ليحظيا بمنظر أفضل لواحد من أغرب وأروع المشاهد التي تقدمها المجرّة.

كان القطيع الهائل والصاخب للآلاف المؤلّفة من الوحوش العادية جداً يمتد بصف عظيم عبر سهل أنهوندو. في ضوء الصباح الباكر والباهت، مع انطلاق الحيوانات العظيمة عبر البخار الدقيق الصادر عن عرق أجسادها مختلطاً بالرذاذ المتوحل الذي حرّكته حوافرها الساحقة، بدا منظرها غير حقيقي بعض الشيء وشبحياً في أي حال، لكن الشيء الذي يحبس الأنفاس حيال هذه الحيوانات كان المكان الذي تأتي منه والمكان الذي تذهب إليه، الذي بدا ببساطة أنه غير موجود.

شكّلت الحيوانات مجموعة منطلقة، منظمة ومتسقة بعرض نحو مئة ياردة وبطول نصف ميل. لم تتحرك المجموعة، إلا أنها أظهرت انجرافاً طفيفاً تدريجياً نحو الجانبين وإلى الخلف لمدة ثمانية أو تسعة أيام كانت تظهر فيها عادة. إنما على الرغم من أن المجموعة بقيت على نحو أو آخر ثابتة، فإن الوحوش العظيمة التي كانت تتكون منها انطلقت بثبات بسرعة عشرين

ميلاً في الساعة، تظهر فجأة من العدم في أحد أطراف السهل، وتختفي على نحو مفاجئ في الطرف الآخر.

لم يعلم أحد من أين أتت، ولم يعلم أحد إلى أين تذهب. كانت مهمة جداً لحياة سكان لاميولا، بدا كأن أحداً لم يحب أن يسأل. قال ثراشبارغ العجوز في إحدى المناسبات إنك إن تلقيت الجواب في بعض الأحيان، فقد يُؤخذ السؤال. قال بعض القرويين سراً إن هذا كان الشيء الحكيم الوحيد الذي سمعوه من ثراشبارغ، وبعد جدال قصير حول المسألة، تركوها للمصادفة.

كان صوت سحق الحوافر قوياً جداً إلى درجة أنه كان من الصعب سماع أي شيء فوقه.

صاح آرثر: «ماذا قلت؟»

صاح فورد: «قلت إن هذا يبدو كدليل على الانزياح البعديّ».

صاح آرثر: «وما يكون ذلك؟»

- «حسناً، بدأ العديد من الناس يقلقون من أن الزمان والمكان تظهر فيهما علامات تصدع من كل ما يحدث فيهما. هناك العديد من الكواكب حيث يمكنك رؤية كيف تصدعت الكتل الأرضية وتحركت من المسالك غريبة الطول أو المتعرجة التي تسلكها الحيوانات المهاجرة. قد يكون ما نراه شيئاً من هذا القبيل. نحن نعيش في أوقات عصيبة، لكن في غياب قاعدة فضائية مقبولة»...

نظر إليه آرثر بطريقة باردة وقال: «ما الذي تقصده؟»

صاح فورد: «ما الذي تقصده بما الذي أقصده؟ أنت تعلم حق المعرفة ما أقصده. سنمتطي طريقنا إلى خارج هذا المكان».

- «هل تقترح بجد أن نحاول امتطاء وحش عادي جداً؟»

- «نعم، لنعرف إلى أين يذهب».

قال آرثر: «سنُقتل» ثم أضاف فجأة: «لا، لن نُقتل. في الأقل لن أُقتل. فورد، هل سمعت بكوكب اسمه ستاڤرومولا بيتا؟»

عبس فورد وقال: «لا أظن». أخرج نسخته القديمة المعفّرة من دليل المسافر إلى المجرة وشغلها قائلاً: «هل توجد تهجئة غريبة؟»

- «لا أعلم. لقد سمعت الاسم يقال فقط، وذلك عن طريق شخص ساخط وواسع التجربة. تذكر أنني أخبرتك عن أغراجاغ؟»

فكّر فورد لوهلة وقال: «أتقصد الرجل الذي كان مقتنعاً بأنك تتسبب بقتله مراراً وتكراراً؟»

- «نعم، أحد الأماكن التي يدّعي أنني تسببت بقتله فيه كان ستاڤرومولا بيتا. يبدو أن أحداً يحاول إطلاق النار علي، أخفض رأسي، فيتلقى أغراجاغ، أو في الأقل أحد تقمصاته، الضربة. يبدو أن ذلك حدث بالتأكيد في مرحلة ما من الزمن، لذا أفترض أنني لا يمكن أن أُقتل في الأقل قبل أن أخفض رأسي على ستاڤرومولا بيتا. إنما لم يسمع أحد به».

فكّر فورد وحاول بعمليات بحث عدة أخرى في دليل المسافر، لكن لم ينجح.

قال: «لا شيء». ثم ختم قائلاً: «كنت فقط... لا، لم أسمع به من قبل». لكنه تساءل لم كانت للاسم ذكرى خافتة.

قال آرثر: «حسناً، لقد رأيت الطريقة التي يوقع فيها صيادو كوكب لاميولا بالوحوش العادية جداً. إن طعنت واحداً منها ضمن القطيع فإنه سيداس، لذا عليهم أن يدفعوها للخروج واحداً في كل مرة للقتل. إن الأمر يشبه طريقة عمل مصارع الثيران، كما تعلم، مع الغطاء الملون بألوان زاهية. تجعل واحداً من الوحوش ينطلق باتجاهك ومن ثم تتنحى جانباً وتنفذ أرجحة أنيقة مع الغطاء. هل معك شيء يشبه الغطاء الملون بألوان زاهية؟»

قال فورد وهو يعطيه منشفته: «هل تصلح هذه؟»

الفصل العشرون

ليس سهلاً كما يبدو للوهلة الأولى القفز على ظهر وحش عادي جداً يزن طنّاً ونصفاً وهو يهاجر عبر كوكبك بسرعة هائلة تصل إلى ثلاثين ميلاً في الساعة. بالطبع ليس سهلاً كما جعله الصيادون اللاميوليون يبدو، وكان آرثر دينت مستعداً ليكتشف أن هذا قد يصبح الجزء الصعب.

أما ما لم يكن مستعداً لاكتشافه هو مدى صعوبة الوصول حتى إلى الجزء الصعب. إنه الجزء الذي كان من المفترض أن يكون الجزء السهل الذي اتضح أنه مستحيل تقريباً.

لم يتمكنا حتى من جذب انتباه حيوان واحد. كانت الوحوش العادية جداً مصممة جداً على إظهار هدير جيد من حوافرها، رؤوسها إلى الأسفل، وأكتافها إلى الخلف، أرجلها الخلفية تضرب الأرض وتحولها إلى عصيدة بحيث تتطلب مقاطعة هذه الحيوانات شيئاً جيولوجياً وليس مجفلاً فحسب.

في النهاية، كانت مجرد كمية الهدير والضرب أكثر مما في وسع آرثر وفورد أن يتحملا. بعد أن أمضيا ساعتين تقريباً في الوثب والقيام بأشياء متزايدة الحماقة بوساطة منشفة حمام متوسطة الحجم عليها نقوش زهرية، لم يتمكنا من جعل أي من الوحوش العظيمة، التي تمر بهما وهي تهدر وتضرب الأرض، ينظر باتجاههما عرضياً.

كانا على بعد ثلاث أقدام من تيار الأجساد المتعرّقة الأفقي. الاقتراب أكثر من ذلك يعني المخاطرة بموت مفاجئ، بترتيب زمني أو من دونه. لقد رأى آرثر ما بقي من أي وحش عادي جداً، الذي، نتيجة لرمية رمح خرقاء من صياد لاميولي شاب وغر، طُعِنَ بينما كان لا يزال يهدر ويضرب الأرض مع القطيع.

زلة واحدة كفيلة بالأمر. لن ينقذك أو ينقذ أي أحد موعد مسبق مع الموت على كوكب ستاڤرومولا بيتا، بغض النظر عن مكانه، من ضربات هذه الحوافر المشوِّهة والهادرة.

تراجع آرثر وفورد إلى الخلف مترنحين في النهاية. جلسا منهكين ومهزومين، وبدأ كل منهما ينتقد تقنية الآخر في استخدام المنشفة.

تذمّر فورد قائلاً: «عليك أن ترفّها أكثر، عليك المتابعة في الحركة من المرفق إن كنت ستجعل هذه المخلوقات اللعينة تلاحظ أي شيء على الإطلاق».

احتج آرثر قائلاً: «متابعة في الحركة؟ تحتاج إلى المزيد من الليونة في المعصم».

رد فورد: «تحتاج إلى المزيد من الحركة بعد التلويح».

- «تحتاج منشفة أكبر».

قال صوت آخر: «أنت تحتاج إلى طائر بيكا».

- «أنت ماذا؟»

أتى الصوت من خلفهما. استدارا، وهناك كان يقف خلفهما في شمس الصباح الباكر ثراشبارغ العجوز.

قال وهو يتقدم باتجاهها: «لجذب انتباه الوحش العادي جداً تحتاج إلى طائر بيكا، كهذا».

أخرج من تحت الشيء الخشن الشبيه بالثوب الذي كان يرتديه طائر بيكا صغيراً، جلس الطائر بقلق على يد ثراشبارغ العجوز وحدّق باهتمام إلى شيء لا يعلمه سوى بوب يتحرك أمامه على مسافة ثلاث أقدام وستة إنشات.

جثم فورد بسرعة التأهب الذي أحب القيام به عندما لم يكن متأكداً مما يحدث أو ما يجب عليه فعله. لوّح ذراعيه ببطء شديد بأسلوب تمنى أن يكون مشؤوماً.

هسهس قائلاً: «من هذا؟»

قال آرثر بهدوء: «إنه ثراشبارغ العجوز وحسب، ولا داعي لأن تزعج نفسك بكل هذه الحركات الخيالية. هو مخادع متمرّس مثلك. يمكن أن ينتهي بكما المطاف وأنتما ترقصان حول بعضكما طوال اليوم».

هسهس فورد مجدداً: «الطائر، ما هو الطائر؟»

قال آرثر بنفاد صبر: «إنه مجرد طائر! إنه مثل أي طائر آخر. يضع بيضاً ويهتم بأشياء لا يمكنك رؤيتها».

قال فورد بارتياب: «هل رأيت واحداً يضع بيضاً؟»

قال آرثر: «بحق السماء، بالطبع رأيت، وأكلت المئات من بيضه، إذ تصنع عجة جيدة جداً. يكمن السر في مكعبات صغيرة من الزبد البارد ثم تخفقها برفق مع»...

قال فورد: «لا أريد وصفة لعينة، أريد فقط أن أتأكد أنه طائر حقيقي وليس كابوساً إلكترونياً متعدد الأبعاد».

وقف فورد ببطء من وضعية الجثوم وراح يمسح ثيابه، لكنه كان لا يزال يراقب الطائر.

قال ثراشبارغ العجوز: «إذاً، هل كُتب أن بوب سيأخذ بركة صانع الشطائر الذي أرسله؟»

كاد فورد يعود إلى جثومه.

تمتم آرثر: «لا تقلق، إنه يتحدث بهذه الطريقة دائماً». ثم قال بصوت مرتفع: «آه يا ثراشبارغ المبجّل. نعم، أخشى أنه يتوجب علي أن أموت مجدداً الآن، لكن تلميذي، دريمبل الشاب، سيكون صانع شطائر رائعاً بدلاً مني. لديه الأهلية، حبّ عميق للشطائر، والمهارات التي اكتسبها حتى الآن، على الرغم من أنها لا تزال بدائية، ستنضج مع الوقت و، حسناً، ما أحاول قوله هو أني أظنه سيتطور جيداً».

نظر ثراشبارغ العجوز إلى آرثر برزانة، وتحركت عيناه الرماديتان العجوزان بحزن. رفع ذراعيه عالياً، ذراع كانت لا تزال تحمل طائر البيكا المتمايل والأخرى تحمل عصاه.

تلفظ بكلمات قائلاً: «يا صانع الشطائر من عند بوب!» ثم توقف، جعّد حاجبيه، وتنهد وهو يغلق عينيه بتأمّل ورع، وقال: «ستكون الحياة أقل غرابة بكثير من دونك!»

قال آرثر: «أتعلم، أظن أن هذا ألطف شيء قاله لي أحد في حياتي».

قال فورد: «هل يمكننا المتابعة، رجاءً؟»

في ذلك الوقت كان شيء ما يحدث. كان وجود طائر البيكا في نهاية ذراع ثراشبارغ الممدودة يرسل اهتزازات من الاهتمام عبر القطيع الهادر. تحرك القطيع الغريب لحظياً باتجاههم. بدأ آرثر يتذكر بعض عمليات صيد الوحش العادي جداً التي شهدها. تذكر أنه مع تلويح مصارعي الثيران من الصيادين بأرديتهم كان هناك دائماً آخرون خلفهم يحملون طيور بيكا. لقد افترض دائماً أنهم مثله، أتوا للمشاهدة.

اقترب ثراشبارغ العجوز من القطيع أكثر. كانت بعض الوحوش تدير رؤوسها إلى الخلف باهتمام عند رؤية طائر البيكا.

كانت ذراع ثراشبارغ العجوز الممدودة ترتجف.

بدا أن طائر البيكا وحده لم يكن يعير اهتماماً لما يحصل. بعض جزيئات الهواء مجهولة المصدر استحوذت على كل اهتمامه المرح.

هتف ثراشبارغ العجوز في النهاية: «الآن! الآن يمكنك أن تعاملها بالمنشفة!»

تقدم آرثر ومعه منشفة فورد، وتحرك بالطريقة نفسها التي تحرك بها مصارعو الثيران من الصيادين، باختيال فاخر لم يأته بالفطرة. لكنه كان يعلم الآن ما عليه أن يفعل، وكان يفعل ذلك على نحو صحيح. لوّح بالمنشفة وهزها بضع مرات، ليكون جاهزاً للحظة ومن ثم راقب.

على مسافة منه اكتشف الوحش الذي يريده، كان يعدو باتجاهه ورأسه إلى الأسفل، قادماً من طرف القطيع تماماً. غير ثراشبارغ العجوز موضع

الطائر، فنظر الوحش إلى الأعلى، وأدار رأسه، ثم مع انخفاض رأسه مجدداً لوّح آرثر بالمنشفة في خط نظر الوحش. أدار الوحش رأسه مجدداً بحيرة، ولاحقت عيناه حركة المنشفة.

لقد جذب آرثر انتباه الوحش.

منذ تلك اللحظة فصاعداً بدا من الطبيعي جداً أن يغري الحيوان ويجذبه إليه. كان رأس الحيوان إلى الأعلى مع بعض الميلان، وكان يبطئ ليمشي باعتدال ومن ثم يهرول. بعد ثوان عدة كان ذلك الشيء الضخم يقف هناك بينهم، ينخر، يلهث، يتصبب عرقاً ويشم طائر البيكا بانفعال، الذي لم يبد أنه لاحظ وصول الوحش إطلاقاً. بحركات اكتساح غريبة من ذراعيه أبقى ثراشبارغ العجوز طائر البيكا أمام الوحش، لكن بعيداً عن متناوله على نحو مستمر وإلى الأسفل. بحركات اكتساح غريبة من المنشفة تابع آرثر استرعاء انتباه الوحش من هذه الجهة وتلك، ودائماً إلى الأسفل.

تمتم فورد لنفسه: «لا أظنني رأيت شيئاً بهذا الغباء في حياتي».

في النهاية سقط الوحش على ركبتيه مذهولاً، لكن مطيعاً.

همس ثراشبارغ العجوز لفورد بإلحاح: «انطلق! انطلق! انطلق الآن!»

قفز فورد على ظهر المخلوق العظيم، وأقحم أصابعه في فروه السميك كثير العقد ليسحب نفسه، ممسكاً بالكثير من الأشياء بين يديه لتثبيته عندما يصبح في المكان المناسب.

«الآن يا صانع الشطائر! انطلق!» ونفّذ ثراشبارغ بعض الإشارات المتقنة والمصافحة الشعائرية التي لم يعرف آرثر كيف ينفذها لأن من الواضح

أن ثراشبارغ العجوز اختلقها في تلك اللحظة غريزياً، ثم دفع آرثر إلى الأمام. أخذ آرثر نفساً عميقاً وتسلق الظهر الهائل، الساخن والمائج للوحش وتمسّك جيداً خلف فورد. تموّجت وانثنت تحته عضلات هائلة بحجم أسود البحر.

فجأة رفع ثراشبارغ العجوز الطائر عالياً، فدار رأس الوحش إلى الأعلى لملاحقة الطائر. دفع ثراشبارغ بذراعه وبالطائر إلى الأعلى على نحو متكرر، وببطء وتثاقل ترنح الوحش العادي جداً على ركبتيه ووقف في النهاية وهو يتمايل قليلاً. تشبث راكباه بقوة وقلق.

حدّق آرثر فوق بحر الحيوانات المندفعة مُجهداً، في محاولة لرؤية المكان الذي كانت تتجه إليه، لكن لم يكن هناك شيء سوى سديم الحرارة.

قال لفورد: «هل يمكنك رؤية أي شيء؟»

قال فورد: «لا،» ولوى نفسه لينظر إلى الخلف، في محاولة لمعرفة إن كان هناك أي دليل على مكان مجيئها، لكن لا شيء.

صاح آرثر لثراشبارغ: «هل تعلم من أين تأتي؟ أو إلى أين تذهب؟»

رد عليه ثراشبارغ صائحاً: «مقاطعة الملك!»

صاح آرثر بدهشة: «ملك؟ أي ملك؟» كان الوحش العادي جداً يتمايل ويهتز باضطراب تحته.

صاح ثراشبارغ العجوز: «ما الذي تقصده بأي ملك؟ الملك!»

رد آرثر صائحاً ببعض الذعر: «كل ما في الأمر أنك لم تذكر ملكاً».

صاح ثراشبارغ العجوز: «ماذا؟» كان من الصعب سماع أي شيء فوق صوت نقر ألف حافر، وكان العجوز مركّزاً على ما يفعله.

وهو لا يزال يمسك بالطائر عالياً، قاد ثراشبارغ الوحش ببطء حتى أصبح على التوازي مع حركة قطيعه العظيم من جديد. تحرك إلى الأمام، وتبعه الوحش، ثم تحرك إلى الأمام مجدداً، وتبعه الوحش مجدداً. في النهاية كان الوحش يندفع إلى الأمام متثاقلاً.

صاح آرثر مجدداً: «قلت إنك لم تأت على ذكر ملك من قبل!»

صاح ثراشبارغ العجوز: «لم أقل ملكاً، قلت الملك».

سحب يده إلى الخلف ثم دفعها إلى الأمام بكل قوته، مطلقاً طائر البيكا إلى الأعلى في الهواء فوق القطيع. يبدو أن ذلك فاجأ طائر البيكا تماماً إذ إنه لم يكن منتبهاً إطلاقاً إلى ما يجري. لزمه الأمر لحظة أو اثنتين ليفهم ما يحدث، ثم نشر جناحيه الصغيرين، مدهما وطار.

صاح ثراشبارغ: «انطلق! انطلق وواجه قدرك يا صانع الشطائر!»

لم يكن آرثر واثقاً من أنه يريد مواجهة قدره هكذا. لم يرد سوى أن يصل إلى حيث كانت الوحوش ذاهبة كي يتمكن من النزول عن ظهر هذا المخلوق مجدداً. لم يشعر بالأمان إطلاقاً في الأعلى. كان الوحش يزيد من سرعته وهو يلاحق مسار طائر البيكا، ومن ثم دخل القطيع على حواف موجة الحيوانات الضخمة، وبعد لحظة أو اثنتين، كان يركض مع القطيع مجدداً، رأسه إلى الأسفل، قد نسي أمر طائر البيكا، وكان يقترب بسرعة من النقطة التي كان القطيع يختفي فيها. تشبث آرثر وفورد بالوحش العظيم طلباً للنجاة، وهما محاطان من الجوانب كافة بجبال مندفعة من الأجسام.

صاح ثراشبارغ: «انطلقا! امتطيا ذلك الوحش!» تردد صدى صوته البعيد خافتاً في آذانهما. «امتطيا ذلك الوحش العادي جداً! امتطياه، امتطياه!»

صاح فورد في أذن آرثر: «إلى أين قال إننا ذاهبان؟»

رد آرثر صائحاً وهو يتشبث باستماته: «لقد قال شيئاً عن ملك».

- «أي ملك؟»

- «هذا ما قلته. فقال الملك».

صاح فورد: «لم أعلم أن هناك الملك».

رد آرثر صائحاً: «حتى أنا».

صاح فورد: «ما عدا الملك بالطبع، ولا أظنه كان يقصده».

صاح آرثر: «أي ملك؟»

كانت نقطة الخروج قريبة منهما. أمامهما تماماً، كانت الوحوش العادية تماماً تعدو إلى العدم وتختفي.

صاح فورد: «ما الذي تعنيه بأي ملك؟ لا أعلم أي ملك. أقول فقط إنه لا يمكن أن يكون قد قصد الملك، لذا لا أعرف ما يقصد».

- «فورد، ليست لدي فكرة عما تتحدث».

قال فورد: «إذاً؟» عند ذلك، وباندفاع مفاجئ، أتت النجوم، دارت والتوت حول رأسيهما، ثم على النحو المفاجئ نفسه، اختفت.

الفصل الحادي والعشرون

تأرجحت ولاحت مبان رمادية غامضة. وثبت إلى الأعلى وهبطت إلى الأسفل بطريقة مخجلة للغاية.

ما نوع هذه الأبنية؟

ما الغاية منها؟ وبماذا ذكّرت تريشا؟

من الصعب معرفة ما يفترض بالأشياء أن تكون عندما يظهر المرء على نحو مفاجئ وغير متوقع على كوكب مختلف لديه ثقافة مختلفة، ومجموعة مختلفة من معظم الافتراضات الأساسية عن الحياة، وأيضاً هندسة معمارية عقيمة على نحو مذهل ولا معنى لها.

كانت السماء فوق الأبنية مصبوغة باللون الأسود المثبط والعدائي. كانت النجوم، التي يفترض بها أن تلمع بشكل يخطف الأبصار على هذه المسافة من الشمس، غير واضحة وباهتة من سماكة قبة الحماية الضخمة. بيرسبيكس[1] أو شيء من هذا القبيل. شيء باهت وثقيل في أي حال.

أعادت تريشا الشريط إلى بدايته.

كانت تعرف أن هناك شيئاً غريباً قليلاً حياله.

---

(١) نوع من أنواع اللدائن القاسية والشفافة - المترجم.

حسناً، في الواقع كان هناك مليون شيء غريب قليلاً حياله، لكن واحداً من هذه الأشياء كان يزعجها ولم تدر ما هو.

تنهدت وتثاءبت.

بعد أن انتظرت الشريط ليعود إلى بدايته، أزاحت بعض أكواب القهوة البلاستيكية القذرة التي تجمّعت على مكتب التحرير وقلبتها في السلة.

كانت تجلس في جناح تحرير صغير في شركة إنتاج فيديو في سوهو. كانت قد ألصقت إنذارات «عدم الإزعاج» على كل الباب، وحظرت كل المكالمات الواردة في المقسم. كان ذلك في الأصل لحماية سبقها الصحفي المذهل، لكنه أصبح الآن لحمايتها من الإحراج.

ستشاهد الشريط كاملاً من البداية. إن استطاعت تحمل ذلك، قد تقوم ببعض التسريع هنا وهناك.

كانت الساعة الرابعة عصر يوم الاثنين، وراودها شعور بالإعياء، كانت تحاول معرفة سبب هذا الشعور البسيط بالإعياء، لكن قائمة الأسباب لم تكن قصيرة.

أولاً، كانت هذه الأسباب مضافة إلى الرحلة الإضافية الليلية من نيويورك. العين الحمراء، ذلك مزعج.

ثم حديث غرباء إليها في حديقتها، والطيران إلى كوكب روبرت. لم تكن خبيرة في هذه الأمور على نحو كاف لتتمكن من القول بلا ريب إن ذلك مزعج دائماً، لكنها مستعدة للرهان أن أولئك الذين يقومون بالأمر بانتظام يلعنونه. هناك دائماً مخططات للضغط النفسي تُنشر في المجلات،

خمسون نقطة ضغط نفسي لخسارة العمل. خمس وسبعون نقطة للطلاق أو تغيير تسريحة الشعر وما إلى هنالك. لكن لم يُذكر أن يتحدث إليك غرباء في حديقتك ومن ثم الطيران إلى كوكب روبرت، لكنها كانت متأكدة أن ذلك يستحق دستات عدة من النقاط.

في الواقع، لم تكن الرحلة مرهقة بالتحديد، بل كانت في الحقيقة مملة جداً. بالتأكيد لم تكن مرهقة أكثر من الرحلة التي قامت بها للتو عبر المحيط الأطلسي واستغرقت الوقت نفسه تقريباً، نحو سبع ساعات.

حسناً، ذلك صاعق بعض الشيء، أليس كذلك؟ الطيران إلى الحدود الخارجية من النظام الشمسي في الوقت نفسه الذي يستغرقه الطيران إلى نيويورك يعني أن لديهم نظام دفع رائعاً وغير معروف في السفينة. سألت مضيفيها عنه ووافقوا على أنه جيد جداً.

سألت بانفعال: «لكن كيف يعمل؟» كانت لا تزال تشعر ببعض الإثارة في بداية الرحلة.

وجدت ذلك الجزء من الشريط وشغلته لنفسها. كان الغريبولونيون، وهو الاسم الذي يطلقونه على أنفسهم، يستعرضون لها بأدب الأزرار التي ضغطوها لجعل السفينة تنطلق.

سمعت نفسها تسأل من خلف الكاميرا: «نعم، لكن ما المبدأ الذي تعمل وفقه؟»

قالوا: «أوه، أتقصدين أنه محرك مخفي أو شيء من هذا القبيل؟»

قالت تريشا بإصرار: «نعم، ما هو؟»

قالوا: «في الأغلب أنه شيء من هذا القبيل».

«مثل ماذا؟»

«محرك مخفي، محرك فوتوني، شيء من هذا القبيل. عليك أن تسألي مهندس الطيران».

«من هو؟»

«لا نعلم، لقد فقدنا عقولنا جميعنا كما ترين».

قالت تريشا ببعض الضعف: «آه نعم، قلتم ذلك. إذاً، كيف فقدتم عقولكم بالضبط؟»

قالوا بصبر: «لا نعلم».

قلّدتهم تريشا بكآبة: «لأنكم فقدتم عقولكم».

«هل تودين مشاهدة التلفاز؟ إنها رحلة طويلة. نحن نشاهد التلفاز. إنه شيء نستمتع به».

كل هذه الأمور المشتّتة كانت على الشريط، وكانت تظهر بجودة. أولاً، كانت دقة الصورة ضعيفة جداً، ولم تعلم تريشا السبب وراء ذلك، وشعرت بأن الغريبولونيين يستجيبون لمدى مختلف قليلاً من الترددات الضوئية، لذلك كان هناك الكثير من الأشعة فوق البنفسجية في الأرجاء، التي كانت تفسد كاميرا الفيديو. كان هناك الكثير من أنماط التداخل والحبيبات البيض أيضاً. ربما كان الأمر متعلقاً بالمحرك الخفي الذي لم يعرف أحد منهم عنه شيئاً.

إذاً، ما كان لديها على الشريط أساساً، هو مجموعة من الناس النحيلين والمشوّهين جالسين وهم يشاهدون شاشات التلفزة التي تعرض بث الشبكات. كما أنها وجّهت الكاميرا إلى خارج منفذ العرض الصغير جداً الموجود إلى جانب مقعدها وحصلت على تأثير لطيف، ومخطط بعض الشيء، للنجوم. كانت تعلم أنه حقيقي، لكنه سيستغرق ثلاث أو أربع دقائق كاملة لتزييفه.

في النهاية، قررت أن تحتفظ بشريط الفيديو الثمين حتى تصل إلى روبرت نفسه، واتكأت ببساطة وشاهدت التلفاز معهم. كما أنها غفت قليلاً.

إذاً، كان جزء من شعورها بالإعياء يعود لإحساسها أنه كان لديها الوقت في سفينة فضاء غريبة ذات تصميم تكنولوجي مدهش، وأمضت معظمه وهي تغفو أمام إعادة لحلقات من مسلسل م*ا*ش وكاغني وليسي(١). إنما، ما الذي كان بالإمكان فعله غير ذلك؟ لقد التقطت بعض الصور أيضاً، التي تبين فيما بعد، عندما جلبتها من المختبر، أنها في مجملها مشوشة على نحو كبير.

قد يكون جزء آخر من شعورها بالإعياء قد أتى من الهبوط على روبرت. في الأقل، كان هذا درامياً ومرعباً، حيث نزلت السفينة متمايلة فوق مشهد داكن وكئيب، أرض بعيدة على نحو ميئوس منه عن حرارة وضوء شمسها، فبدت كخريطة لندوب نفسية على دماغ طفل مخذول.

اشتعلت الأضواء في الظلمة المتجمدة وقادت السفينة إلى فتحة كهف بدا أنه يفتح نفسه ليستقبل المركبة الصغيرة.

---

(١) مسلسلات أمريكية – المترجم.

إنما، لسوء الحظ، بسبب زاوية اقترابهم، والعمق الذي رُكبت فيه منافذ العرض السميكة في جسم المركبة، لم يكن من الممكن جعل كاميرا الفيديو تشير مباشرة إلى أي مما في الخارج. شاهدت ذلك الجزء من الشريط.

كانت الكاميرا تشير مباشرة إلى الشمس.

هذا ضارّ جداً بكاميرا فيديو في الأحوال الطبيعية، إنما حينما تكون الشمس على مسافة تقدر بثلث مليار ميل تقريباً فإنها لا تسبب أي ضرر. في الواقع تكاد لا تعطي أي انطباع على الإطلاق، كل ما تراه هو نقطة صغيرة من الضوء في منتصف الصورة، التي يمكن أن تكون أي شيء. كانت مجرّد نجم بين النجوم.

سرّعت تريشا الفيديو.

آه، القسم التالي كان واعداً بعض الشيء. خرجوا من السفينة إلى مبنى رمادي متسع يشبه العنبر. من الواضح أن هذه تكنولوجيا غريبة كثيراً، مبان رمادية ضخمة تحت الظل الداكن لقبة البيرسبيكس. كانت هذه المباني نفسها التي كانت تنظر إليها في نهاية الشريط. أخذت المزيد من الصور لهذه المباني وهي تغادر روبرت بعد ساعات عدة، في حين كانت قد أوشكت أن تصعد إلى متن المركبة الفضائية للقيام برحلة العودة إلى الأرض. بماذا ذكرتها هذه المباني؟

حسناً، مثلها مثل أي شيء آخر، ذكرتها هذه المباني بموقع تصوير لواحد من أفلام الخيال العلمي منخفضة التكلفة التي صوّرت إبان العشرين سنة الماضية. لقد كانت أكبر بكثير بالطبع، لكنها بدت مبهرجة تماماً وغير مقنعة على شاشة الفيديو. بمعزل عن جودة الصور البغيضة،

كانت تعاني من الآثار غير المتوقعة للجاذبية التي كان يمكن ملاحظة أنها أخفض من تلك على الأرض، وكانت تجد صعوبة كبيرة في منع الكاميرا من القفز بطريقة مخجلة وغير محترفة. لذلك كان من المستحيل فهم أيّ من التفاصيل.

والآن، ها هو ذا القائد يتقدم ليرحب بها، مبتسماً ومادّاً يده.

كان ذلك اسمه فقط، القائد.

لم يكن لأي من الغريبولونيين أسماء، لأنهم لم يتمكنوا غالباً من التفكير أي اسم. اكتشفت تريشا أنه خطر لبعضهم أن يسمّوا أنفسهم بأسماء شخصيات من البرامج المتلفزة التي كانوا يلتقطونها من الأرض، لكن مهما حاولوا أن ينادوا بعضهم «وين» و«بوبي» و«تشك»، كانت بقايا شيء ما، مختبئ في عمق اللاوعي الثقافي الذي أحضروه معهم من النجوم البعيدة التي كانت موطنهم، تخبرهم أن هذا ليس صحيحاً ولن يكون مناسباً.

كان القائد يشبه الآخرين كثيراً، ربما أقل نحفاً بقليل. قال إنه استمتع كثيراً ببرامجها عبر التلفاز، وإنه من أكثر معجبيها، وإنه كان مسروراً لأنها تمكنت من المجيء معهم لتزورهم على كوكب روبرت، وكم أن الجميع كانوا ينتظرون قدومها، وتمنى أن تكون الرحلة مريحة، وما إلى ذلك. لم تتمكن من الإحساس بشعور أنها مبعوثة من النجوم أو أي شيء.

بمشاهدتها الآن على شريط الفيديو، بدا بالتأكيد كشخص يرتدي ثياباً تنكرية ويضع مكياج، يقف أمام معدات لن تصمد طويلاً إن اتكأت عليها.

جلست تحدّق إلى الشاشة ووجهها بين راحتي كفيها، وراحت تهزّ رأسها ببطء وارتباك.

كان هذا شنيعاً.

ليس هذا الجزء فقط شنيعاً، بل كانت تعلم ما الذي يليه. في الجزء التالي سألها القائد إن كانت جائعة بعد الرحلة، وهل تود أن تأتي لتتناول شيئاً؟ بإمكانهما مناقشة الأمور على عشاء صغير.

بإمكانها تذكر ما كانت تفكر فيه في هذه اللحظة.

طعام غريب.

كيف ستتعامل معه؟

هل سيتوجب عليها أكله؟ هل سيكون معها منديل ورقي لتتمكن من بصق الطعام فيه؟ ألن يكون هناك كل أنواع مشكلات الاختلافات المناعية؟

تبيّن أن الطعام هامبرغر.

ولم يكن هامبرغر فحسب، بل تبين بوضوح تام أنه هامبرغر ماكدونالد أُعيد تسخينه في مايكرويف. لم يكن المنظر فحسب، لم تكن الرائحة، بل كانت العبوات البلاستيكية الشفافة التي تشبه صدفة المحار التي طُبع عليها «ماكدونالد».

قال القائد: «كلي! استمتعي! لا شيء من مقام ضيفتنا المحترمة!»

كان ذلك في شقته الخاصة، نظرت تريشا حولها بذهول تحوّل إلى خوف، لكنها مع ذلك صورت كل شيء على شريط الفيديو.

يوجد في الشقة سرير مائي، نظام صوتي متداخل، وواحدة من الأشياء الزجاجية المضاءة كهربائياً التي توضع على الطاولات وتحتوي كرات كبيرة من الزيت تعوم فيها. كانت الجدران مغطاة بالمخمل.

اتكأ القائد على حقيبة بنية مصنوعة من المخمل المضلّع مملوءة بالحبيبات وبخّ معطر أنفاس في فمه.

بدأت تريشا تشعر بالذعر الشديد فجأة. فعلى حد علمها كانت أبعد من أي مخلوق بشري عن الأرض، وكانت مع مخلوق غريب، يتكئ على حقيبة بنية مصنوعة من المخمل المضلع مملوءة بالحبيبات ويبخ معطر أنفاس في فمه.

لم ترد القيام بأي حركات مغلوطة، لم ترد أن تذعره، لكن توجب عليها معرفة بعض الأشياء.

قالت وهي تشير إلى الغرفة بتوتر: «كيف... أين حصلت على... هذه؟»

سأل القائد: «الديكور؟ هل أعجبك؟ إنه متطور جداً. نحن الغريبولونيين شعب متطور جداً. نشتري منتجات متينة متطورة... عن طريق الطلب بالبريد».

أومأت تريشا برأسها ببطء كبير لهذه الملاحظة.

قالت: «الطلب بالبريد»...

ضحك القائد. كانت واحدة من ضحكات الشكولاتة الداكنة المطمئنة والناعمة.

«أظنك تظنين أنهم يرسلونها إلى هنا. لا! ها ها! لقد دبّرنا رقم صندوق بريد مميز في نيو هامبشاير. نقوم بزيارات منتظمة لجلب الأغراض. ها ها!» واتكأ باسترخاء على حقيبة الحبيبات خاصته، مد يده إلى البطاطا المقلية المعاد تسخينها وقضم طرفها، وارتسمت ابتسامة ضحك على شفتيه.

كان في وسع تريشا الشعور بأن دماغها بدأ يغلي قليلاً، وأبقت على كاميرا الفيديو تعمل.

«كيف تتمكن، حسناً، إيـ، كيف تدفع ثمن هذه الأشياء... الرائعة؟»

ضحك القائد مجدداً.

قال بهزة لا مبالية من كتفيه: «أمريكان إكسبرس».

أومأت تريشا برأسها ببطء من جديد. كانت تعلم أنهم يعطون البطاقات حصرياً لأي كان.

قالت: «وهذه؟» وهي تمسك الهامبرغر التي قدمها لها.

قال القائد: «سهل جداً، نقف في الطابور».

من جديد، أدركت تريشا بشعور بارد مرتشح يسري إلى أسفل عمودها الفقري أن ذلك يفسر الكثير.

ضغطت على زر التسريع إلى الأمام مجدداً. لم يكن هنالك ما يفيد هنا إطلاقاً. كان كله جنوناً كابوسيّاً. كان بإمكانها تزوير شيء يبدو أكثر إقناعاً.

بدأ شعور آخر بالإعياء يتسلل إليها وهي تشاهد هذا الشريط البغيض والميئوس منه، وبدأت تدرك، بذعر بطيء، أنه لا بد الجواب.

لا بد أنها...

هزّت رأسها وحاولت أن تفهم.

رحلة ليلية متجهة إلى الشرق... الحبوب المنوّمة التي أخذتها لتساعدها في الرحلة، الفودكا التي تناولتها لتسهل عمل الحبوب المنوّمة.

ماذا أيضاً؟ حسناً، هناك سبعة عشر عاماً من هاجس أن رجلاً جذاباً برأسين، تخفّى أحدهما على أنه ببغاء في قفص، حاول أن يقلّها في حفل لكنه طار بنفاد صبر إلى كوكب آخر في صحن طائر. ظهرت فجأة الجوانب المزعجة لتلك الفكرة التي لم تخطر لها من قبل. لم تخطر لها، إبان سبعة عشر عاماً.

أقحمت قبضتها في فمها.

يجب أن تحصل على مساعدة.

ومن ثم كان هناك حديث إيريك بارتليت المطوّل عن مركبات فضائية غريبة تحطّ في حديقتها. وقبل ذلك... كانت نيويورك، حسناً، حارة جداً ومرهقة، الآمال العريضة وخيبات الأمل المريرة. ما يتعلق بعلم التنجيم.

لا بد أنها مرت بانهيار عصبي.

هذا هو الأمر، كانت منهكة ومن ثم عانت من انهيار عصبي وراحت تهلوس لبعض الوقت بعد أن وصلت إلى المنزل. لقد حلمت بالقصة كاملة. جنس غريب من الناس المحرومين من حيواتهم وتاريخهم، عالقين على حدود نظامنا الشمسي البعيدة ويملؤون فراغهم الثقافي برمم ثقافتنا. ها! إنها طريقة الطبيعة في إخبارها أن تسجّل في مؤسسة طبية باهظة بسرعة.

كانت مريضة جداً جداً. نظرت إلى عدد أكواب القهوة الكبيرة التي تناولتها أيضاً، وأدركت كم كان تنفسها ثقيلاً وسريعاً.

أخبرت نفسها بأن جزءاً من حل أي مشكلة هو إدراك أنك تعاني منها. بدأت تحاول السيطرة على تنفسها. سيطرت على نفسها في الوقت المناسب، لقد رأت أين كانت، كانت بعيدة عن أي كارثة نفسية وشيكة. بدأت تهدأ وتهدأ. اتكأت على الكرسي وأغمضت عينيها.

بعد فترة، وبما أنها عادت لتتنفس طبيعياً، فتحت عينيها مجدداً.

إذاً، من أين حصلت على هذا الشريط؟

* * *

كان لا يزال في وضعية التشغيل.

حسناً، إنه مزيف.

لقد زوّرته بنفسها، هذا هو الأمر.

لا بد أنها هي من زوّره لأن صوتها كان يغطي المساحة الصوتية، وهي تسأل أسئلة. كانت الكاميرا تتدلى بين الحين والآخر في نهاية كل مقطع، وكانت ترى قدميها في حذائها. لقد زوّرته ولا تتذكر تزويره أو السبب الذي دفعها إلى ذلك.

كان تنفسها يتوتر من جديد وهي تشاهد الشاشة المرتجة الممتلئة بالنقاط البيض.

لا بد أنها لاتزال تهلوس.

هزّت رأسها محاولة أن تبعد الهلوسة. لا تذكر إطلاقاً تزييف أيّ من هذه الأشياء المزيفة بشكل واضح. ومن جهة أخرى يبدو أن لديها ذكريات تشبه الأشياء المزيفة كثيراً. تابعت المشاهدة وهي مذهولة وسارحة.

كان الشخص التي تخيلت أنه يدعى القائد يستفسر منها عن علم التنجيم، وكانت تجيب بهدوء ولباقة. هي فقط من تمكن من اكتشاف الخوف المتصاعد والمتخفي جيّداً في صوتها.

ضغط القائد زراً، فانزلق حائط من المخمل الخمري جانباً، كاشفاً عن صف كبير من شاشات التلفاز المسطحة.

كانت كل واحدة من الشاشات تعرض مجموعة من الصور المختلفة: بضع ثوان من برنامج ألعاب، بضع ثوان من مسلسل شرطة، بضع ثوان من نظام الأمان لمخازن متجر، بضع ثوان من أفلام عطلة أحدهم، بضع ثوان من الجنس، بضع ثوان من الأخبار، بضع ثوان من الكوميديا. من الواضح أن القائد كان فخوراً جداً بكل هذه الأغراض وكان يلوّح بيده مثل مايسترو وهو يتابع في الوقت نفسه التحدث بهراء صرف.

لوّح مرة أخرى بيده واختفى كل شيء عن الشاشات لتشكل الأخيرة شاشة حاسوب عملاقة تعرض بشكل بياني كل كواكب النظام الشمسي ونظام حركتها التفصيلي على خلفية من النجوم في مجموعاتها. كانت الشاشة ساكنة تماماً.

كان القائد يقول: «لدينا مهارات عظيمة. مهارات عظيمة في الحوسبة، في علم المثلثات الكونية، في تفاضل وتكامل الملاحة ثلاثية الأبعاد. مهارات عظيمة، مهارات عظيمة جداً. لكننا خسرناها. ذلك مؤسف جداً. نود أن تكون لنا مهارات لكنها اختفت. إنها تتقاذف في مكان ما من الفضاء. مع أسمائنا وتفاصيل بيوتنا وأحبتنا. من فضلك،» وأشار إليها كي تتقدم وتجلس على منصة حاسوب قائلاً: «كوني ماهرة لأجلنا».

من الواضح أن ما حدث لاحقاً هو أن تريشا وضعت كاميرا الفيديو على دعاماتها بسرعة لتلتقط المشهد كاملاً. ثم دخلت في المشهد بنفسها وجلست بهدوء أمام شاشة الحاسوب العملاقة، أمضت بعض الوقت وهي

تتعرف واجهة الاستخدام ثم بدأت تتظاهر بسلاسة وكفاءة أن لديها فكرة عما تفعله.

في الواقع لم يكن الأمر صعباً جداً.

فهي قبل كل شيء عالمة رياضيات وفيزياء فلكية من حيث الدراسة ومقدمة برامج متلفزة من حيث الخبرة، والعلم الذي نسيته إبان السنين كانت أكثر من قادرة على اختلاقه بالخداع.

كان الحاسوب الذي تعمل عليه دليلاً واضحاً على أن الغريبولونيين أتوا من حضارة أكثر تقدماً وتطوراً مما توحي به حالتهم الحالية من البلاهة، وبمساعدة الحاسوب، تمكنت في غضون نصف ساعة أن ترقّع أنموذجاً مضطرباً من النظام الشمسي.

لم يكن بالتحديد دقيقاً أو أي شيء، لكنه بدا جيداً. كانت الكواكب تئزّ دائرة في محاكات معقولة لمداراتها، ويمكنك تقريباً مشاهدة الحركة الافتراضية للآلية الساعية الكونية من أي نقطة في النظام. يمكنك المشاهدة من الأرض، يمكنك المشاهدة من المريخ، إلخ. يمكنك المشاهدة من سطح كوكب روبرت. أُعجبت تريشا بنفسها، لكنها كانت معجبة جداً بنظام الحاسوب الذي كانت تعمل عليه. باستخدام حاسوب محطة تشغيل على الأرض قد تستغرق المهمة سنة أو بعض السنة من البرمجة.

لما انتهت، أتى القائد خلفها وراقب. كان مسروراً جداً وسعيداً بما أنجزته.

قال: «جيد، والآن من فضلك، أريدك أن توضحي كيفية استخدام النظام الذي صممته للتو لترجمة المعلومات التي في هذا الكتاب لي».

وضع بهدوء كتاباً أمامها.

كان كتاب أنت وكواكبك من تأليف غيل آندروس.

أوقفت تريشا الشريط من جديد.

كانت بالتأكيد تشعر بأنها تتمايل بلا ريب، تراجع الآن إحساسها بأنها تهلوس، لكنه لم يترك أي شيء أبسط أو أوضح في رأسها.

دفعت كرسيها إلى الخلف بعيداً عن طاولة مكتب التحرير وتساءلت عما ستفعله. منذ سنوات تركت مجال البحث الفلكي لأنها عرفت، من دون شك يذكر، أنها قابلت مخلوقاً من كوكب آخر، في حفل، وكانت تعرف أيضاً، من دون شك يذكر، أنها ستجعل من نفسها أضحوكة إن قالت ذلك. إنما، كيف لها أن تدرس علم الكون ولا تقول شيئاً عن أهم ما تعرفه عن هذا العلم؟ لقد فعلت الشيء الوحيد الذي كان بمقدورها فعله. غادرت.

الآن هي تعمل في التلفزة وحصل الشيء نفسه مجدداً.

لديها شريط فيديو حقيقي لأكثر قصة مذهلة في تاريخ، في التاريخ: بؤرة استيطان منسية لحضارة غريبة مهجورة على أبعد كوكب من نظامنا الشمسي.

لديها قصة.

كانت هناك.

رأتها.

لديها شريط الفيديو بحق الله.

ولو أرته لأي أحد لأصبحت أضحوكة.

كيف يمكنها أن تثبت أيّاً من هذا؟ لم يكن الأمر يستحق التفكير فيه حتى. الأمر برمته كابوس بغض النظر عن الزاوية التي أحبت أن تنظر إليه منها فعلياً. كان رأسها بدأ ينبض.

لديها بعض الأسبيرين في حقيبتها. خرجت من جناح التحرير الصغير إلى براد الماء في آخر الرواق. تناولت الأسبيرين وشربت أكواباً عدة من الماء.

بدا المكان هادئاً جداً، في العادة يكون هناك أناس أكثر يضجون في المكان، أو في الأقل بعض الناس. مدت رأسها من وراء باب جناح التحرير المجاور لجناحها لكن لم يكن هناك أحد.

لقد تجاوزت الحد المعقول في إبقاء الناس خارج جناحها، فقد كُتب على ملاحظتها «ممنوع الإزعاج، لا تفكر حتى في الدخول. لا يهمني ما الأمر. اذهب. أنا مشغولة!»

لما عادت إلى الداخل لاحظت أن ضوء الرسالة على هاتف الغرفة يومض، وتساءلت كم مضى عليه هكذا.

قالت لموظف الاستقبال: «مرحباً؟»

«أوه، آنسة ماكميلان، أنا مسرور جداً لاتصالك. الجميع يحاول الاتصال بك. شركة التلفزة خاصتك، إنهم في حاجة ماسة إلى الاتصال بك. هل يمكنك الاتصال بهم؟»

قالت تريشا: «لم لم توصلهم؟»

«قلتِ ألا أصل أحداً لأي شيء. قلتِ أن أنفي أنك هنا حتى. لم أعلم ما علي فعله. صعدت لإعطائك رسالة، لكن»...

قالت تريشا: «حسناً،» وهي تلعن نفسها، ثم اتصلت بمكتبها.

«تريشا! أين أنت بحق النزيف الملعون؟»

«في جناح»...

«قالوا»...

«أعرف. ماذا هناك؟»

«ماذا هناك؟ سفينة فضاء لعينة فقط!»

«ماذا؟ أين؟»

«حديقة ريجينت. قطعة فضية كبيرة. فتاة مع عصفور، تتكلم الإنكليزية وترمي حجارة على الناس، وتريد أحدهم أن يصلح ساعتها. اذهبي إلى هناك وحسب».

حدّقت إليها تريشا.

لم تكن سفينة غريبولونية. ليس الأمر أنها أصبحت فجأة خبيرة بالمركبات غير الأرضية، لكن هذه كانت ملساء وجميلة ذات لون أبيض وفضي بحجم يخت كبير للمحيطات، وهو ما كانت المركبة تشبهه كثيراً. وإلى جانبها الهياكل الضخمة لسفينة غريبولونية نصف مجرّدة، بدت كأبراج المدافع على السفن الحربية. أبراج مدافع، هكذا بدت تلك الأبنية الرمادية الفارغة. والغريب فيها أنها تحركت أثناء مرورها بها مجدداً في طريق عودتها لتصعد في متن المركبة الغريبولونية الصغيرة. تحركت هذه الأشياء في رأسها بسرعة وهي تركض من سيارة الأجرة لتلاقي طاقم التصوير خاصتها.

صاحت فوق ضجيج الحوامات وصفارات الشرطة: «أين الفتاة؟»

صاح المنتج: «هناك!» في حين أسرع مهندس الصوت ليشبك ميكروفوناً لاسلكياً لها. «تقول إن أمها وأباها أتيا من هنا في بعد متواز أو شيء من هذا القبيل، ومعها ساعة أبيها، و... لا أعلم، ماذا يمكنني أن أقول لك؟ ارتجلي، سليها كيف تشعر حيال أنها من الفضاء الخارجي».

تمتمت تريشا: «شكراً جزيلاً يا تيد». وتأكدت من أن ميكروفونها مثبت بإحكام، فأعطت المهندس بعضاً من مستوى الصوت، وأخذت نفساً عميقاً، ثم ردت شعرها إلى الخلف وانتقلت إلى دورها كمراسلة محترفة، على أرض الوطن، مستعدة لأي شيء.

في الأقل، أي شيء تقريباً.

استدارت لتبحث عن الفتاة. لا بد أنها تلك، ذات الشعر الأشعث والعينين التائهتين. استدارت الفتاة نحوها وحدّقت.

صرخت: «أمي!» وبدأت تقذف حجارة على تريشا.

الفصل الثاني والعشرون

انتشر ضوء النهار من حولهما. شمس حارة وعظيمة. امتد سهل صحراوي أمامها في غشاوة من الحر اندفعا باتجاهه.

صاح فورد بريفيكت: «اقفز!»

صاح آرثر وهو متشبث حفاظاً على حياته: «ماذا؟»

ما من إجابة.

صاح آرثر مجدداً: «ماذا قلت؟» ثم أدرك أن فورد بريفيكت لم يعد موجوداً. نظر حوله بذعر وبدأ ينزلق. بإدراكه أنه لا يستطيع التماسك أكثر، دفع نفسه جانبياً بأقصى ما يستطيع وتدحرج في شكل كرة عندما اصطدم بالأرض، وهو يتدحرج ويتدحرج بعيداً عن الحوافر التي تضرب الأرض.

يا له من يوم، فكّر آرثر عندما بدأ بعنف يسعل الغبار من رئتيه. لم يحظَ بيوم سيئ كهذا منذ أن انفجرت الأرض. ترنّح على ركبتيه، ثم على قدميه وبدأ يركض بعيداً، لم يعلم إلى ما كان يركض أو مم، لكن الركض بعيداً بدا حركة حكيمة.

ركض مباشرة إلى فورد بريفيكت الذي كان يقف هناك يستطلع المشهد.

قال فورد: «انظر، هذا بالضبط ما نحتاجه».

سعل آرثر المزيد من الغبار، ومسح أغبرة أخرى من شعره وعينيه. استدار لاهثاً لينظر إلى ما كان فورد ينظر إليه.

لم يبد كثيراً كمقاطعة ملك، أو الملك، أو أي نوع من الملوك، لكنه كان جذاباً بعض الشيء.

في البداية، البيئة. كان هذا كوكباً صحراوياً. كانت الأرض المغبرة صلبة وقد خدشت بدقة كل الأجزاء المتبقية من آرثر التي لم تكن جُرحت بعد من احتفالات الليلة السابقة. كان ثمة جروف كبيرة على مسافة أمامهما تشبه الحجر الرملي، نحتتها الرياح والأمطار القليلة التي يحتمل أن تسقط في هذه الأرجاء إلى أشكال جامحة ورائعة، التي كانت ملائمة لأشكال الصبار العملاق الرائعة التي نبتت هنا وهناك من الأرض البرتقالية الجافة.

تجرّأ آرثر لوهلة أن يأمل في أن يكونا وصلا على نحو غير متوقع إلى أريزونا أو نيو مكسيكو أو ربما ساوث داكوتا، لكن هناك أدلة وافرة على أن ذلك لم يحصل.

كبداية، كانت الوحوش العادية جداً لا تزال تهدر وتضرب الأرض. انسحبت الوحوش بعشرات ألوفها من الأفق البعيد، واختفت تماماً لنصف ميل، ثم انسحبت عائدة، وهي تهدر وتضرب الأرض إلى الأفق البعيد المقابل.

ثم كانت السفن الفضائية المركونة أمام الحانة والمطعم. آه، حانة ومطعم مقاطعة الملك. فكر آرثر في أنها نهاية أحداث مخيّبة للآمال.

سفينة فضاء واحدة فقط كانت مركونة في الواقع أمام حانة ومطعم مقاطعة الملك. الثلاث الأخرى كانت في الموقف جانب الحانة والمطعم، لكن السفينة اللافتة للنظر هي التي في الأمام. شيء رائع المنظر. تغطيها حراشف غريبة، والكثير الكثير من الكروم يغطي الحراشف ومعظم الجسم الأصلي مطلي بلون زهري صاعق. جثمت هناك كحشرة هائلة متفكرة، وبدت كأنها ستقفز في أي لحظة على شيء يبعد ميلاً.

تقع حانة ومطعم مقاطعة الملك تماماً في منتصف المكان الذي ستنطلق فيه الوحوش العادية جداً لو أنها لم تأخذ منعطفاً صغيراً متغير الأبعاد على الطريق. انتصبت بمفردها، بهدوء، حانة ومطعم عاديان. مطعم لوسائل النقل. في مكان ما هادئ في منتصف اللامكان، مقاطعة الملك.

قال فورد بهدوء: «سأشتري سفينة الفضاء تلك».

قال آرثر: «تشتريها؟ هذه ليست عادتك. ظننت أنك تسرقها في العادة».

قال فورد: «عليك أن تظهر بعض الاحترام أحياناً».

قال آرثر: «وربما عليك أن تظهر بعض النقود أيضاً، كم قيمة ذلك الشيء بحق الجحيم؟»

بحركة طفيفة، أخرج فورد بطاقة داين-و-تشارج الائتمانية من جيبه. لاحظ آرثر أن اليد التي تمسكها كانت ترتعش على نحو طفيف.

همس فورد: «سأعلمهم كيف يجعلونني ناقد المطعم»...

سأل آرثر: «ما الذي تعنيه؟»

قال فورد بوميض خطير في عينه: «سأريك».

«هلّا ذهبنا لنراكم بعض المصاريف؟»

قال فورد: «زوج من الجعة، و، لا أدري، زوج من لفائف لحم الخنزير المقدد، من الموجود لديك، أوه وذلك الشيء الزهري في الخارج».

قلب بطاقته على الطاولة ونظر حوله بطريقة اعتيادية.

كان هناك صمت ما.

لم يكن هناك الكثير من الضجيج من قبل، لكن بالتأكيد هناك صمت ما الآن، حتى الهدير البعيد للوحوش العادية جداً وهي تتجنب مقاطعة الملك بحذر بدا أنه يخفت قليلاً على حين غرة.

قال فورد: «لقد وصلت إلى البلدة للتو» كأنه لا يوجد شيء غريب حيال ذلك أو حيال أي شيء آخر. كان يتكئ على الطاولة بزاوية استرخاء مبالغ فيها.

كان هناك ثلاثة مرتادين آخرين في المكان، يجلسون حول طاولات، يحتسون الجعة. ثلاثة تقريباً. بعض الناس سيقولون إنهم ثلاثة تماماً، لكنه لم يكن ذلك النوع من الأماكن، ليس من الأماكن التي تشعر فيها أنك دقيق إلى ذلك الحد. كان هناك شخص ضخم يضع بعض الأغراض على المنصة الصغيرة أيضاً. طقم طبول قديم، زوج من الجيتار، أغراض ريفية وغربية.

لم يكن الساقي يتحرك برشاقة كبيرة ليجلب طلبية فورد. في الواقع لم يكن يتحرك إطلاقاً.

قال في النهاية بلكنة استمر صداها لوقت طويل: «لست متأكداً إن كان ذلك الشيء الزهري للبيع».

قال فورد: «بالتأكيد هو كذلك، كم تريد؟»

«حسناً»...

«فكّر برقم، سأضاعفه».

قال الساقي: «ليس لي لأبيعه».

«إذاً لمن؟»

أومأ الساقي برأسه إلى الشخص الضخم الذي يجهز المنصة، شخص ضخم وسمين، يتحرك ببطء، وأصلع.

أومأ فورد برأسه. ابتسم.

قال: «حسناً، اجلب الجعة، اجلب اللفائف، وأبق الفاتورة مفتوحة».

جلس آرثر إلى الطاولة واستند، كان معتاداً عدم معرفة ما يجري. كان يشعر بالراحة هكذا. كانت الجعة جيدة وأنعسته قليلاً وهذا ما لم يمانعه إطلاقاً. لفائف لحم الخنزير المقدد لم تكن لفائف لحم خنزير مقدد، بل كانت لفائف لحم وحش عادي جداً. تبادل بعض الملاحظات الاحترافية حول صناعة اللفائف مع الساقي وترك فورد يفعل ما أراد أن يفعل.

قال فورد وهو عائد إلى مقعده: «حسناً، هذا لطيف، لقد حصلنا على الشيء الزهري».

كان الساقي وقد فوجئ جداً، قال: «سيبيعها لك؟»

قال فورد وهو يقضم من لفافته: «سيعطينا إياها مجاناً. هيه، لا، مع ذلك أبقِ الفاتورة مفتوحة. سنضيف إليها بعض المواد. لفافة لذيذة».

تجرّع جرعة كبيرة من الجعة وأضاف: «جعة لذيذة، سفينة جيدة أيضاً». وراح ينظر إلى الشيء الزهري والمغطى بالكروم الذي يشبه الحشرة، الذي كانت بعض أجزائه مرئية عبر نوافذ الحانة. قال وهو يتكئ إلى الخلف متفكراً: «كل شيء جيد جداً، أتعلم، في أوقات كهذه تتساءل نوعاً ما إن كان الأمر يستحق القلق حيال بنية الزمان والمكان وسلامة مصفوفة احتمالية الأبعاد المتعددة الاعتيادية والانهيار الممكن لكل أشكال الأمواج في النوع الكلّي للخليط العام وكل تلك الأمور التي كانت تزعجني. ربما أشعر بأن ما قاله الرجل الضخم صحيح. أنزل كل شيء عن كاهلك. ما المهم في الأمر؟ أنزله عن كاهلك».

قال آرثر: «أي رجل ضخم؟»

أومأ فورد برأسه للتو إلى المنصة. كان الرجل الضخم يقول: «واحد اثنان» في الميكروفون مرات عدة. كان هناك رجلان آخران على المنصة الآن. طبول، جيتار.

قال الساقي الذي بقي صامتاً لبضع لحظات: «أتقول إنه سيدعك تأخذ سفينته؟»

قال فورد: «نعم، قال أنزل كل شيء عن كاهلك. خذ السفينة، خذها مع بركتي. عاملها برفق. سأعاملها برفق».

اجترع من جعته مجدداً وتابع: «كما كنت أقول، في أوقات كهذه يخطر لك أن تنزل كل شيء عن كاهلك. إنما عند ذلك تفكر في أشخاص كأولئك

في شركات إنفينيديم وتقول، لن يفلتوا من العقاب. سيتألمون. إن من واجبي المقدس أن أرى هؤلاء الأشخاص يتألمون. دعني أضع شيئاً على الفاتورة للمغني. لقد طلبت إليه طلباً خاصاً واتفقنا. سينزل في الفاتورة، موافق؟»

قال الساقي بحذر: «موافق،» ثم هز كتفيه وتابع: «موافق، مثلما تريد، كم؟»

أعطى فورد رقماً. سقط الساقي بين زجاجات الشراب والأكواب. قفز فورد فوق الطاولة بسرعة ليتفقد ما إن كان الساقي بخير، وساعده في الوقوف على قدميه. كان قد جرح إصبعه ومرفقه قليلاً، ويشعر ببعض الدوار، لكن عدا ذلك كان بخير. بدأ الرجل الضخم يغني. عرج الساقي مبتعداً وبيده بطاقة فورد الائتمانية ليحصل على إذن الدفع.

قال آرثر لفورد: «هل هناك ما يجري من دون علمي؟»

قال فورد: «أليست هذه العادة؟»

قال آرثر: «لا داعي لتكون هكذا،» وبدأ يستيقظ، ثم قال فجأة: «ألا ينبغي أن نذهب؟ هل ستوصلنا تلك السفينة إلى الأرض؟»

قال فورد: «بالتأكيد ستفعل».

قال آرثر فجأة: «هذه هي وجهة راندوم، يمكننا اللحاق بها! لكن... إيه»...

ترك فورد آرثر يتابع التفكير في الأشياء بنفسه في حين أخرج نسخته القديمة من دليل المسافر إلى المجرة.

قال آرثر: «لكن أين نحن على محور الاحتمالية؟ هل ستكون الأرض هناك أو لا؟ لقد أمضيت وقتاً طويلاً وأنا أبحث عنها. كل ما وجدته كان

كواكب تشبهها قليلاً أو لا تشبهها إطلاقاً، على الرغم من أنها كانت بلا شك المكان المناسب بسبب القارات. أسوأ نسخة كانت تدعى ناووات حيث عضني حيوان صغير حقير. هكذا كانوا يتواصلون، كما تعلم، بعضّ بعضهم. مؤلم للغاية. ثم في ما تبقى من الوقت لم تكن الأرض موجودة حتى لأن الڤوغونيين الملاعين فجروها. إلى أي حد أتكلم منطقياً؟»

لم يعلّق فورد، كان يستمع إلى شيء، مرر الدليل لآرثر وأشار إلى الشاشة، كان عنوان المدخل المفعّل «كوكب الأرض، غير مؤذ تقريباً».

قال آرثر بفرح: «تقصد أنها موجودة! الأرض موجودة! هذه هي وجهة راندوم! كان الطائر يريها الأرض في العاصفة المطرية!»

أشار فورد إلى آرثر كي يخفض من صوت صياحه، لقد كان يستمع.

كان صبر آرثر ينفد، لقد سمع مغني حانات يغنون «لاڤ مي تيندر» من قبل. كان قد فوجئ قليلاً من سماعها هنا، في منتصف أيّاً يكن هذا المكان، الذي بالتأكيد لم يكن الأرض، لكن الأشياء لم تعد تفاجئه هذه الأيام كما كانت تفعل في الماضي. كان المغني بارعاً جداً، كعادة مغني الحانات، إن كنت تحب هذه الأمور، لكن آرثر كان يضطرب.

حدّق إلى ساعته، لم يفده ذلك سوى بتذكيره أنها ليست معه، إنها مع راندوم، أو في الأقل بقاياها.

أصرّ قائلاً: «ألا تظن أن علينا الذهاب؟»

قال فورد: «صه! لقد دفعت لأسمع هذه الأغنية». بدا أن لديه دموعاً في عينيه، وهو الأمر الذي وجده آرثر مقلقاً بعض الشيء. لم يسبق له أن

رأى فورد متأثراً بأي شيء غير المشروبات القوية جداً. ربما كان بسبب الغبار. انتظر وهو ينقر بأصابعه متوتراً وبغير تزامن مع الموسيقا.

انتهت الأغنية، تابع المغني لتأدية «هارتبريك هوتيل».

همس فورد قائلاً: «في أي حال، علي أن أنقد المطعم».

«ماذا؟»

«عليّ أن أكتب مقالاً».

«تكتب مقالاً؟ عن هذا المكان؟»

«إرسال المقال يشرّع استحقاق المصاريف، لقد رتبت الأمر ليحدث تلقائياً على نحو تام ومن دون أن يكون قابلاً للتتبع». ثم أضاف بهدوء وهو يحدق إلى جعته بابتسامة متكلفة بغيضة: «ستحتاج هذه الفاتورة إلى بعض الشرعية».

«من أجل كوبين من الجعة ولفافة؟»

«وإكرامية للمغني».

«لم، بكم أكرمته؟»

قال فورد الرقم من جديد.

قال آرثر: «لا أعرف كم هذا، كم قيمته بالجنيهات الإسترلينية؟ ما الذي تشتريه؟»

«في الأغلب تشتري، تقريباً... إي».. ولوى فورد عينيه وهو يجري بعض الحسابات في رأسه، ثم قال في النهاية: «سويسرا». أمسك بدليل المسافر خاصته وبدأ يكتب.

أومأ آرثر برأسه بذكاء، تمنى في بعض الأوقات أن يفهم ما يتكلم عنه فورد، وفي بعض الأوقات، كالآن، شعر أنه من الأضمن ربما ألا يحاول حتى. نظر فوق كتف فورد وقال: «لن يستغرق هذا وقتاً طويلاً، أليس كذلك؟»

قال فورد: «لا، سهل جداً، اذكر فقط أن اللفائف كانت لذيذة، البيرة لذيذة وباردة، الحياة البرية المحلية غريبة ولطيفة، مطرب الحانة الأفضل في الكون المعروف، وهذا هو الأمر. لا يحتاج الكثير، مجرد شرعية».

لمس المنطقة من الشاشة التي كُتِبَ فيها «إدخال» واختفت الرسالة في السب-إيثا.

«أتعتقد إذاً أن المغني كان جيداً جداً؟»

قال فورد: «أجل». في هذه اللحظة كان الساقي يعود ومعه قطعة ورق بدا أنها تهتز في يده.

دفعها إلى فورد بنوع من الرعشة العصبية الموقرة. قال الساقي: «أمر غريب، رفضها النظام أول مرتين، لا أستطيع القول إنني فوجئت». تجمعت قطرات من العرق على جبينه، «ثم فجأة أصبحت مقبولة وشرّعها النظام. بهذا الشكل، هل تريد... أن توقعها؟»

تفحّص فورد الورقة بسرعة، مصّ أسنانه وقال ببعض القلق: «هذه ستؤلم إنفينيديم كثيراً». ثم أضاف بهدوء: «حسناً، تباً لهم».

وقّع بزخرفة ثم أعاد الورقة إلى الساقي.

قال: «أموال أكثر مما جمع له الكولونيل طوال مهنته من عمل أفلام رديئة وحفلات في الكازينو، لمجرد عمل ما يحسن عمله، الوقوف والغناء في حانة، وقد أنجزها بمفرده. أظنها لحظة جميلة له، قل له إني أشكره وأريد أن أشتري له شراباً». رمى بعض النقود على الطاولة، فأبعدها الساقي وقال بصوت أجش: «لا أظن أن ذلك ضروري».

قال فورد: «إنه ضروري لي، حسناً، سنخرج من هنا».

وقفا في الحر والغبار خارجاً ونظرا إلى الشيء الزهري الكبير المغطى بالكروم بذهول وإعجاب. أو في الأقل، نظر إليه فورد بذهول وإعجاب.

نظر آرثر إليه وحسب، وقال: «ألا تظن أنه مبالغ فيه بعض الشيء؟»

قالها مجدداً عندما صعدا إلى الداخل، كانت المقاعد والكثير من المتحكمات مغطاة بالفرو الفاخر والقماش المزأبر. كانت هناك علامة كبيرة بالأحرف الأولى من الاسم على لوحة التحكم الأساسية كُتب فيها «إي بي».

قال فورد وهو يشغل محركات السفينة: «أتعلم، سألته إن كان صحيحاً أنّ غرباء قد خطفوه، هل تعرف ما قال؟»

قال آرثر: «من؟»

«الملك».

«أي ملك؟ آه، لقد أجرينا هذه المحادثة، أليس كذلك؟»

قال فورد: «لا تهتم، فلقد قال لا، إن كان يهمك الأمر، لقد ذهب من تلقاء نفسه».

قال آرثر: «لا أزال غير واثق من الشخص الذي نتكلم عنه». هزّ فورد رأسه وقال: «اسمع، هناك بعض الأشرطة في المقصورة إلى يسارك، لم لا تختار بعض الموسيقا وتشغلها؟»

قال آرثر: «حسناً» وهو يقلب بين علب الكرتون ثم أضاف: «هل تحب إلڤيس بريسلي؟»

قال فورد: «نعم، في الواقع أحبه. أما الآن فأتمنى أن تستطيع هذه الآلة القفز مثلما يبدو عليها». شغّل المحرك الأساسي وصاح فرحاً وهما منطلقان إلى الأعلى بسرعة تمزق الجلد.

استطاعت القفز.

الفصل الثالث والعشرون

شبكات الأخبار لا تحب هذه الأشياء، وتعدّها غير ذات قيمة. تصل سفينة فضائية لا ريب فيها من العدم في منتصف لندن وأخبارها الباهرة ذات أهمية قصوى. تصل سفينة أخرى مختلفة تماماً بعد ثلاث ساعات ونصف وعلى نحو أو آخر ليست مهمة كسابقتها.

كتبت العناوين ومنصات الإعلان الإخبارية «سفينة فضائية أخرى!» «هذه زهرية!» كان بمقدورهم الاستفاضة أكثر لو أنها أتت بعد شهرين. سفينة فضائية ثالثة بعد نصف ساعة من السابقة، على استحياء ذكرت الأخبار المحلية الجوّالـة الصغيرة الرابعة من نوع هرندي التي رست.

سقط فورد وآرثر من الجزء الأعلى للغلاف الجوّي وهما يصرخان، وتوقفا بشكل أنيق في شارع (بورتلاند بليس). كانت الساعة تجاوزت السادسة والنصف مساءً بقليل، وكانت هناك مواقف شاغرة. اختلطا للحظة بالحشد المجتمع لينظر بمحبة، ثم قالا بصوت مرتفع إن لم يكن أحد سيتصل بالشرطة فإنهما سيفعلان ذلك، وتمكنا من الهرب بنجاح.

قال آرثر: «الوطن»... بنغمة مبحوحة تسللت إلى صوته وهو يحدّق من حوله وعيناه تدمعان.

تكلم فورد بسرعة: «لا تغمرنّك العاطفة وأنت معي، علينا أن نجد ابنتك، وعلينا أن نجد ذلك الشيء الطائر».

قال آرثر: «كيف؟ هذا كوكب بخمسة مليارات ونصف إنسان، و»...

قال فورد: «نعم، لكن واحداً منهم فقط وصل للتو من الفضاء الخارجي في سفينة فضاء فضية كبيرة يصحبه طائر ميكانيكي. أقترح أن نبحث عن تلفاز وشيء ما لنشربه حين نشاهد التلفاز. نحتاج إلى خدمة غرف احترافية». أخذا جناحاً كبيراً بغرفتي نوم ضمن فندق لانغهام. على نحو غريب بدا أن بطاقة فورد الائتمانية، داين-و-تشارج، الصادرة على كوكب يبعد أكثر من خمسة آلاف سنة ضوئية، لا تسبب أي مشكلات لحاسوب الفندق.

اتجه فورد إلى الهواتف مباشرة في حين حاول آرثر أن يجد التلفاز.

قال فورد: «حسناً، أود أن أطلب بعض المارغيريتا من فضلك، إبريقين من الشراب، صحنين من سلطة الشيف، وكل ما لديكم من كبد الإوز المسمّن. بالإضافة إلى حديقة الحيوان في لندن».

صاح آرثر من الغرفة المجاورة: «إنها في الأخبار!»

قال فورد عبر الهاتف: «هذا ما قلته، حديقة الحيوان في لندن، أرسلها إلى الغرفة وحسب».

صاح آرثر: «إنها... يا إلهي! هل تعلم من الذي يجري المقابلة معها؟»

تابع فورد: «هل تعاني من مشكلة في فهم اللغة الإنكليزية؟ إنها حديقة الحيوان التي في أول الطريق المؤدي إلى هنا. لا يهمني إن كانت مغلقة هذا المساء، لا أريد شراء تذكرة، أريد أن أشتري الحديقة وحسب، لا يهمني إن كنت مشغولاً، هذه خدمة غرف، أنا في غرفة وأريد بعض الخدمات. هل معك ورقة؟ حسناً، اكتب ما أريدك أن تفعله، أعد كل الحيوانات التي يمكن إعادتها إلى البرية، وحضّر بعض الفرق الجيدة من الناس ليراقبوا تقدمها في البرية، ويروا أنها تبلي بلاءً حسناً».

صاح آرثر: «إنها تريليان! أو أنها... إيـ... يا إلهي، لا أستطيع تحمل كل هذه الأشياء المتعلقة بالكون المتوازي. إنها مربكة للغاية. يبدو أنها تريليان مختلفة. إنها تريشا ماكميلان، وهي ما كانت تدعى به تريليان سابقاً... إيـ... لم لا تأتي وتشاهد، لنرى إن كان باستطاعتك فهم ما يحدث؟»

صاح فورد: «ثانية فقط،» وعاد إلى مفاوضاته مع خدمة الغرف. قال: «ثم سنحتاج إلى محمية بيئية للحيوانات التي لا تستطيع تدبر أمرها في البرية، جهّز فريقاً ليبحث عن أفضل الأماكن للقيام بذلك. قد نحتاج إلى شراء مكان مثل زائير، وربما بعض الجزر، مدغشقر، بافين، سومطرة، أماكن كهذه. سنحتاج إلى تشكيلة واسعة من المواطن. اسمع، لا أفهم لمَ

ترى هذه بأنها مشكلة؟ تعلم إرسال الوفود، وظف من تشاء، باشر العمل، أعتقد أنك ستجد رصيدي مناسباً. وتتبيلة من الجبنة الزرقاء على السلطة. شكراً لك».

وضع السماعة وذهب إلى آرثر الذي كان يجلس على حافة سريره ويشاهد التلفاز.

قال فورد: «لقد طلبت لنا بعضاً من كبد الإوز المسمّن».

قال آرثر: «ماذا؟» وكان مركّزاً إلى التلفاز بانتباه تام.

«قلت إنني طلبت بعضاً من كبد الإوز المسمّن».

قال آرثر على نحو مبهم: «أوه، لطالما شعرت بالسوء حيال كبد الإوز المسمّن. فيه بعض القسوة تجاه الإوز، أليس كذلك؟»

قال فورد وهو يهبط فجأة على السرير: «تباً لهم، لا يمكنك الاهتمام بكل شيء لعين».

«حسناً، من المناسب جداً لك قول ذلك، لكن»...

قال فورد: «انسَ الموضوع! إن لم تكن تحبها فسآخذ حصتك. ما الذي يحدث؟»

قال آرثر: «فوضى! فوضى تامة! راندوم مستمرة في الصياح في وجه تريليان، أو تريشا أو أياً تكن، لأنها هجرتها، ومن ثم تطالب بالذهاب إلى ناد ليلي جيد. انهارت تريشا باكية وهي تقول إنه لم يسبق لها أن قابلت راندوم، دعك عن إنجابها. ثم فجأة راحت تصرخ عن أحد يدعى روبرت، وقالت إنه فقد عقله أو شيء من هذا القبيل. للصراحة، لم أفهم ذلك الجزء.

ثم بدأت راندوم برمي الأغراض، وقطعوا البث إلى فاصل إعلاني في حين يحاولون حل كل ذلك. آه، لقد عادوا إلى الأستوديو! اخرس وشاهد».

ظهر مذيع مصدوم كثيراً على الشاشة واعتذر للمشاهدين عن الخلل الحاصل في الفقرة السابقة. قال إنه ليس لديه أنباء واضحة ليعلنها، سوى أن الفتاة الغريبة التي أطلقت على نفسها اسم راندوم فريكوينت فلاير دينت قد غادرت الاستوديو كي، إي، ترتاح. وتمنى أن تعود تريشا ماكميلان في الغد. في هذه الأثناء تأتي تقارير جديدة عن نشاط الأجسام الغريبة الطائرة...

قفز فورد عن السرير، وأمسك بأقرب هاتف ونقر رقماً.

«أيها الحارس؟ هل تريد امتلاك الفندق؟ إنه لك إن تمكنت في خمس دقائق من أن تعرف لي الأندية التي تنتمي إليها تريشا ماكميلان. وسجّل تكلفة الأمر برمته على هذه الغرفة».

الفصل الرابع والعشرون

بعيداً في أعماق الفضاء السوداء كانت تظهر تحركات خفيّة.

خفيّة عن كل سكان منطقة بلورال المزاجية والغريبة التي تقع في مركز نشاطها الاحتمالات الكثيرة واللانهائية للكوكب الذي يدعى الأرض، لكن هذه التحركات ليست غير مهمة لهم.

على حافة النظام الشمسي تماماً، جلس قائد الغريبولونيين القلق جداً على أريكة خضراء مصنوعة من قماش جلدي، وهو يحدق بقلق إلى صف من شاشات التلفاز والحاسوب. كان يعبث بالأشياء، يعبث بكتابه عن علم التنجيم، يعبث بمنصة حاسوبه، يعبث بالعروض التي تُرسل إليه على نحو مستمر من أجهزة المراقبة الغريبولونية كافة، التي كانت بأجمعها مركّزة على كوكب الأرض.

كان غاضباً، وكانت مهمتهم المراقبة، لكن على نحو سري. وللصراحة ضاق ذرعاً بمهمته، وكان متأكداً على نحو كبير أن المهمة تضمنت بلا شك القيام بأمور أكثر من مجرد مشاهدة التلفاز لسنوات. لا بد كان لديهم العديد من المعدات الأخرى التي يمكن أن تكون لها وظيفة لو أنهم لم يفقدوا عن طريق الخطأ كل أثر لوظيفتهم. كان يحتاج إلى هدف في الحياة، لذلك اهتم بالتنجيم ليملأ الفراغ الواسع الموجود في منتصف عقله وروحه، كان لذلك أن يخبره بشيء بكل تأكيد.

حسناً، كان يخبره بشيء.

كان يخبره، بحسب معرفته، أنه يوشك أن يقضي شهراً سيئاً للغاية، وأن الأشياء ستتحول من سيئ إلى أسوأ إن لم يسيطر على الأمور ويبدأ بخطوات إيجابية ويحلّ المشكلات بنفسه.

كان ذلك صحيحاً، كان واضحاً جداً من خريطة النجوم التي طوّرها باستخدام كتاب التنجيم وبرنامج الحاسوب الذي صممته له تريشا ماكميلان اللطيفة ليعيد الحساب بالتثليث كل المعلومات الفلكية المناسبة. يجب إعادة حساب التنجيم الأرضي كاملاً لينتج النتائج ذات المعنى للغريبولونيين هنا على الكوكب العاشر في الأطراف المتجمدة من النظام الشمسي.

أظهرت إعادة الحسابات على نحو واضح، بيّن ولا ريب فيه، أنه سيقضي شهراً سيئاً جداً بكل تأكيد، ابتداءً من اليوم. لأن الأرض بدأت تشرق في برج الجدي، وكان ذلك سيئاً جداً بالنسبة إلى القائد الغريبولوني، الذي كان واضحاً أنه من برج الثور.

قال برجه إن الآن هو الوقت المناسب للقيام بأعمال إيجابية، واتخاذ قرارات صعبة، وفهم ما يجب فعله وعمله. كان ذلك في مجمله صعباً جداً عليه، لكن كان يعلم أنه لم يسبق لأحد قول إن القيام بأمور صعبة ليس صعباً. كان الحاسوب في هذه الأثناء يلاحق ويتوقع موقع كوكب الأرض لحظياً. أمر أبراج المدافع الرمادية الضخمة بالدوران.

ولأن كل معدات المسح الغريبولونية كانت مركّزة على كوكب الأرض، فشلت في ملاحظة وجود مصدر آخر للمعلومات في النظام الشمسي.

فرصها في ملاحظة مصدر المعلومات هذا – سفينة بناء صفراء ضخمة – عن طريق المصادفة كانت معدومة عملياً. لقد كانت السفينة بعيدة عن الشمس بُعد روبرت نفسه، لكن في الجهة المقابلة تماماً، وتقريباً مخفيّة خلف الشمس.

تقريباً.

أرادت سفينة البناء الصفراء الضخمة أن تتمكن من مراقبة الأحداث على الكوكب العاشر من دون أن تُرى، وقد تمكنت من ذلك بنجاح.

كان لقائدها، قبطانها، فكرة واضحة عن ماهية هدفه. كان هدفاً بسيطاً وواضحاً، وكان يلاحقه بطريقته السهلة والواضحة لمدة طويلة من الوقت.

كان من الممكن لمن يعرف هدفه أن يقول إنه هدف تافه وشنيع، وإنه ليس من الأهداف التي تحسّن حياة، وتضع التفاؤل في طريق أحدهم أو تتسبب في غناء الطيور وتفتح الأزهار، بل على العكس في الواقع، على العكس تماماً.

لم يكن عمله يقتضي أن يقلق حيال ما سبق، كان عمله يقتصر على القيام بعمله، وهو القيام بعمله. إن كان ذلك يقود إلى ضيق أفق ودوران في حلقات مفرغة أكيدين فعمله لا يتضمن القلق حيال أشياء كهذه. حين تعترض طريقه أشياء كهذه فإنها تحال إلى أشخاص آخرين لديهم أيضاً أشخاص آخرون لتحويل أشياء كهذه إليهم.

على بعد الكثير من السنوات الضوئية من هنا، ومن أي مكان، يقع كوكب ڤوغسفير القاتم والمهجور منذ زمن طويل. في مكان ما من هذا

الكوكب، وعلى ضفة طينية يملؤها الضباب، ينتصب، محاطاً بالقذارة وبالقلة القليلة الباقية من دروع السرطانات المرصعة بالجواهر، نصب تذكاري حجري صغير يدل على المكان الذي يعتقد أن نوع القوغون القوغوبلورتس ظهر منه أول مرة. نُقش على النصب سهم يدل على الضباب، كُتب تحته بأحرف واضحة وبسيطة عبارة «المسؤولية تنتهي هنا».

عميقاً في أحشاء سفينته الصفراء القبيحة، نخر القبطان القوغوني وهو يمد يده إلى الورقة الباهتة متآكلة الأطراف أمامه، التي كانت عبارة عن أمر التدمير.

إذا كنت تريد الكشف عن حدود عمل القبطان، الذي كان يقتصر على تنفيذ عمله، وهو تنفيذ عمله، فسينتهي الأمر في النهاية عند قطعة الورق هذه التي أُصدرها إليه قائده المباشر منذ وقت طويل. كانت ثمة تعليمات على الورقة، وهدفه كان تنفيذ التعليمات ووضع إشارة صغيرة في المربع المجاور عندما يُنجز العمل.

لقد نفذ التعليمات من قبل، لكن ظروفاً شاقة منعته من إمكان وضع إشارة صغيرة في المربع المجاور.

أحد هذه الظروف كان الطبيعة الجمعية لهذا القطاع المجري، حيث تداخل الممكن على نحو مستمر مع المحتمل. تفجير عادي لم يكن لينفعك، ولم يكن تأثيره أكثر من تأثير دفع فقاعة صغيرة تحت ورق جدران معلّق بشكل سيئ. فأي شيء تفجره سيظهر من جديد، وستجري معالجة هذه النقطة قريباً.

وواحد آخر من هذه الظروف كان مجموعة من الناس يرفضون باستمرار أن يكونوا حيث ينبغي أن يكونوا عندما يكونون هناك. هذه النقطة أيضاً، ستعالج قريباً.

أما الظرف الثالث فكان جهازاً صغيراً فوضوياً ومزعجاً يدعى دليل المسافر إلى المجرة. كان هذا الآن تحت السيطرة تماماً، من خلال القوة الاستثنائية للهندسة العكسية المؤقتة، لقد كانت بحد ذاتها الوسيلة التي من خلالها ستتم السيطرة على كل شيء آخر. أتى القبطان فقط لمشاهدة المشهد الأخير من هذه التمثيلية. لم يكن عليه أن يحرك إصبعاً.

قال: «أرني».

مد الشكل الداكن من الطائر جناحيه وارتفع في الهواء إلى جانبه. غلّفت الظلمة منصة ربان السفينة. تراقصت أضواء خافتة في عيني الطائر لوقت قصير، عميقاً في فراغ عناوين التعليمات خاصته، كانت الأقواس تُغلق واحداً تلو الآخر، كأن العبارات كانت تنتهي، حلقات التكرار تتوقف، والوظائف المتكررة تستدعي أنفسها للمرات القليلة الأخيرة.

أضاء الظلمة مشهد رائع، مشهد كثير الماء يغلب عليه اللونان الأزرق والأخضر، أنبوب يطير عبر الهواء، ذو شكل يشبه سلسلة مقطعة من النقانق.

بصوت متغطرس من الرضا، اتكأ القبطان الڤوغوني ليشاهد.

الفصل الخامس والعشرون

صاح فورد بريفيكت لسائق سيارة الأجرة: «هناك يا رقم اثنين وأربعين، هنا!»

تمايلت سيارة الأجرة حتى توقفت، وقفز منها فورد وآرثر لقد توقفا عند عدد كبير من الصرافات في طريقهما، وقذف فورد بحفنة من الأموال عبر النافذة للسائق.

كان مدخل النادي مظلماً، أنيقاً وبسيطاً، رقاقة صغيرة فقط حملت اسمه، كان الأعضاء يعرفون مكانها، وإن لم تكن عضواً فمعرفة مكانها لن يفيدك إطلاقاً.

لم يكن فورد بريفيكت عضواً في نادي ستاڤرو، على الرغم من أنه زار نادي ستاڤرو الموجود في نيويورك. كانت لديه طريقة بسيطة للتعامل مع المنشآت التي لم يكن عضواً فيها. كان يدخل بمجرد أن يُفتح، يشير إلى آرثر في الخلف ويقول: «لا بأس، إنه معي».

وثب إلى أسفل الدرجات اللامعة وهو يشعر بأنه 'فرودي' جداً بحذائه الجديد. كان حذاؤه مصنوعاً من الجلد المدبوغ ولونه أزرق، وكان مسروراً بأنه كان حاد النظر على نحو كاف ليتمكن من رؤيته في نافذة محل من المقعد الخلفي لسيارة أجرة مسرعة، على الرغم من كل ما كان يحصل.

«ظننت أني قلت لك ألا تأتي إلى هنا».

قال فورد: «ماذا؟»

توقف فجأة رجل نحيل، يبدو عليه الإعياء، ويرتدي شيئاً إيطالياً فضفاضا كان يصعد الدرجات خلفهما، ويشعل سيجارة.

قال: «ليس أنت، هو».

نظر مباشرة إلى آرثر ثم بدا عليه بعض الارتباك.

قال: «اعذرني، لا بد أني شبهتك بشخص آخر». ثم تابع صعود الدرجات، ثم استدار مباشرة مرة أخرى، وهو مرتبك أكثر وحدّق إلى آرثر.

قال فورد: «ماذا الآن؟»

«ما الذي قلته؟»

قال فورد بانزعاج: «قلت ماذا الآن؟»

قال الرجل: «نعم أظن ذلك،» تمايل قليلاً وأسقط علبة الكبريت التي كان يحملها. تحرك فمه بضعف، ثم وضع يده على جبينه.

قال: «اعذرني، أحاول بيأس أن أتذكر نوع العقار الذي تناولته للتو، لكنه لا بد من ذلك النوع الذي يمنعك من التذكر».

هزّ رأسه واستدار مبتعداً من جديد، وتوجه صاعداً إلى غرفة الرجال.

قال فورد: «هيا،» وأسرع نازلاً الدرج وآرثر يتبع خطاه بتوتر. لقد هزّته المواجهة كثيراً ولا يعلم لِمَ.

لم تكن الأماكن كهذه تعجبه، وبعد كل الأحلام عن الأرض والوطن التي راودته لسنوات، كان الآن يفتقد كوخه على كوكب لاميولا كثيراً، مع سكاكينه وشطائره. كان يفتقد ثراشبارغ العجوز حتى.

«آرثر!»

كان تأثيراً مذهلاً، أحدهم يصيح باسمه من جهتين.

استدار لينظر إلى جهة، رأى أعلى السلالم خلفه تريليان تسرع هابطة نحوه برداء ريبملون تي إم المتجعد بشكل رائع. بدت مذعورة فجأة.

استدار لينظر إلى الجهة المقابلة ويعرف ما الذي كانت تنظر إليه بذعر فجأة.

في أسفل الدرجات كانت تريليان، ترتدي... لا – كانت هذه تريشا. تريشا التي رآها للتو، مصابة بالهستيريا من الارتباك، على التلفاز، وخلفها راندوم، تنظر بقسوة أكثر من أي وقت مضى. خلفها في أعماق النادي المضاء على نحو خافت وأنيق، شكّل مرتادو السهرة الآخرون لوحة متجمدة وهم ينظرون بقلق إلى المواجهة الحاصلة على السلالم.

تسمّر الجميع لبضع ثوان، ما عدا الموسيقا الآتية من خلف الحانة، التي لم تعرف كيف تتوقف عن الخفقان.

قال فورد بهدوء وهو يومئ قليلاً باتجاه راندوم: «إن المسدس الذي تحمله من نوع واباناتا ٣. لقد كان في السفينة التي سرقتها مني. إنه خطر جداً في الواقع، ابق ثابتاً للحظة فحسب. ليبقَ الجميع هادئاً ولنعرف ما الذي يزعجها».

صرخت راندوم فجأة: «أين أنتمي؟» كانت اليد التي تمسك المسدس تهتز بغضب. دست اليد الأخرى في جيبها وأخرجت بقايا ساعة آرثر، هزتها في وجوههم وصاحت: «ظننت أني أنتمي إلى هنا، الكوكب الذي صنعني! لكن اتضح أنه حتى أمي لا تعرف من أكون!» قذفت الساعة جانباً بعنف وحطمتها في الزجاج خلف الحانة مبعثرة قطعها الداخلية.

للحظة أو اثنتين إضافيتين كان الجميع صامتاً تماماً.

قالت تريليان بهدوء من أعلى السلم: «راندوم».

صاحت راندوم: «اصمتي! لقد هجرتني!»

أصرّت تريليان بهدوء: «راندوم، من المهم جداً أن تنصتي إلي وتفهمي. لا يوجد الكثير من الوقت، علينا جميعاً المغادرة».

«ما الذي تقولينه؟ نحن نغادر دائماً!» وضعت يديها الاثنتين على المسدس الآن، وكانتا ترتجفان. لم تكن توجهه إلى أحد معين، كانت توجهه إلى العالم عموماً.

قالت تريليان مجدداً: «اسمعي، تركتك لأني ذهبت لتغطية أحداث حرب لصالح الشبكة. كان الأمر خطراً جداً. في الأقل هكذا ظننته سيكون. وصلت إلى هناك ولم تنشب الحرب. كان هناك شذوذ زمني و... اسمعي! رجاءً! فشلت سفينة حربية استطلاعية في الحضور، فتبعثر بقية الأسطول على نحو هزلي. هذا يحدث طوال الوقت الآن».

صاحت راندوم: «لا يهمني! لا أريد أن أسمع شيئاً عن عملك اللعين! أريد موطناً! أريد أن أنتمي إلى مكان ما!»

قالت تريليان وهي لا تزال محافظة على هدوء صوتها: «هذا ليس موطنك. ليس لديك موطن، ليس لأحدنا موطن، يكاد لم يتبقَّ موطن لأي كان. السفينة المفقودة التي كنت أتحدث عنها، الناس على ظهر تلك السفينة لا يملكون موطناً، لا يعرفون من أين جاؤوا، لا يتذكرون حتى من هم وما هي غايتهم، إنهم تائهون ومرتبكون وخائفون جداً، إنهم هنا في النظام الشمسي، وهم يوشكون أن يرتكبوا شيئاً ضالاً جداً لأنهم تائهون ومرتبكون جداً. علينا... أن... نغادر... الآن. لا أستطيع إخبارك إلى أين الذهاب، ربما لا يوجد مكان. لكن هنا ليس المكان المناسب. مرة أخرى فقط، هل يمكننا الذهاب؟»

كانت راندوم ترتعد بخوف وارتباك.

قال آرثر بلطف: «لا بأس، إن كنت موجوداً فنحن في مأمن، لا تطلبا مني تفسير ذلك الآن، لكني بمأمن، وكذلك أنتما، فهمتما؟»

قالت تريليان: «ما الذي تقوله؟»

قال آرثر: «دعونا نسترخِ». كان يشعر بأنه هادئ جداً، إذ كانت حياته مسحورة، ولم يبد أيّ من هذا حقيقياً.

بالتدريج، وببطء بدأت راندوم تسترخي، ومن ثم وضعت المسدس أرضاً، إنشاً فإنش.

حدث شيئان في وقت واحد.

فُتح باب غرفة الرجال في أعلى السلالم، وخرج الرجل الذي بادر آرثر بالكلام وهو يتنشق.

بعد أن أجفلتها الحركة المفاجئة، رفعت راندوم المسدس مجدداً مع محاولة رجل يقف خلفها أن يصل إليه.

رمى آرثر بنفسه إلى الأمام، كان هناك انفجار يصم الآذان، وسقط على نحو أخرق في اللحظة نفسها التي ألقت تريليان بنفسها فوقه. تلاشى الضجيج. نظر آرثر إلى الأعلى ليرى الرجل في أعلى السلالم يحدق إليه بنظرة من الذهول التام.

قال: «أنت»... ومن ثم تداعى ببطء وعلى نحو رهيب.

رمت راندوم المسدس أرضاً وسقطت على ركبتيها وهي تنشج قائلة: «أنا آسفة! أنا آسفة جداً، أنا آسفة جداً جداً»...

ذهبت إليها تريشا، ذهبت إليها تريليان.

جلس آرثر على الدرجات ورأسه بين يديه، ولم يكن لديه أدنى فكرة عما يجب فعله. كان فورد يجلس على الدرج تحته. التقط شيئاً، ونظر إليه باهتمام، ومرره إلى آرثر.

قال: «هل يعني هذا أي شيء لك؟»

أخذها آرثر، كانت علبة الكبريت التي أسقطها الرجل الميت. طُبع عليها اسم النادي. طُبع عليها اسم المالك. وبدت بهذا الشكل:

ستاڤرو مويلير

بيتا

حدّق إليها لبعض الوقت في حين راحت الأشياء تجمّع نفسها ببطء في عقله. تساءل عما يجب عليه فعله، لكنه تساءل بكسل. بدأ الناس من حوله

يتدافعون ويصيحون كثيراً، لكن توضح له فجأة أنه لا يمكن فعل شيء، لا الآن، ولا من قبل. عبر الغرابة الجديدة من الضجيج والضوء، تمكن من رؤية شكل فورد بريفيكت يجلس متكئاً ويضحك بجنون.

غمره شعور خارق من السلام. عرف أنه أخيراً، مرة وإلى الأبد، قد انتهى كل شيء الآن.

في ظلمة منصة ربان السفينة، في قلب السفينة القوغونية، جلس القوغون البروستيتني جيلتز وحيداً. توهجت الأضواء لوهلة عبر شاشات الرؤية الخارجية التي اصطفت على حائط واحد. في الهواء فوقه، تبددت الانقطاعات في الشكل كثير الماء ذي اللونين الأخضر والأزرق الذي يشبه النقانق. انهارت الخيارات، وانطوت الاحتمالات على نفسها، وتلاشى كل شيء في النهاية من الوجود.

حل ظلام دامس جداً، وجلس القبطان القوغوني مغموراً بها لثوان عدة.

قال: «ضوء».

لم تكن هناك إجابة. حتى الطائر انهار من كل الاحتمالية.

أنار القوغون الضوء بنفسه. التقط الورقة مجدداً ووضع إشارة صغيرة في المربع الصغير.

حسناً، تم ذلك. انسلت سفينته في الفراغ الأسود.

على الرغم من اتخاذه ما عدّه إجراءً إيجابياً جداً، انتهى الأمر بالقائد الغريبولوني وهو يمضي شهراً سيئاً للغاية. كان شبيهاً للغاية بكل الأشهر السابقة ما عدا أنه لم يعد يوجد شيء على التلفاز. وضع بعضاً من الموسيقا الخفيفة عوضاً عن ذلك.

فهرس

الصفحة

الجزء الخامس

غير مؤذٍ في الغالب ٥

الفصل الأول ٧

الفصل الثاني ١٥

الفصل الثالث ٤١

الفصل الرابع ٤٥

الفصل الخامس ٥١

الفصل السادس ٦١

الفصل السابع ٧٩

الفصل الثامن ٨٧

الفصل التاسع ١٠٣

الفصل العاشر ١٢٣

الفصل الحادي عشر ١٢٧

الفصل الثاني عشر ١٣٥

الفصل الثالث عشر ١٥٣

الفصل الرابع عشر ١٦٩

الفصل الخامس عشر ١٧٣

الفصل السادس عشر ١٩٣

الفصل السابع عشر ٢٠٥

الفصل الثامن عشر ٢٢١

الفصل التاسع عشر ٢٣٧

الفصل العشرون ٢٤١

الفصل الواحد والعشرون ٢٥١

الفصل الثاني والعشرون ٢٦٩

الفصل الثالث والعشرون ٢٨١

الفصل الرابع والعشرون ٢٨٧

الفصل الخامس والعشرون ٢٩٣

الفهرس ٣٠١

دوغلاس آدامز (١٩٥٢-٢٠٠١)

- كاتب بريطاني وروائي؛

- عمل في هيئة الإذاعة البريطانية (B.B.C)

- من أعماله المؤلفة:

* وكالة ديرك جنتلي للتحقيقات الشمولية، ١٩٨٧

علي ريشة

- مترجم سوري؛
- من أعماله المترجمة:

* أبناء أودن

٢٠٢٢م